

الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كليـــــة الآداب
قسم التاريخ والآثار

النظام العسكري في دولة المماليك

(648 _923هـ /1250 _1517م)

إعداد الباحث
هانــي فخـري عطية الجــزار

إشراف
الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير(بحث تكميلي)
في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

1428هـ - 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"

(الأنفال60)

إهـــــــــــداء

*** إلى شهداء فلسطين الأكرم منا جميعاً..**

*** إلي المقاومة الفلسطينية..**

*** إلى والدي الغاليين حفظهما الله ...**

*** إلى زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء...**

*** إلى إخواني وأخواتي وأقاربي...**

*** إلى الأصدقاء والجيران والزملاء...**

الباحث/ هاني الجزار

شكر وتقدير

الحمد لله ذي المنة والفضل والإحسان، الحمد لله الذي أعانني فبلغت، ووفقني فأنجزت، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث هاديا ومبشرا ونذيرا.

امتثالا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم "من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" (أبو داوود، السنن،4445)

فإنني أتوجه بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين، الذي تفضل بالأشراف على هذه الدراسة، وعلى ما أولاني به من تشجيع واهتمام ، وما غمرني به من فيض علمه، وكثير نصحه، وتسامحه وتواضعه ، وحسن معاملته وجميل صبره.كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور يوسف الزاملي والدكتور حسن المسحال لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة ومراجعتها وتدقيقها وتكرمهما بإرشادي إلى مواطن الخلل والنقص ، كما وأسجل شكري وامتناني للأصدقاء الذين ساعدوني وشجعوني في إتمام هذه الدراسة وأخص بالذكر أساتذة اللغة العربية(سامي أبو غالي ، إبراهيم العطار،ضياء الغول،عصام سلامة) وماجد الجزار الذين دققوا الرسالة لغوياً وأود أن أشكر جميع أفراد أسرتي لما قدموه لي من تشجيع، وأخص بالذكر زوجتي التي حرصت على توفير كل وسائل الراحة أثناء انشغالي في البحث.ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في مساعدتي لإتمام هذا البحث ، والذي أسال الله العلي القدير أن يكون في ميزان حسناته يوم القيامة.

الباحث

هاني الجزار

المحتويات

المقدمـــة..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنه إزاء السقوط الحضـــاري الذي شهدته الأمة الإسلامية منذ قرون، قامت محـــاولات عديدة هنا وهناك للنهوض، والعودة إلى مسرح القيادة، حيث جهد خلالها رجال الأمة ومفكروها على إحياء التراث في نفوس المسلمين، وبسط نفوذه على واقعهم من جديد، بعد أن أصاب الأمة الوهن، وعجزت عن حماية مكتسباتها، وإحياء التراث التاريخي الخاص بها وان هـذا البحـث سيقف على مرحلة هامة من تاريخ الأمة ألا وهي حقبة تكالبت فيها قوى الـشر ضـد الإسـلام والمسلمين ، حتى استطاع النظام العسكري المملوكي أن يحمي العالم الإسـلامي مـن أخطـر هجمات عبر تاريخه ألا وهم المغول والصليبيين، ومما لا شك فيه أن دراسة الأنظمة العـسكرية من المواضيع الهامة وخاصة في زمن الضعف والهوان وتجبر القوى الظالمة فـي العـالم فـي عصرنا هذا ، وان الدراسات التي تناولت الجوانب العسكرية لا زالت عاجزة عن تغطية الـنقص في هذا المجال، بينما تزخر المكتبة الغربية بتلك الأبحاث من هذا النـوع . و دراسـة النظـام العسكري المملوكي مهمة جدا لما تحمل تلك الفترة من أهمية بالغة، حيث استطاع هـذا النظـام العسكري بقيادة المماليك تحقيق انجازات بالغة الأهمية على صعيدين:

الأول: سحق الخطر المغولي الذي كاد يعصف بالأمة الإسلامية .

الثاني: إنهاء الوجود الصليبي من فلسطين بطرد آخر صليبي من عكا في عهد الأشرف خليل بن قلاوون.

ومن جانب ركز الباحث على الجيش المملوكي وعتاده وتدريباته وخططه وأنظمته المتعـددة وانجازاته ومحاولة تجنب الخوض في عباب الأحداث الجانبية مـن تـاريخ دولـة المماليـك ، فالموضوع هو النظام العسكري ويجب التركيز على هدا الجانب فقط كي يـتم إيجـاد دراسـة متخصصة موضوعية تبين للدارسين والمهتمين هذا النظام الفريد من نوعه، الذي حقـق للأمـة انجازات هامة ، كما أن تلك الدراسة لن تكون بحثا مقارنا بين أنظمة عـسكرية متعـددة، بـل تتضمن النظام العسكري المملوكي فقط، وان كان من الممكن التعرج بعض الشيء إلـى النظـام العسكري الأيوبي كونه سابقا على النظام العسكري المملوكي، ولا بد أن يكون هناك نوعا مـن السياق العسكري بينهما ، ولعل مثل تلك الدراسة تكون نموذجا طيباً لجيوشنا التي طال ضـعفها.

ولعل الدافع الذاتي كان الأول وراء اختياري لهذا الموضوع، لما كنت أشعر به من ميل خـــاص نحو حقبة التاريخ المملوكي وانجازاته العسكرية على ارض فلسطين المباركة ،علـــى أن هنـــاك دوافع موضوعية أذكر منها:

1 ــ أن دراسات وكتب التاريخ الإسلامي لديها قصور بتلك الأبحاث ومغيب عنها دراسات الأنظمة العسكرية

2 ــ قلة البحث في التاريخ العسكري في تلك المرحلة التاريخية على الرغم من وجود تاريخ حضاري وثقافي.

3 ــ حاجة المجتمعات الإسلامية وخاصة مجتمعنا للتاريخ العسكري ولنموذج استطاع صد العدوان الهمجي وحماية مكتسباته وحضارته وبقاءه رغم سقوط كل الشعوب التي وطأها المغول.

4 ــ محاولة تدعيم المسار الذي يقول بضرورة الاهتمام بالتاريخ العسكري الإسلامي في ظل الاهتمام بالتاريخ الحضاري الثقافي للأمة الإسلامية.

5- خلق نموذج الانتصار في ظل الفرقة والتشتت في ظل ما يحدث على ارض فلسطين ومحاولات العالم لتحييد العمق الإسلامي والعربي من القضية الفلسطينية.

6- تجنب نقاط الضعف في العالم الإسلامي وثقافة الهزيمة التي أصبحت أمرا واقعاً ، ولدينا في تاريخنا الإسلامي ما يوجه القدرات و الطاقات إلى تغيير وإصلاح الواقع.

7-توضيح خطورة وجود الأنظمة العسكرية المتفرقة و المتناثرة بين أشلاء العالم الإسلامي.

8-إثبات انه يمكن خلق نظام عسكري قادر على مواجهة الأخطار المحدقة والمتربصة بالعالم الإسلامي.

وإن إشكالية أي بحث تسعى للإجابة عما يريده الباحث، والذي به تتحدد الأهداف المرسومة، وبحثنا هذا يرمي إلى تحقيق ما يلي:

1 ــ التعريف بالنظام العسكري المملوكي ومقوماته وأقسامه وإمكاناته وانجازاته.

2 ــ محاولة جمع ما تفرق من تاريخ النظام العسكري المملوكي في المصادر التاريخية المتعددة

3 ــ التعرف على مدى إسهامات المماليك في صد الهجمة المغولية وطرد آخر صليبي من بلاد المسلمين.

4 ــ معرفة ما للجيش المملوكي والمتطوعين من دور في مواجهة الأخطار والاحتلال الصليبي والمغولي .

6-معرفة أسباب الخلل والضعف الذي يصيب الجيوش وطرق الوقاية منها.

وأما فيما يتعلق بمجال الدراسة، فقد تم تحديد الفترة المملوكية على أرض فلسطين من سنة 1260م وهو تاريخ عين جالوت إلى سنة 1517م وهو سقوط الدولة المملوكية

وبالنسبة للدراسات السابقة حسب ما أعلم أنه لا يوجد أي دراسة تتعلق بالنظام العسكري في ظل الدولة المملوكية، وإنما يوجد كتب ودراسات شملت التاريخ المملوكي في شتى المجالات العسكرية و الثقافية والحضارية بشكل عام، ولم تخصص دراسة عن النظام العسكري في العهد المملوكي،إلا انه وجدت دراسات تناولت المعارك التي خاضها الجيش المملوكي ضد المغول والصليبيين دون التعرض للنظام العسكري نفسه منها دراسة بعنوان جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين للباحث عبد الله سعيد الغامدي وفي دراسة أخرى بعنوان الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري للعميد محمود نديم فهيم تم تناول الموضوع من وجهة نظر عسكرية بحتة، مجتهداً الباحث بحسب خبرته القتالية في الجيش المصري ،فقد ركز الباحث على الأساليب القتالية والتكتيكات العسكرية على حساب الجوانب الأخرى.

وقد تم استخدام المنهج البحث التاريخي القائم على الوصف و النقد و التحليل من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية، ومن الصعوبات التي واجهت الباحث في جمع المادة العلمية هي أن معظم المصادر التاريخية كانت تقتصر في حديثها عن المعارك ونتائجها وأسماء السلاطين ولم تتحدث عن حالة المجتمع أو النواحي النظامية بشكل واضح وقد قسم الباحث الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وكان الفصل الأول بعنوان أصل المماليك ونشأتهم وفيه كل ما يخص المماليك قبل بدء دولتهم من المكان الذي جلبوا منه وكيفية تطورهم وتربيتهم حتى وصولهم للحكم في مصر، وأما الفصل الثاني فقد تحدث فيه الباحث

عن تنظيمات الجيش المملوكي من أماكن إقامتهم وديوان الجيش المملوكي و زي الأجناد و التموين والإقطاع العسكري، وأساليب المماليك والتعبئة العسكرية و الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف و المتطوعون في الجيش المملوكي و الفرق الملحقة بالجيش، مثل الفرق الهندسية والفرق الطبية و فرق الموسيقى العسكرية وحملة الأعلام والأسطول الحربي وتطوره، وأما الفصل الثالث فقد تكلم فيه الباحث عن المؤسسات المساعدة وتنظيم الشئون الحربية للجيش المملوكي من تنظيم البريد الخاص بالجيش والفرق الاستطلاعية والاستكشافية والخطط العسكرية وإدارة المعارك ومعاملة الأسرى و المعاهدات والاتفاقيات، وتعيين القادة والرتب العسكرية وأسلحة الجيش المملوكي وأنواعها الفردية والجماعية، وصناعتها والقلاع والخطط الدفاعية، وفي الفصل الأخير كان الحديث عن أهم المعارك التي خاضها الجيش المملوكي وهي على شقين، الأول فيما يتعلق بالمغول(معركة عين جالوت)، من خلال أرض المعركة وزمانها و مقدماتها والفرق الاستطلاعية وأحداثها ونتائجها، ومطاردة فلول المغول و صد هجماتهم، والشق الثاني فيما بتعلق بالصليبيين وفيه الحرب في عهد بيبرس والحرب في عهد أسرة قلاوون .

والله الموفق.

الباحث

دراسة لأهم مصادر البحث

إن من أهم المصادر الأصلية التي اعتمد عليها هذا البحث ما كتبه المقريـــزي المولـــود سنة 766هــ/1364م، والمتوفى سنة845هــ،1442م، الذي تقلد العديد من الوظائف كان آخرها الحسبة بالقاهرة، ويعتبر المقريزي من أشهر المؤرخين المسلمين، وله مؤلفات تاريخية كثيــرة، وقد تميزت كتاباته بالدقة في إيراد الحقائق والاعتماد على الوثائق، وقد اعتمد البحث على كتابين له، وهما كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، وكتاب المواعظ والاعتبار فـــي ذكـــر الخطـــط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، وقد أمد الكتاب الأول البحث في الموضـــوعات الـــسياسية كمن حكم مصر من السلاطين المماليك، وما خاضـــوه مـــن حـــروب ومعـــارك ضـــد التتـــار والصليبيين، وأما الكتاب الثاني فقد أمد البحث بتطور النظم وخاصة نظام الإقطاع الحربي وكل ما يخص الجيش من تموين وأماكن إقامتهم والزى العسكري والأسلحة المستخدمة.

ومن المصادر التي أمدت الرسالة بالمعلومات أيضاً كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنـــشا للقلقشندى، الذي تكمن أهميته في أن القلقشندى شغل مناصب في الدولة المملوكية، مكنتـــه مـــن الاطلاع على الدواوين، وهي ما أعطت البحث قيمة وثائقية من حيث الأمـــور المتعلقـــة بنظـــام الدولة، والذي يشمل النظام العسكري نفسه وهو عنوان البحث ومن بين المعلومـــات التـــي تـــم الاستفادة منها، ما يتعلق بالأمور الإدارية والفنية، مثل البريد وديوان الإقطاع ومخازن الـــسلاح والوظائف العسكرية.

كما تم الاستعانة بكتاب "تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونـــشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء" للمؤرخ مرضي بن علي الطرسوسي المتوفى سنة 589هــ/1193م، وتكمن أهمية هذا المصدر في موضوعاته والتـــي تتـــضح مـــن

عنوان الكتاب نفسه وهي كيفية التصنيع العسكري والحربي، سواء فـــي الأســـلحة الجماعيـــة أو الفردية،فكل ما يخص الجيش الإسلامي في هذا العصر من صناعات عسكرية وأماكن التـــصنيع ومكان الحصول على المواد الخام .

وأيضاً كان لكتابي بيبرس المنصوري المتوفى سنة725هـــ/1325م دور كبير في إثراء البحـــث وهما كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية، الذي يتحدث عن تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة ما بين648هـــ- 711هـــ، والكتاب الثاني هو مختار الأخبار، وتكمن أهمية كتابي بيبـــرس المنصوري في أن المؤلف نفسه شغل مناصب في الدولة المملوكية، وكان آخرها نائب الـــسلطنة في مصر، وهذا ما يعطي مؤلفاته الأهمية البالغة من حيث إنه أحد رجالات النظام الحاكم نفسه.

ومن المصادر التي تستحق أن تذكر هو كتاب ماركوبلو الرحالة الايطالي الذي أقام مع التتار لفترات طويلة، وكتابه هو رحلات ماركوبلو، وهو الكتاب الذي أعطى البحث موضـــوعية مـــن حيث إن معلومات ماركوبلو الذي ذكرت في رحلاته كانت معاصرة ومعاينة لقلب الحـــدث فـــي صفوف التتار، حيث إن المؤلف كان مرافقاً للحملات المغولية على البلاد الإسلامية منذ بدايتها.

أيضاً كان لكتاب الجهاد وفضائله للعز بن عبد السلام قيمة كبيرة في إثراء البحث، من حيـــث مكانة الشيخ العز بن عبد السلام ودروه في الجهاد المملوكي الإسلامي ضد المغول والـــصليبيين من بداية نشأة النظام العسكري المملوكي وحتى وفاة الشيخ.

كما تم الاستعانة بكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمداني،الذي شغل منصب الوزارة لعدد من دول المغول في فارس، حيث ذكر لنا معلومات دقيقة عن نظم المغول وحروبهم.

كما أن كتاب شافع بن علي الكاتب العسقلاني المتوفى سنة730هـــــ/1329م وهـــو الفـــضل المأثور من سيرة الملك المنصور أهمية بالغة من حيث إن المنصور قلاوون حكم عشر ســـنوات

وخاض حروب طويلة ومتعددة ضد المغول والصليبيين على حد سـواء، إضـافة إلـى عقـد الاتفاقيات في عهده، كما تم فتح وتحرير الكثير من المدن الإسلامية.

وابن تغري بردي المتوفى سنة874هـ/1469م بكتابه النجوم الزاهرة محل ذكـر لاعتمـاد البحث عليه بشكل كبير فهو من المعاصرين للدولة المملوكية وأحداثها، وتميـز كتابـه بـذكر الملوك والسلاطين الذين حكموا مصر، إضافة لذكر العلماء والقادة والأمراء فقد اعتمد على ذكر تفاصيل تولي السلاطين والأمراء وفي أي سنة كان ذلك.

كما تم الاستعانة بما كتب ابن خلدون، الذي عاش بمصر في فترة الحكـم المملـوكي وتقلـد مناصب رفيعة في الدولة المملوكية، وكانت مقدمته التي تناولت الكثير من المواضيع بشيء مـن التحليل مثل نظام الحكم والأساليب القتالية والموسيقى العسكرية .

كما تم الاستعانة بسير أعلام النبلاء للذهبي الذي تناول فيه السلاطين المماليك وأهم أعمالهم.

ومن المصادر التي أفادت البحث كتاب أبن أجا المتوفى سنة 881هـ/1477م "العـراك بـين المماليك والعثمانيين الأتراك"، وهي رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار وقـد كانـت مرافقـة لإحدى الحملات العسكرية المملوكية وعلى الرغم من أن هذا المصدر كان في أواخـر العـصر المملوكي، إلا أن أهميته تكمن في وصف الحملات العسكرية وما كانت تحمله من عتاد وأعداد.

الفصل الأول

أصل المماليك ونشأتهم

- أصل المماليك
- نشأة الجيش المملوكي
- التربية والتدريب
- العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية
- عناصر الجيش المملوكي وأقسامه
  - الجند السلطانية
  - أجناد الحلقة
  - أجناد الأمراء
- الوضع السياسي والاجتماعي للجيش المملوكي
- حجم الجيش المملوكي وتطوره
- الانجازات العسكرية للجيش المملوكي في نهايات العصر الأيوبي
- وصول المماليك إلى الحكم

أصل المماليك:

يطلق اسم (المماليك) اصطلاحا، على أولئك الرقيق- الأبيض غالبا- الذين درج بعض الحكام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين أشداء، استطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر و الشام وأحيانا الحجاز وغيرها قرابة ثلاثة قرون من الزمان ما بين 648-923 هـ/1250-1517م[1]. وكلمة (مماليك) لغة: جمع مملوك، وهو الرقيق الذي يباع ويشترى، و(مملوك) اسم مفعول من الفعل (ملك)، واسم الفاعل (مالك) والمملوك هو عبد مالكه ،وسموا رقيقاً لأنهم يرقوا لمالكهم ويذلون ويخضعون [2]،ولكنه يختلف عن العبد الذي بمعنى الخادم ،والمماليك أسسوا في مصر و الشام دولتين متعاقبتين كان مركزهما القاهرة ،الأولى دولة المماليك البحرية الأتراك[3]، وحكمت بعد سقوط الدولة الأيوبية في مصر حتى سنة784هـ/1382م ، حيث بدأت دولة الجراكسة[4] وهي ما يطلق عليها أيضاً دولة المماليك البرجية[5] واستمرت حتى سقوط دولة المماليك سنة923هـ/1517م[6].والمماليك البحرية سيتم الحديث عنهم بالتفصيل، فهم من أقاموا دولة المماليك في مصر والشام ، أما المماليك البرجية أو ما يطلق عليهم الجراكسة فهم الجيش الجديد الذي أنشاهم المنصور قلاوون[7] ليعتمد عليهم ضد منافسيه من كبار الأمراء وتكون سنداً له ولأولاده من بعده ضد الأمراء الأتراك .

---

(1) التركماني،محمد:مقال منشور عن المماليك البحرية، في منتدي التركمان بتاريخ 2006/6/2م ، www. turkmens.forumup.com
وانظر:المنصوري،التحفة الملوكية،ص25. العسقلاني ،شافع،الفضل المأثور ،ص25-26.

(2) ابن منظور ،لسان العرب،ج10،ص124.

(3) انظر الجدول ص 178.

(4) الجراكسة، أصلهم من بلاد الكرج(جورجيا) وهي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين.الأشقر،أتابك العسكر،ص21.

(5) انظر الجدول ص178-179. وسموا البرجية لأن المنصور قلاوون فرض عليهم أن يمكثوا بأبراج القلعة حتى لا يختلطوا بغيرهم من طوائف المماليك والأهالي وبمرور الزمن سمح لهم الأشرف خليل النزول من القلعة بالنهار ويعودا إليها قبل المغرب للمبيت..المكي،سمط النجوم،ج3،ص533.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7،ص184.ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،ج6،ص282.المكي،سمط النجوم،ج3،ص532.

(7) قلاوون، هو احد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب منذ كان عمره أربعة عشر سنة لقب بالألفي كان عظيم الوجه مزهر اللون حسن الشكل فصيحاً في اللغة التركية شجاعاً تولى السلطة في 12 رجب 678هـ وتوفى في 6 ذي القعدة سنة 689هـ ودفن بالمنصورة ومدة حكمه 11سنة و3 شهور .
انظر: العسقلاني،الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور،ص25. القرماني،أخبار الدول،م2،ص274-275.

وإن استخدام المماليك لم يبدأ في نهاية العصر الأيوبي ، بل بدأ من قبل، حيث إن الدولة الأموية في الأندلس قد استخدمت المماليك ، فقد ورد أن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الأندلس كان أول من استكثر من المماليك بالأندلس [1] كما أن الحكم بن هشام استكثر من المماليك أيضا وكان يسميهم الخرس لعجمتهم[2] وكان الخلفاء الأمويون في الأندلس يستخدمون المماليك كجنود في جيوشهم ويستغلونهم في التجسس على باقي الجنود والقادة داخل الجيش ، وكانوا الأقدر على الإخلاص في تلك المهمة[3] ، ويمكن تفسير ذلك بضعف المماليك واضطرارهم لتلك المهمات لأنهم غرباء وضعفاء ورقيق لا حول لهم ولا قوة ولا يستطيعون رفض الأوامر الملقاة عليهم ، وقد بلغ عدد المماليك في الجيش داخل الأندلس في ذلك العهد ما يقارب من خمسة ألاف جندي مملوكي[4] ومما ورد في المصادر التاريخية أن الخليفة المعتصم[5] هو أول من استكثر من المماليك الترك حتى بلغوا في عهده ما يقرب من عشرين ألفا[6] ، وهو الذي بنى لهم مدينة سامراء(سر من رأى) في العراق ليقيموا فيها[7] ، وقد ورد أن المعتصم جلبهم من سمرقند وفرغانة و أشرسونة والشاش[8] ،

---

[1] ابن الأثير،الكامل ،ج5،ص308.

[2] المقري،نفح الطيب، ج1 ، ص342. ابن الأثير،الكامل ،ج5،ص466. ابن خلدون،العبر،ج4،ص160-163.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج6،ص402. ابن خلدون ، العبر، ج3،ص439.

[4] ابن الأثير، الكامل ،ج5،ص466.

[5] المعتصم،هو محمد بن هارون الرشيد ويكنى أبي إسحاق وأمه أم ولد من مولدات الكوفة واسمها مارده وكانت أحظى النساء عند هارون الرشيد وكان المعتصم أبيض ولقبه الثماني لأنه ولد سنة ثماني ومائة وله ثماني بنون وثماني بنات ومات وعمره ثمان وأربعون عاما وخلافته ثمان سنين وثمان أشهر.انظر:ابن الجوزي، المنتظم،ج11،ص25.المقدسي، البدء والتاريخ،ج6،ص114.

[6] ابن كثير ،البداية والنهاية،ج10،ص296.ابن خلدون،العبر،ج5،ص370.

[7] المقدسي، البدء والتاريخ،ج4،ص101.

[8] بلاد تركية في الشرق من آسيا خصبة كثيرة الخير ينتشربها العلم وأهلها أدوم على الجهاد وأشد بأسا وهي أول بلاد الترك تبدأ بفرغانة ثم اسبيجاب ثم أشرسونة ثم الصغد ثم بخارى ثم سمرقند.انظر:المقدسي،البدء والتاريخ،ج6،ص38. البكري،معجم ما استعجم،ج3،ص775. المقدسي، أحسن التقاسيم،ج1،ص222-223.

واستكثر منهم حتى أصبح تواجدهم يطغى على بقية العناصر الأخرى[1] . ويرى بعض المؤرخين أن سبب إقبال المعتصم على شراء المماليك واستخدامهم في الجيش هو انقسام البيت العباسي، ووجود كتل قوية من العرب والفرس تهدد مصالح الخلافة ، فأصبح المعتصم يدرك أنه لابد من قوة جديدة ليس لها مصالح في سلب السلطة [2] ، ويبدو هذا الرأي منطقياً حيث أن المأمون كان قد اتخذ من خراسان مقراً له واستعان بالفرس في صراعه مع أخيه الأمين إلا أنهم لم يخلصوا له ، بل أخذوا بالتآمر على الخلافة مما جعله يبحث عن قوة جديدة تقف في وجه الفرس فاتجه إلى أخواله الترك فأكثر من شرائهم وأصبح لهم سلطة داخل الخلافة [3] .

أما في العهد العباسي الثاني فقد استطاع المماليك فرض قوتهم والتحكم بقرارات الخلافة [4] ، فسرعان ما انقلبت الأمور على غير رغبة البيت العباسي نتيجة لاستكثارهم من المماليك والفئات الشرق آسيوية ، حيث وصلت الأمور لحد لا يطاق فيقول ابن طباطبا:"كان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وان شاءوا قتلوه"[5] ، وبلغت قوة المماليك في العصر العباسي الثاني مبلغاً عظيماً، حيث وصل بهم الأمر إلى أن يقوموا بقتل الخليفة ويجلبوا ابنه أو أخيه مكانه[6] ، واستمر تحكم المماليك بالخلفاء فترة طويلة ، وذلك لأنهم كانوا الطرف الأقوى في معادلة الحكم وهم أصحاب النفوذ والقوة العسكرية فاستمر نفوذهم من عهد المستنصر إلى عهد المعتضد [7] .

---

[1] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج2،ص234.

[2] ابن الأثير، الكامل ، ج10،ص426.انظر: عدوان،المماليك وعلاقاتهم الخارجية، ص11.

[3] الأصفهاني،البرق الشامي،ج2،ص150.

[4] ابن الجوزي ، المنتظم، ج7، ص119.

[5] ابن طباطبا،الفخري في الآداب السلطانية،ص220.أبو الفضل،تكملة تاريخ الطبري،ج1،ص220.

[6] الذهبي، العبر،ج4،ص92.

[7] ابن الأثير، الكامل،ج9،ص438.أبو شامة،الروضتين،ج1،ص120.

وقيل في ذلك كلاما معبرا:

خليفة في قفص   بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له   كما تقول الببغا[1]

وظل وضع الدولة العباسية على هذا المنوال إلى أن جاءت خلافة المسترشد فبايعه الناس وكان عمره ثلاثة وأربعين عاما ، وتمكن من فرض سيطرته عليهم حيث عرف بالقوة والشجاعة والفطنة [2]. وحقيقة إن هذا الحال لم يقتصر على البيت العباسي وإنما استطاع المماليك فرض سيطرتهم على بعض البلاد التي استقلت عن الخلافة العباسية واكتفت بالتبعية الاسمية فقط مثل الدولة الزنكية والدولة الطولونية في مصر [3] ، وأول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية هو أحمد بن طولون[4] ، وكان قبل ذلك يعتمد على جيش من السودانيين حيث بلغ عدد جيشه من السودان اثنتي عشر ألفا من السود[5] ، وكان وجود المماليك إما بشرائهم كما تم الحديث سابقاً وذلك لضرورة اقتضتها تلك الفترات من التاريخ الإسلامي وخاصة في أوقات الحروب والأزمات،ليتم استغلالهم في بناء جيش قوي فيه من الرجال ما يسد حاجة الجيش من العدد اللازم لخوض الحروب لذا فقد كان لابد للأنظمة العسكرية التعامل معها بما يحمي مصالح المسلمين ، وإما بسبيهم في المعارك والحروب وخاصة الأطفال منهم وقد كانت أحيانا الهدايا المقدمة للسلاطين والخلفاء تحتوي مجموعات كبيرة من المماليك مما جعل

---

[1] المكي، سمط النجوم،ج2،ص472.

[2] أبو شامة، الروضتين،ج1،ص420.

[3] الدولة الزنكية مؤسسها عماد الدين زنكي بدأ بسيطرته على القلاع مثل شوش والحميدية ولما اتسعت دولته اتخذ من الموصل مركزاً له وكان لهذه الدولة الدور الأكبر في مواجهة الصليبيين والدفاع عن المدن الإسلامية.ابن الأثير، الكامل،ج10،ص193،ص354.

ابن الأثير، الكامل ، ج9،ص290. ابن بطوطة، تحفة النظار،ج2،ص569. أبو شامة،الروضتين،ج1،ص155.

[4] هو الأمير أبو العباس صاحب الديار المصرية والشامية والثغور وقد ولاه الخليفة العباسي المعتز مصر فاستولى هو على باقي الشام انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج1،ص173.

[5] القلقشندى، مآثر الانافة،ج1،ص247.

منهم خدما وحاشية وجنودا في الجيش أيضا [1] ، كما أن الإخشيد في مصر استخدم المماليك فقد جعل خمسة آلاف مملوك لحراسته ليلاً وهو نائم[2]وأصل المماليك من الأكراد والتركمان[3]، كما أنه يوجد أجناس مختلفة من الأتراك والجركس والروم وبعـض العـرب[4] ، وكـل سـلاطين المماليك كانوا أصلاً مماليك سواء من الترك أو الجركس، ويعتبر عـصر سـلاطين المماليـك البحرية هو عصر سلاطين الترك[5] أو حتى المغول الذين كانوا يوما ما أعداء للمسلمين ومـنهم كاتبغا الذي تسلطن على مصر والشام وكان من أفضل السلاطين وخيـرهم وأجـودهم سـيرة ونصرة للإسلام[6] ومن المدهش أن نجد نصوصا تدل على وجود مماليك فرنج خاصة في العهد الأيوبي وكان يغلب عليهم الشقرة[7] ، ويبدو أنهم كانوا من الذين تم سبيهم خلال المعارك التـي كانت تقع بين الأيوبيين والصليبيين الذين كانوا يحتلون مدناً وقلاعاً كثيرة وخاصـة فـي بـلاد الشام، وقد وصل سعر المماليك في هذا الوقت ديناراً لكل خمسة مماليك[8] .

ومما سبق تتضح حقيقة هامة وهي أن المماليك ليسوا من أصل واحد أو من منطقة واحـدة وإنما هم نتاج لظروف خاصة بتلك العصور سواء المملوكي أو العصور السابقة له ، حيـث إن الأمر مرتبط بوجود شريعة متعارف عليها بين الأمم وهي السبي في الحروب التي كانت سـببا أساسيا لوجود المماليك لا سيما حينما يتم أسر أطفال كثر لدرجة جعلت الدول تفكـر فـي حـل لهؤلاء المماليك ، ولم يكن هناك خيارات أخرى لاستغلال هؤلاء الأطفال سوى استخدامهم كخدم

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى ،ج7،ص247.الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج4،ص105.
[2] أبو الفضل، تكملة تاريخ الطبري،ج1،ص153.
[3] المنصوري،مختار الأخبار،ص27.
[4] المقريزي،الخطط،ج2،ص215.
[5] العسقلاني،الفضل المأثور،ص25-30.
[6] ابن كثير،البداية والنهاية،ج3،ص339.
[7] ابن الأثير، الكامل،ج9،ص198.
[8] المصدر نفسه، ج10،ص302. ابن خلدون، العبر،4،ص539.

أو تربيتهم وتنشئتهم على الإسلام، ومن ثم ضمهم إلـــى الجـــيش وخاصـــة إذا علمنـــا حاجـــة المجتمعات آنذاك للجند ، فالحروب كانت أكبر وأكثر من أن يستوعبها مجتمع واحد ، وتكـــاليف الحروب الباهظة وعدد من يقتلون يجبر أي مجتمع على البحث عن بـــديل ، ومـــن هنـــا فـــإن المماليك كانوا جزءا من الحل المتاح وملأ للفراغ آنذاك. وبالنسبة إلى أصـــل معظـــم المماليـــك وخاصة في العهد المملوكي فهو الأصل التركي ، وذلك استمرارٌ لما كان فـــي أواخـــر العهـــد الأيوبي [1] وخاصة خلال فترة حكم السلطان الصالح نجم الدين أيوب[2] ، وكان هذا السلطان قد اتخذ قرارا بجمع أكبر عدد من المماليك التركية ، فعندما عزل من إمرته في الـــشام علـــى يـــد أخيه، انفض عنه مماليكه الكردية ولم يقفوا بجانبه وبقي معه عدة مماليك من أصل تركي ولـــم يتخلوا عنه مما جعل في نفسه حبا لذلك الجنس من المماليك[3] ،مما أثر علـــى أحـــوال مـــصر والشام والمنطقة كلها لمئات السنين بعد ذلك ، حيث اســـتمر جلـــب المماليـــك التركيـــة علـــى الخصوص في العهد المملوكي، لأن السلاطين الأوائل كانوا من الجنس التركي وبالتـــالي كـــان الأفضل لهم جلب أبناء جنسهم ويبدو ذلك كأمر احترازي وحفاظا على خلق جيل يخلص لأبنـــاء جنسه من مماليك الترك ، فطبقة الأمراء والسلاطين التركية جعلوا نصب أعينهم أنهـــم مماليـــك ولا حق لهم في السلطة ولا شرعية لهم، وبذلك لابد لهم من خلق واقع يرضى ببقائهم في السلطة ، ولذلك نجد سلاطين المماليك يشجعون تجار الرقيق على جلب المماليك من بلاد أزبك وبـــلاد تبريز وبلاد الروم وبغداد ، وكانوا يدفعون الأموال الطائلة وقد وصل الأمر إلى أن يبيـــع الأب

---

[1] المكي، سمط النجوم العوالي،ج3،ص529.

[2] الملك الصالح نجم الدين أيوب : هو آخر السلاطين الأيوبيين الأقوياء بمصر كان مهيبا عزيز النفس عفيف اللسان كثير الصمت وهو الذي أنشأ المماليك الترك حتى صاروا معظم عسكره.انظر:ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص331.

[3] المقريزي، السلوك،ج1،ص441.

أبناءه ليأخذوه للسلطان في مصر لما كان يحظى به المماليك في مصر[1] . والملاحظ من حياة المماليك في كنف سلاطين مصر أنهم الأوفر حظاً، حيث حظوا برعاية خاصة وبمسكن خاص وبأكل خاص وبرواتب وتربية حسنة ، حتى إن المملوك صار من الطبقة الحاكمة ، بل إن سكان مصر والشام لا يملكون أن يصبحوا مثل المماليك ، فلو افترضنا جدلا أن المصري يريد الانخراط في صفوف المماليك فلن يمنح ذلك ، ومن الواضح أن شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وفارس وبلاد ما وراء النهر وبلاد القوقاز والقفجاق كانت المناطق الأكثر تصديرا للمماليك ومن هنا فإن المماليك في معظمهم كانوا أتراكا وشراكسة وروم وروس وأكراد وأقلية من أوربا وصلوا إلى مصر عبر البحر الأسود ثم إلى بحر القرم ثم إلى خليج القسطنطينية ومنه إلى البحر المتوسط ثم إلى دمياط ثم إلى ميناء الإسكندرية[2] ، مما يفسر تعليل وجهة نظر بعض المؤرخين من أنه تم تسمية المماليك بالبحرية لكيفية طريق وصولهم إلى مصر عبر البحار [3] ، ولعل ما يؤكد هذا الرأي واعتباره أقوى حجة من الرأي القائل بأنهم سموا البحرية لأن الصالح نجم الدين أيوب أسكنهم جزيرة الروضة[4] ، هو أن لفظ البحرية لم يكن فقط في عهد الصالح نجم الدين أيوب بل كان موجودا قبله حتى في العهود السابقة للعصر المملوكي[5]، وكان يسمى التاجر الذي يحضر المماليك للدولة المملوكية الخواجا [6] ويتضح مما سبق دور الصالح نجم الدين أيوب في تأسيس المماليك البحرية من خلال العلاقة التي ربطت الصالح نجم الدين أيوب بالجنس التركي لاعتقاده الجازم بإخلاصهم وولائهم بعد تجربته المريرة مع الأكراد وانفصالهم

---

(1) المقريزي، الخطط،ج2،ص214.

(2) الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص192.انظر:عدوان،المماليك،ص15.

(3) المصدر نفسه،نفس الجزء والصفحة.

(4) المقريزي،السلوك،ج1،ص441.ابن تغري،النجوم الزاهرة،ج6،ص221.ابن خلدون،العبر،ج5،ص430.

(5) ابن الأثير،الكامل،ج7،ص224.

(6) ابن العماد الحنبلي، ،شذرات الذهب،ج4،ص6.

من حوله وبقاء المماليك التركية على عهدهم معه رغم قلة حيلته آنذاك . ومن الممكن أن يكـــون سبب تسمية المماليك بالبحرية هو طريقة جلبهم عبر البحار ومكان إقامتهم الـــذي اختـــاره لهـــم الصالح نجم الدين أيوب في جزيرة الروضة[1]، ولو أن هناك نصوصاً تشير إلى وجود مـــسمى البحرية في العصرين الفاطمي والأيوبي[2]بل إن مسمى البحرية كان أيضاً يطلق علـــى إحـــدي الفرق الصليبية المحاربة والتي كانت تقاتل المسلمين في السواحل الـــشامية[3] ، ممـــا يعنـــي أن الصالح نجم الدين أيوب لم يكن أول من سمى مماليكه بالبحرية ومهما يكن فإن ابن خلدون أنهى كلامه بخصوص المماليك التركية بأنهم كانوا الخيار الأفضل للسلطان الصالح نجم الدين أيـــوب وأنه كان لابد لأيوب أن يؤسس ذلك الجيش لحماية دولته وفرض النظام العام[4] ، فقد كان لابد في ظروف مثل التي مر بها أيوب أن يبني جيشا جديدا ينفذ ويطيع ويخلـــص ولا يحمـــل فـــي معتقداته مصطلحات الانقلاب أو الخيانة لصالح جهة أخرى ومن الواضح أن حاجـــة المجتمـــع آنذاك هي التي أدت إلى ظهور المماليك ومن المؤرخين المحدثين من عزى سبب ظهور حالـــة المماليك إلى الفوضى السياسية والفراغ العسكري الذي كان مهـــداً ملائمـــا للمماليـــك بكفـــاءتهم العسكرية وقدراتهم [5] ، ومع أن الصالح نجم الدين أيوب هو الذي اشـــترى هـــؤلاء المماليـــك وجعلهم بطانته ومعظم عسكره، إلا أنه عاملهم بقسوة وحزم ولم يتهاون أو يتردد فـــي فـــرض أقصى العقوبات على أي خلل يظهر منهم، حتى أنهم كانوا يرتعدون منه خوفا على حـــد تعبيـــر ابن تغري بردي[6] . ومن الطريف أن الصالح نجم الدين أيوب كان قد تـــزوج امـــرأتين مـــن

---

[1] ابن خلدون، العبر،ج5،ص430.
[2] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص224.ج9،ص146.
[3] المصدر نفسه،ج9،ص68.
[4] ابن خلدون،العبر،ج7،ص692.
[5] قاسم،علي،الأيوبيون والمماليك،ص126.
[6] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص331.

المماليك سيكون لإحداهما دورا بارزاً في تغيير مجرى التاريخ وتحويل الملك من الأحرار إلـــى العبيد وهي شجر الدر ، والزوجة الثانية بنت العالمة[1] ، وقد نسب المماليك إلى الــصالح نجــم الدين أيوب فأطلق عليهم المماليك الصالحية[2] ، وقد سبق أن كانت مماليك وسميت باسم أميرهم أو سلطانهم في العصور التي سبقت العصر المملوكي وحتى الأيوبي ، ففي الدولة الزنكية كانــت فرق عسكرية مملوكية باسم نور الدين زنكي وأطلق عليها المماليك النورية [3] ، كما وجدت في الدولة السلجوقية مجموعات مملوكية في الجيش وسميت باسم نظام الملــك الــوزير الــسلجوقي وكان اسمها المماليك النظامية[4]، ووجدت مماليك البهلوانية [5] . وأما في الدولة الأيوبيـــة فبــدأ تسمية المماليك على اسم سلطانهم وأميرهم منذ تأسيس الدولة على يــد صـــلاح الــدين فكانــت المماليك الصلاحية[6] وكانت المماليك الأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه عــم صـــلاح الــدين الأيوبي ، والمماليك الناصرية [7] ، ومن الواضح من خلال تقييم دور الصالح نجم الدين أيــوب في إنشاء الجيش المملوكي أن يعتبر ذلك إيجابية لكون المماليك كان لهم دور كبير في القــضاء على المغول والصليبيين. لكن بعض المؤرخين يعتقدون بأن ذلك العمل للملك الصالح نجم الدين أيوب كان وبالا على الأمة الإسلامية لما لـــه مـــن آثـــار ســـلبية علـــى الــصعيدين الــسياسي والاجتماعي،خاصة بعد وصولهم إلى السلطة وتحكمهم في رقاب الناس حيث قالوا في ذلك:

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص331.

[2] الحموي، التاريخ المنصوري،ج1،ص2. ابن خلدون ن تاريخه،ج5،ص453.

[3] أبو شامة، الروضتين،ج2،ص12.ابن الأثير، الكامل،ج10،ص67.البرق الشامي،ج123،5.

[4] ابن الأثير، الكامل ،ج8،ص484. ابن خلدون، تاريخه،ج5،ص16.

[5] المماليك البهلوانية كانت في بلاد خراسان وخوزستان ونسبت إلى ازبك بن البهلوان سنة608هــ واستطاعت هده المماليك السيطرة على مقاليد الحكم في تلك البلاد لفترات زمنية محددة. انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج10،ص356،ص299.

ابن خلدون ، العبر،ج3،ص656.

[6] الحموي،التاريخ المنصوري،ج1،ص16.

[7] ابن الأثير، الكامل ،ج10،ص217 ، ص240. الحموي ، التاريخ المنصوري،ج1،ص8.

الصالح المرتضى أيوب أكثر من　　　ترك بدولته يا شر مجلوب

لا وأخذ الله أيوباً بفعلته　　　فالناس كلهم في ضر أيوب[1]

ولابد لنا في هذه الحالة أن نطرح سؤالاً مهماً وهو ما هي مبررات من اعتبر ظهور المماليك وبالا على الأمة؟ حيث إن المكي[2] مثلاً وهو من المؤرخين الناقمين على المماليك، كان قد ظهر في أواخر العصر المملوكي ، وهو الزمن الذي بانت فيه عيوب الدولة وأصبحت في غمرات الموت ، فكثرت الهزائم وتأخرت الصناعات وضعفت همة العلم وشاخت الدولة لحد انعدام الأمن وبات الاقتصاد هشاً ، وظهرت المجاعات وتحولت طرق التجارة، ففي غمار تلك المعطيات لابد للمؤرخين أن يذموا الدولة و لكن المؤرخين المتقدين كانوا على عكس ذلك حيث إنهم شهدوا الانتصارات والإنجازات العسكرية،خاصة تلك التي حققها سلاطين المماليك الأوائل، على الجبهتين الصليبية والمغولية ، فقد استطاع النظام العسكري المملوكي أن ينهي الوجود الصليبي تماماً سنة 688هـ/1291م، كما أن المماليك أوقفوا المد المغولي وطردوهم من الشام والعراق وبقيت العسكرية المملوكية بالمرصاد لأي محاولة من قبل التتار للتقدم حتى انتهى الخطر المغولي تماماً، بينما في أواخر العهد المملوكي دب الوهن والضعف في مؤسسات الدولة، سواء الضعف العسكري أو الضعف الاقتصادي، وعلى كل فالحكم على المماليك يصعب في بداية البحث وإنما يمكن أن يستنتجه القارئ بعد أن يكون قد استقرأ فصول البحث ومضامينه.

---

[1] المكي، سمط النجوم،ج4،ص17.

[2] المصدر نفسه،نفس الجزء والصفحة.

نشأة الجيش المملوكي:

قال تعالى :"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم "[1] فتجهيز الجيش هو أمر من الله سبحانه وتعالى وهو الركن الأساسي في معادلة القوة اللازمة لردع الكفار ومساعدة الدولة الإسلامية في نشر الإسلام والدفاع عن الأرض ، ومن أغراض وأهداف هذا الجيش محو الكفر وتحرير الأرض الإسلامية التي احتلها الأعداء، ولقد كانت الفرق العسكرية من المماليك ضرورة أوجدتها الحاجة إليهم بعد أن اختلف سلاطين الأيوبيين وانفضت عنهم الفرق العسكرية المختلفة ، فالملك الصالح حين اختلف مع أخيه وأقربائه من البيت الأيوبي لم يثبت معه إلا المماليك التركية ، أما باقي جنده وخاصة الأكراد فقد انفضوا من حوله كما أسلفنا سابقاً ، ولذلك لما أصبح الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطانا لمصر أكثر من شراء المماليك من الجنس التركي على الخصوص ، لما لاقى منهم من إخلاص وتفانٍ في خدمته وقربهم منه وجعلهم أمراء دولته[2] ، وبهذا بدأ التاريخ العسكري المملوكي فعلياً، ولكن تحت إمرة السلطان الأيوبي وكانوا على جاهزية قتالية عالية ، وسجل التاريخ لهم دوراً بارزاً في الدفاع عن الدولة الإسلامية ومن أهم إنجازاتهم العسكرية وهم تحت إمرة الأيوبيين صد الهجمة الصليبية الشرسة والتي حملت اسم الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والتي استطاعت احتلال دمياط[3] والاستقرار فيها وبالتحديد في فارسكور[4] .

---

[1] سورة الأنفال،الآية رقم60

[2] المقريزي، خطط،ج2،ص236.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص319.

[3] للمزيد عن الحملة الصليبية السابعة،انظر:المنصوري،التحفة الملوكية،ص25-26.

[4] فارسكور:هي مدينة على نهر النيل شمال مصر.انظر ابن بطوطة، رحلة،ج1،ص50.الإدريسي ، نزهة المشتاق،ج1،ص339.
بلدة تبعد عن دمياط 12كم بمحافظة الدقهلية

التربية والتدريب:

كانت دولة المماليك تولي النشأة والتدريب والتعليم للمماليك أهمية كبرى بسبب المهمة المنوطة بهؤلاء المماليك وهي عبء الدفاع عن الدولة وحمايتها من أي اعتداء خارجي، ولابد للدولة أن تحسن تربية وتدريب هؤلاء المماليك ليكونوا على قدر المسؤولية ولذلك نجد الدولة الأيوبية قد ربطت التربية والتدريب بالدين لما له من أثر في تقوية النفوس واستمرت الدولة المملوكية بعد ذلك على نفس الطريقة المتبعة في التربية والتدريب لاعتبارات خاصة، مفادها دور الدين في أن يكون حافزاً حيوياً يخلق جندياً قادراً على خوض المعارك الفاصلة والثبات في المواجهة وغلق الخيارات أمامه في إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة .

ومن هنا ومن خلال تتبع أسلوب التربية الخاصة بالمماليك من أول لحظة يتم شراؤهم فيها وأخذهم للطباق ومحل الإقامة الخاصة بهم وبدء البرنامج التربوي الخاص بهم ، ومنذ الطفولة تبدأ المدرسة التربوية المملوكية بتعليمهم القرآن والفقه[1] ، كما كان يتم تعليم المملوك مبادئ القراءة والكتابة وتقرر له جامكية[2]، وكانت الطواشية [3] هي المسئولة عن تربية المملوك حيث اهتموا بتربيته على الحشمة والحرمة وإتباع الشريعة الإسلامية في مناحي حياته ، بل كانت كل طائفة مملوكية لها فقيه يحضر لها كل يوم، يعلمها أمور الدين الإسلامي من القرآن والسنة ومعرفة الخط والتمرن بآداب الشريعة الإسلامية وملازمة الصلوات والأذكار وكان لا يتم

---

[1] المقريزي، الخطط، ج2،ص213.

[2] جامكية، مرتب للجندي وهو مبلغ من المال يحدد قيمته السلطان وأصل الكلمة فارسي. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص236.

[3] الطواشية ،جمع طواشي وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة السلطان وحريمه وهنا ليس المقصود بالطواشية هؤلاء الخصيان إنما المقصود المربين والمقاتلين على الرغم من انهم نفس الاسم ، حيث كانت فرق الطواشية المقاتلة والمربية موجودة حتى في العهد الأيوبي ولذلك يجب التفريق بين المعنيين على الرغم أنهما نفس اللفظ. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص12. المقريزي، الخطط،ج2،ص120. طرخان،النظم الإقطاعية،ص163.

تعليمهم الفروسية إلا حينما يشبوا[1]، وممن اشتهر بتربية المماليك وتأديبهم الشيخ يوسف الدباغ المصري الشافعي[2]، ومما اتصف به هؤلاء المماليك الذين جلبوا من بلاد الترك قدراتهم العالية في الصبر والشظف وجرأتهم، خاصة حينما يدخلون الحروب، وذلك لأنهم لم ينعموا بالملذات وطيب العيش[3]. ويذكر أن تلك التربية الصارمة والحازمة هي التي جعلت من المماليك سادة يحكمون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يستطيعون تدبير أمورهم[4]. وبعد التربية الدينية والخلقية للمملوك كان يتم تدريبه على الفروسية واستخدام الأسلحة المختلفة، وأول ما يبدأ به لتدريب المملوك ركوب الخيل، ويبدأ ركوب الخيل بتعليم المملوك ركوب تمثال من طين أو خشب على هيئة فرس، ويعلمهم معلمهم الجلسة الصحيحة وكيفية الركوب، ثم يكلف كل واحد منهم بالوثوب على هذا التمثال حتى يتقن ذلك تماما، ثم يضع سرجا على ظهر التمثال ويدربهم على الوثوب بخفة ورشاقة وهم يحملون سلاحهم ومعدات الحرب والقتال ، فان اطمأن المعلم إلى قدرة المملوك على الوثوب والجلسة الصحيحة على التمثال بدأ تعليمهم على خيل حقيقية، وكان يشترط في الفارس المملوكي الدراية بأمور الدواب مما يصيبها من أمراض وأسباب ذلك المرض وكيفية علاجه[5]حتى يتقن المملوك الجلسة على فرسه، فلا يتحرك إذا ركبه[6]، فركوب الخيل فروسية ومهارة تكسب متقنها قوة ورهبة وتمكن الفارس من توجيه المعركة إلى صالحه فيحرز النصر وينزل الهزائم بأعدائه، وقد أوصى بتعلم ركوب الخيل عمر

---

(1) المقريزي، الخطط،ج2،ص213-214.

(2) السخاوي، الضوء اللامع،ج10،ص340.

(3) ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص169.

(4) المقريزي، الخطط ، ج2،ص214.

(5) نبيل عبد العزيز،مخطوطة نهاية السؤل والأمنية، ص107، رسالة دكتوراة غير مطبوعة.

(6) الشوكاني،البدر الطالع،جج1،ص268-269.

بن الخطاب رضى الله عنه فقال:"علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل".[1] وإن اهتمام السلطان بنفسه في أمر التربية و التدريب ليعطينا دلالات واضحة على لمدى اهتمام الدولة بذلك حيث كان السلطان المملوكي بنفسه يتابع التدريبات والتعليم ويـشاهد بنفـسه ويقـدم تعليقاتـه للمدربين والمتدربين [2] ويستمر المماليك بالتدريب والتنشئة العـسكرية المكثفـة حتـى يـصبح الفارس المملوكي قادراً على استخدام جميع أنواع الأسلحة المتعارف عليها في ذلك العصر مـن الفروسية واللعب بالرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف وكافة فنون الحرب[3]. وكان لابـد قبل تدرج المملوك في أطوار الخدمة العسكرية والترقيات أن يكون قد أتقن استخدام كافة أنـواع الأسلحة سواء الفردية أو الوقائية أو الجماعية، ولا يبلغ الرتب العالية في الجيش إلا وهو علـى أحسن صوره العسكرية والقتالية ولديه من المهارات ما يجعله قادرا على أن يكون فارسا قبل أن يكون قائداً يأمر وينهي إضافة إلى الصفات الخلقية من تهذيب النفس وتحليه بالآداب والأخـلاق الحميدة، وأن تكون قد امتزجت نفسه بتعظيم الإسلام ، واشتد ساعده، ومرن على ركوب الخيـل ، بل وإن منهم من يصبح شاعراً أو أديبا أو حاسباً ماهراً، ورغم كل تلك الصفات التـي حملهـا كل مملوك إلا أنهم كانوا تحت المراقبة والمتابعة، ومن ذلك أنه إذا أخطأ يعاقب، ووصـل بهـم الأمر إلى أنه إذا بلغ المسئول عن أحدهم أنه اغتسل أحد الجنود المماليك من جنابة ينظـر فـي سرواله ، فإن كان به مني لا يعاقب وإن لم يكن موجوداً جاءه الموت من كل مكان[4] وهنا لابـد من وقفة إذ لابد من التأكيد على أن التربية العسكرية الصارمة كما يصورها المؤرخون أنفـسهم لهذا العصر لا تحتمل ذلك الأمر المتعلق بالنظر إلى سروال المملوك فهي تبدو من باب المبالغة

---

[1] الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام،ج1،ص101.

[2] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج14،ص164.

[3] ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،ج4،ص164.

[4] المقريزي،الخطط،ج2،ص213-214.

أو ربما حدثت لمرة واحدة ، حيث لا يمكن قتل المملوك أو إنزال الحد عليه لمجرد أنه اغتسل ولا يوجد بسرواله مني ، لأن المملوك في هذه الحالة لو امتلك الحد الأدنى من التفكير لن يغتسل حتى ولو زنا أو أخرج منياً بأي طريقة كانت، فالدولة المملوكية وسلطتها والقائمون على التربية لا يمكن أن ينزل مستوى قدراتهم العقلية للحد الذي يعتبر تخلفاً عقلياً مع سبق الإصرار، ولا يبني الشرع الإسلامي أحكامه على تلك الأمور. ومن الطريف أن نعثر على نصوصٍ تفيد بأن الدولة المملوكية كانت تأمر بفحص كل مملوك يتم شراؤه طبياً, وهو ما تستخدمه الدول والمؤسسات في العصر الحديث من فحص أي متقدم للعمل قبل تعيينه، فقد عرف النظام العسكري المملوكي هذا الأمر من خلال توصية القائمين على إلحاق المماليك بالنظام العسكري بأن يفحص المملوك الجديد فحصاً شاملا للتأكد من سلامة صحته وعدم وجود أي مرض يمكن أن يصيب غيره بالعدوى من المماليك في الطباق [1]. وبالرغم من وجود تلك التربية العسكرية القاسية إلا أن السلطان المملوكي كان يهتم بهؤلاء المماليك بنفسه من خلال الإنفاق عليهم بسخاء والإغداق عليهم وتقديم أجود أنواع الأقمشة والأطعمة كما سيتضح لاحقاً من خلال البحث ، وإن ما سبق ذكره لا يعني بالضرورة اعتبار تلك التربية قد سارت عليها الدولة المملوكية منذ نشأتها حتى سقوطها ويمكن تطبيق نظرية التاريخ على هذا الأمر وهو ما عبر عنه ابن خلدون من خلال تشبيهه للدولة بأنها تمر بفترات كعمر الإنسان ويمكن تعميم ذلك على كل مناحي التطور في الدولة وأسباب القوة ومن ضمنها التربية فقوة الدولة مرتبطة بنظامها الاقتصادي والعسكري والتربوي..الخ[2] ، فقد سمح للمماليك الجراكسة بالنزول و الإقامة بأحياء القاهرة والزواج من نسائها ، فتركوا طباق القلعة وعاشروا الأهالي وركنوا إلى البطالة فكانت حياتهم على حساب

---

[1] المقريزي،الخطط ،ج2،ص213.

[2] ابن خلدون،المقدمة،ج1،ص163-169.

التربية العسكرية وهذا أدى بطبيعة الحال إلى ضعف المؤسسة العسكرية المملوكية في منتصف ونهايات العصر المملوكي[1]. ومن الملاحظ أن الدولة المملوكية في بداياتها اهتمت بالتنشئة العسكرية على أكمل وجه، بل وشجعت الناس العوام على تعلم لعب الرمح ورمي النشاب ليكونوا جاهزين وقت الأزمات، حتى أن السلطان المملوكي نفسه كان يشجع العامة على تعلم الفروسية وأساليب الحرب وليس الجيش فقط، فما بقي أحد من العامة والجيش لا يتقن ذلك[2] ومن المعلوم أن الأمراء في الدولة المملوكية اهتموا برياضة الصيد فلا يكاد يوجد أمير إلا وكان له موعد مع الصيد والذي كان فيه من الفوائد ما لا يحصى مثل تمرين الخيل ورياضة للنفس ولذة في غير محرم، واكتساب الشجاعة ومعرفة ذوي الألباب، وفيها يبتعد الإنسان عن الذنوب في وقت الصيد، كما يستغني عن الأكل في غير وقت الحاجة كما يداوي ما به من الهموم والغموم ، كما أن الصيد يزيل عن الجسد بالحركات ما به من الأوجاع، كما أن الصيد يزيل الفكر ويحد النظر[3]، كما عمدت المؤسسة العسكرية المملوكية على أن يتقن الجندي السباحة جيداً، بل ويحملون السلاح أثناء العوم، حتى أن السلاطين أنفسهم أتقنوا السباحة وحملوا السلاح أثناء العوم وتنافسوا في ذلك مع الجند مثل ما فعله بيبرس ذات مرة لدرجة أن عجز الجند والأمراء عن منافسته في السباحة وجر الأثقال أثناء العوم [4]. ومن الواضح في النظام العسكري المملوكي أنه لابد لأفراده من ذلك الإتقان للسباحة، وخاصة أن دولة المماليك تطل على أهم البحار في العالم ابتداء من البحر الأبيض المتوسط الذي يفصلها عن أوربا والبحر الأحمر في الجنوب الذي يعتبر من أهم المعابر والطرق التجارية آنذاك ، كما أن نهري دجلة والفرات

---

[1] المقريزي،الخطط ،ج2،ص213.

[2] المقريزي، السلوك،ج2،ص55.

[3] نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد في العصر المملوكي،ص12.

[4] المقريزي،السلوك،ج2،ص82.

كانا يفصلان الدولة المملوكية عن الهجمات المغولية وكثيراً ما تقابلا في معارك وحـــروب فـــي تلك المنطقة ، إضافة إلى نهر النيل الممتد من الجنوب إلى الشمال في مـــصر، كمـــا أن الدولـــة المملوكية ومنذ بداية تدريبها لكل جندي حرصت على التدريب العقلي بالإضافة إلـــى التـــدريب الجسمي ، إضافة إلى التدريب النفسي الذي يتلخص في الإيمانيات والروحانيات التي تـــأتي فـــي إطار تعليمهم الشريعة الإسلامية وما جاءت به من تعليمات بخصوص الجهاد والمرابطة فكـــان الجندي المملوكي يلقى تدريبات وتمرينات كثيرة من شأنها تقوية القدرة العقلية لديه للتأمـــل فـــي الكون وفي النفس [1]، وان يكون قتاله في سبيل الله ونفسه معلقة بالجنة وبذلك يكون قد خـــاض حرباً مقدسة فهو يدافع ويجاهد لتحرير الأرض والإنسان من أجل مرضاة الله قبل كـــل شـــيء، والجندي حين يقاتل بالعقيدة يختلف عما إذا كان يقاتل لمجرد القتال في حد ذاتـــه أو مـــن أجـــل الغنائم ، والمملوك المجلوب من بلاد بعيدة لا يمكن أن يقاتل للدفاع عن أرض ليست وطنـــه إلا إذا تحصن بالإيمان والعقيدة ومن أجل ذلك كان المماليك جنوداً نظاميين وليسوا مرتزقة وهذا ما كان من شأنه أن يبقي استمرارية الجيش المملوكي في القتال لمئات السنين دون كلل أو ملل.

---

[1] الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام،ج1،ص154.

العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية:

حقيقة إن العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية اختلفت من وقت إلى آخر، فهي لم تكن على وتيرة واحدة، والصفة المميزة لتلك العلاقات هي المنازعات والمنافسات ويبدو ذلك نتيجة متوقعة لأنهم جميعاً يرجعون إلى نفس الأصل، فقد كان كل منهم يطمع في السلطة لنفسه على حساب الآخر وكان ذلك يؤدي إلى سياسة الاغتيالات، وبدأ الصراع واشتدت وطأته بينهم بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب حين لم يستطع تورانشاه[1] ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب كسب ود هؤلاء الأمراء، حيث هدد بقتلهم و بقطع رؤوسهم فما كان منهم إلا أن قتلوه شر قتله ، وتولت شجر الدر[2] الحكم التي رفض حكمها الكثيرون، سواء من مركز الخلافة العباسية في بغداد أو البيت الأيوبي الحاكم في الشام، وما كان من شجر الدر إلى أن قضت على الأزمة التي تعرضت لها من خلال الزواج من أحد الأمراء وهو عز الدين أيبك[3]، الذي لم يكن أقوى الأمراء مما جعله يدبر مؤامرة اغتيال للأمير الأقوى في المماليك وهو أقطاي[4]، وفي معركة العباسة 649هـ/1251م بين المماليك بقيادة عز الدين أيبك التركماني والجيش الأيوبي الذي كانت تسانده فرقة المماليك البحرية وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون، اتضحت معالم الفرقة والمنازعات وحجم العداوة والبغضاء[5].

---

(1) تورانشاه: هو ابن للملك الصالح نجم الدين أيوب وكان قد أوصى والده بعدم توليه الحكم من بعده لأنه كان فاسداً وكان يقول عنه انه لا ينفع للملك وكان شارباً للخمر. انظر:ابن واصل، مفرج الكروب،ج5،ص376.الحنبلي، شفاء القلوب،ص379-380.

(2) شجر الدر: تركية الجنس وقيل أرمينية اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ويقال أهديت إليه من الخليفة العباسي وكان لا يفارقها سفراً أو حضراً وولدت له ابناً أسمته خليل ومات وهو صغير.انظر المقريزي، السلوك،ج1،ص459.

(3) أيبك:أصله من مماليك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة والده وكان يعمل جاشنكير وهو المسئول عن تذوق الطعام قبل أن يأكل منه السلطان خوفاً من وجود السم داخله ويذكر أن أيبك كان ملتزما بالصلاة ولا يشرب الخمر وكان حسن الوجه والأخلاق.انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص4. المقريزي،السلوك،ج1،ص464.

(4) ابن خلدون، العبر،ج5،ص420. وقد ذكر أن الفرقة التي كلفت بقتل أقطاي مكونة من ثلاثة أفراد من بينهم قطز.

أقطاي:وهو احد أمراء المماليك التركية البارزين الذي دبر له مؤامرة القتل عز الدين أيبك التركماني سنة ستمائة واثنين وخمسين هجرية بعد أن استدعاه إلى القصر.انظر:المنصوري،التحفة الملوكية،ص35.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،،ص46.

ومن ضمن الفرقة المكلفة باغتيال أقطاي كان قطز[1] الذي سيتولى الحكم بعد اغتيال عز الدين أيبك وفرض الإقامة الجبرية على ابنه الصغير المنصور علي ، كان بيبرس[2] وقلاوون وهم من أكابر أمراء المماليك قد هربوا إلى الشام بعد اغتيال كبيرهم أقطاي، وسنجد أن حادثة قتل أقطاي ستلقي بظلالها على الساحة العسكرية المملوكية حتى سقوطها ، وعلى الرغم من أن دماء أقطاي ذهبت أدراج الرياح إلا أنها كانت الحبر الذي كتب به قانون الدولة المملوكية، من ترسيخ لمبدأ سيادة الأقوى دون خجل أو مواربة ،مما جعل الشرعية للذي يستطيع أن يفرض نفسه بالمؤامرات والاغتيالات وأن يصبح القاتل هو السلطان نفسه، بعد نجاحه في اغتيال من سبقه[3]، فقد هرب بيبرس ومعه مجموعة من الأمراء، منهم قلاوون الألفي إلى الشام ويبدو هروبهم لهدفين ، الأول إنقاذ حياتهم لأنهم من جماعة المغدور أقطاي، والهدف الثاني اللجوء لحكام الأيوبيين في الشام كونهم أصحاب السلطة الشرعية في مصر، الذين تربطهم مع هؤلاء الأمراء مصلحة مشتركة لاستعادة مصر من المماليك، وعلى رأسهم عز الدين أيبك وذراعه الأيمن قطز[4]،واستمرت المؤامرات حتى بعد اغتيال أقطاي حيث كمن كل من شجر الدر وأيبك لبعضهم البعض، فأيبك أراد التخلص من امرأة قوية لها أطماع بالبقاء في مركز اتخاذ القرار، مما لا يروق له، وأما شجر الدر فشعرت بكل ما تشعر به المرأة من غيظ حين يفضل رجل عليها امرأة أخرى ، فأيبك استعاد امرأته الأولى والدة ابنه الوحيد المنصور علي، وجعلها زوجة الملك الشرعية واستثنى شجر الدر من هذا الشرف، مما جعل كل منهما يتربص بالأخر

---

[1] قطز:هو محمود بن مودود موصوف بالمواظبة على الصلاة والشجاعة مجاهد بطل وهو ثالث ملوك الترك تولى في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسون وستمائة.انظر:المقريزي، السلوك،ج1،ص507.اليافعي،مرآة الجنان،ج4،ص149.ابي شامة، تراجم رجال القرنين،ص210.اليويني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص368.

[2] بيبرس،تركي الجنس حكم سنة 658هـ وتوفى 676هـ أي حكم ثمان عشرة سنة وشهرين وكانت وفاته في دمشق و دفن فيها و عاش سبعة وخمسون عاماً كان ذا دهاء وعزيمة وقد كان مملوكاً لعلاء الدين البندقداري وهو الذي أحيا الخلافة العباسية بالقاهرة. انظر المقريزي، السلوك،ج1،ص458.المنصوري، مختار الأخبار،ص12 القرماني، اخبار الدول،م2،ص272.

[3] المنصوري،بيبرس،التحفة الملوكية،ص26–27.مختار الأخبار،ص12،11. القرماني،أخبار الدول،ص269–271.

[4] ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص60–61.

وسرعان ما انتصرت مكائد النساء، حيث استطاعت شجر الدر اغتيال زوجها السلطان بتدبير مؤامرة اغتيال محكمة، لكنها وعلى الرغم من حنكتها السياسية وقدرتها على إدارة الصراعات والتغلب على الأزمات المتعلقة بأمور الحكم مما جعلها تلعب بالأمراء المماليك كلعبة الشطرنج إلا أنها كانت ضعيفة أمام امرأة مثلها وهي الزوجة الأولى لأيبك، التي أرادت الانتقام من قاتلة زوجها، فكانت نهاية تلك المنظومة التآمرية بقتل شجر الدر شر قتلة وإلقاءها من نافذة القصر السلطاني، لتنتهي حياة شجر الدر[1]. ومن ثم تولى الحكم المنصور علي وهو ابن عز الدين أيبك الذي لم يكن مؤهلاً لقيادة الدولة والأمة[2] في وقت كان التتار على أبواب الشام بعد القضاء على مركز الخلافة العباسية، فتولى قطز أتابك العسكر الذي كان القائد الأقوى في الجيش المملوكي، في ظل غياب بيبرس الذي لم يتردد بعد عام من تولية قطز، وتحقيق إنجاز تاريخي هام وهو القضاء على الخطر المغولي، من خلال المعركة الفاصلة عين جالوت، فكانت حادثة قتل لقطز صاحب المجد في الانتصار الذي لم يشفع له عند بيبرس ومواليه، فاستغلوا فرصة خروج قطز إلى الصيد أثناء رجوع القوات المملوكية إلى مصر وقتلوه وولوا بدلاً منه بيبرس، الذي لم يواجه أدني درجات الاستنكار على فعلته ، بل أصبح سلطاناً ظاهراً لدولة المماليك والذي تمكن من تأسيس دولة خاصة بالمماليك[3]. ومن المهم الإشارة إلى مسألة هامة تحسب للمماليك وخاصة إلى بيبرس، هي تكاثف جهود المماليك وقت الأزمات والاعتداءات الخارجية على مر العصر المملوكي، وعلى سبيل المثال موقف بيبرس البطولي تجاه الأزمة التي عصفت بالبلاد الإسلامية حين دمرتها العنجهية المغولية ،فقد تناسى أحقاده ورفض البقاء مع الأيوبيين في الشام، لأنهم

---

[1] ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص60-61.

[2] القرماني،أخبار الدول،م2،ص268-269.

[3] ابن أبي جرادة،بغية الطلب في تاريخ حلب،ج2،ص1020.ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص281-282. الجبرتي، عجائب الآثار،ج1،ص30.

رفضوا مواجهة التتار ورجع إلى مصر ليكون تحت قيادة قطز في مواجهة التتار، وكان له دور لا يقل أهمية عن دور قطز داخل المعركة[1]، فقد تناسى أحقاده قبيل المعركة على الرغم من علمه المسبق بأن قطز كان له دور في اغتيال سيده أقطاي، ولو أن بعض المصادر لم تذكر اسم قطز في المجموعة التي اغتالت أقطاي[2] إلا أن الواقع يؤكد الظن بأن قطز متورط بحادثة الاغتيال، فقد قام أيبك بتعيين قطز أتابكاً للعسكر المملوكي بعد حادثة اغتيال أقطاي، بل حمل قطز لقب نائب السلطنة وأمير للجيوش، وهو منصب جديد لم يعرفه المماليك من قبل وهي وظيفة مستجدة[3]،فلماذا كل هذه الثقة بقطز إن لم يكن متورطاً أو على الأقل غض الطرف عن تلك المؤامرة أو حتى إبدائه للولاء لأيبك ؟ ومع كل ذلك فقد كانت رسالة بيبرس إلى قطز قبل رجوعه إلى مصر وفيها طلب الأمان ليتمكن من ملاقاة التتار وصدهم عن عدوانهم تحمل كثيرا من المعاني البطولية [4] ، وعلى الرغم من أن كثير من المؤرخين يجمعون على أن بيبرس هو المدبر والمنفذ لحادثة قتل قطز أثناء عودة الجيش من المعركة[5] فهي قضية لها ملابساتها الخاصة وهي بمجملها لا تدين بيبرس بقدر ما تعبر عن واقع موجود وحالة عامة كانت بين الأمراء المماليك يتحمل وجودها كل الأمراء بلا استثناء سواء القاتل أو المقتول، فالقاتل يريد البقاء والسيطرة لأنه يعتقد أنه الأفضل من خلال تربيته وعقليته ووضعه الاجتماعي والعسكري، والمقتول أيضاً يتحمل المسؤولية كونه أقر بواقع المؤامرات واقتناعه بقاعدة ضرورات الحكم، وحقيقة إن المصادر التاريخية[1] التي تناولت التاريخ المملوكي مليئة بحوادث الاغتيال والدسائس

---

(1) العسقلاني،الفضل المأثور،ص36. اليويني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص366.السيوطي،تاريخ الخلفاء،ج1،ص475.

(2) المنصوري،الفضل المأثور،ص35.ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص60.

(3) المنصوري، التحفة الملوكية، ص33.

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب،ج2،ص394.المقريزي،السلوك،ج1،ص42.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص101. 0.اليويني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص368.

(1) انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص433.العسقلاني، الفضل المأثور،ص35. ابن خلدون، العبر،ج5،ص433 ابن العماد،شذرات الذهب،ج5،ص336.ابن كثير، البداية والنهاية،ج13،ص196-199. بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية،ص35.

بين الأمراء ولا مجال للخوض فيها بصفحات قليلة لا تفي بدراسة الموضـــوع، ولا تبـــين كـــل الملابسات الظاهرة والباطنة، فالحوادث التي تلت وفاة بيبرس تعبر عن ثقافة موجودة ، فالأمير قلاوون مثلاً استولى على الحكم من ابن بيبرس لأنه شعر بضعفه وجعـــل الحكـــم فـــي أولاده، وحتى أولاده لم يسلموا من الانقلابات حيث انقلب على أولاده بيبرس الجاشنكير[2] وســـيلار[3]، واستولوا على الحكم ومن ثم استطاع الناصر محمد[4] استعادة ملكه منهما وقتلهما [5]، وحادثـــة اغتيال الملك المنصور لاجين[6] أيضاً كانت معبرة عن مدى وجود تلك المؤامرات حيـــث تـــم قتله وهو يصلي[7] ، وبالمجمل فإن حوادث تلك الاغتيالات لها ظروفها الزمنية والمكانية ، الذي يثير الاستغراب هو موقف الشعب من تلك الحوادث ،حيث كان لا يتدخل ولا يعنيه الأمـــر مـــن قريب أو بعيد مما يطرح عدة تساؤلات، وهي لماذا الدور السلبي للمجتمع مـــن تلـــك الحـــوادث ويبدو أن السبب وراء ذلك هو أن المماليك جاءوا من بلاد بعيدة وحكموا تلك المجتمعات والتـــي لم تكن راضية عن ذلك لكنها لا تملك إلا أن تكون مستسلمة لأي منهم فكلهم سواء بالنسبة لتلك المجتمعات.

عناصر الجيش المملوكي وأقسامهم:

---

[2] بيبرس الجاشنكير، هو احد مماليك المنصور قلاوون وكان جركسي الجنس استطاع أن يستولي على السلطنة بمصر في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بدار سلار ولقب بالملك المظفر. انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج6،ص18.اليافعي،مرآة الجنان،ج4،ص244.ابن كثير، البداية والنهاية،ج4،ص48.

[3] سلار،كان احد أمراء المماليك في عهد الناصر محمد بن المنصور قلاوون كان أسمر وذا هيبة وأصله أحد مماليك المنصور قلاوون وكان احد المتآمرين على الناصر محمد وتولى نيابة السلطنة لمدة 11سنة واستطاع الناصر محمد الانتقام منه بان قتله جوعاً مع انه بلغ من الجاه والمال ملا يزيد عليه.انظر:ابن العماد، شذرات الذهب،ج6،ص19.

[4] الناصر محمد، هو الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد بن السلطان المنصور قلاوون وهو السلطان التاسع من ملوك الترك في مصر ولد بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة تولى الحكم وعمره تسع سنين بعد مقتل أخيه الأشرف،خلعه كاتبغا ونفاه إلى الكرك ومن ثم عاد للحكم ولكن تحت سيطرة بيبرس الجاشنكير وسلار مما جعله يترك الحكم للمرة الثانية ومن ثم عاد للحكم بعد أن اشتد عوده وقتل بيبرس وسلار.انظر ،ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج6،ص134.

[5] القرماني،أخبار الدول،ص280-281.

[6] هو الملك المنصور لاجين بن عبد الله تسلطن بعد خلع الملك العادل كاتبغا يوم الجمعة عاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة وأصله مملوك للمنصور قلاوون وعمل نائباً لدمشق.انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص85.

[7] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص101-102.

إن الحديث عن عناصر الجيش المملوكي وأقسامه يحتاج إلى وضع إطار خاص لـــه، لأن التنظيم الحقيقي للجيش وأقسامه سيظهر جلياً في الفصل الثاني تحت عنوان ديوان الجــيش، أما هنا فسيتم الحديث عن عناصر الجيش بشكل عام، دون الخوض في التفاصــيل ، فعناصــر الجيش المملوكي في تلك الفترة لم تكن بالشكل المنظم فعلياً، وإنما كانــت مجموعــات مدربــة ومقاتلة تخضع للنظام العسكري الأيوبي ،وإن كانت هي المجموعات الأكثر والأقوى، لكنها لــم تكن ذات سيادة أو كيان مستقل أو معترفاً بها، وإنما اكتسبت الشهرة والاعتــراف مــن خــلال انتصارها الساحق في معركة المنصورة على الصليبيين، وازداد الاعتراف فيهم ككيان عسكري له شأنه في المنطقة بعد اغتيال تورانشاه الوريث الوحيد لملك مصر ، والجيش المملــوكي كــأي جيش عبر التاريخ فيه الأمراء والجند والمؤسسات العاملة ضمن المنظومة العسكرية .

وأقسام الجيش منذ قيام الدولة سنة 648هـ/1250م وحتى سقوطها على يد الأتراك العثمانيين 923هـ/1517م يتكون من ثلاث فئات رئيسة هي:

(الجند السلطانية –أجناد الحلقة– أجناد الأمراء) وكانت هذه الفئات الثلاث تخضع لنظم وقواعــد خاصة ، كما كانت لها حقوق وعليهــا واجبــات ، وأشــرف عليهــا جميعــاً ديــوان الجــيش المملوكي[1]،وإن هذا الديوان أضبط الدواوين وأكثرها دقة ونفعاً[2] وفيه سجلات النظام العسكري كله من أسماء ورتب ورواتب وإقطاعات الأمراء وأحوال الجند.

أ–الجند السلطانية:

---

(1) القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص53–54. عاشور، العصر المماليكي،ص359.

(2) المقريزي،الخطط،ج2،ص215.

وهم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً [1]، وأطلق عليهم اسم السلطانية لأنهم خاصة السلطان، فهو المسئول المباشر عن شرائهم وتربيتهم وإقامتهم وكسوتهم وإطعامهم ، لدرجة أنهم مقيمون بنفس مكان السلطان في طباق القلعة ، وكان من مهامهم الأساسية حراسة السلطان والقلعة والمناوبة على ذلك[2]، وهم خليط من قوميات مختلفة بحسب ما كان التاجر يأتي بهم ويتم استيعابهم بطباق القلعة بنظام معين وتربية خاصة وإتباع أسلوب التدرج حتى يصبحوا فرسانا أشداء كقوات خاصة لأداء مهام السلطنة بلا نقاش مقابل إقامتهم الكاملة، والإغداق عليهم بشكل كبير، وكان معظمهم من الأكراد والتركمان[3]. ثم بدأ استيعاب مماليك جدد من قوميات مختلفة من الشراكسة والروم والروس، وأقلية من البلاد الأوربية ولكن معظم من كان بالقلعة من المماليك السلطانية كانوا مجلوبين من جزيرة القرم وبلاد القوقاز والقبجاق[4]، وقد بلغ عدد المماليك السلطانية في عهد المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمئة مملوك فأراد ابنه الأشرف خليل[5] تكملة العدد إلى عشرة آلاف مملوك[6].وانتسب المماليك السلطانية إلى سلاطينهم وأساتذتهم بالاسم مثل الظاهرية نسبة إلى الظاهر بيبرس، والأشرفية نسبة إلى الأشرف، والناصرية نسبة إلى الناصر، والمنصورية نسبة إلى المنصور قلاوون وهكذا[7]

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى،ج4،ص14-15-16.

(2) العسقلاني،الفضل المأثور،ص128.

(3) المنصوري، مختار الأخبار،ص27.

(4) المصدر نفسه،ص27-28. وانظر عدوان، المماليك،ص15. قاسم،علي، الأيوبيون والمماليك،ص127.

(5) هو ابن للملك المنصور قلاوون تولى السلطنة بعد أبيه وفي عهده تم زوال دولة الفرنجة من بلاد الإسلام وتم فتح الكثير من البلدان مثل عكا وقلعة الروم وصور وعتليت وصيدا وبيروت وحيفا وبعد مقتله تولى أخيه الناصر محمد.انظر، ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة،ج7،ص334.المنصوري،مختار الأخبار،ص92.ابن دقماق، النفحة المسكية،ص91.العليمي،الأنس الجليل،ج3،ص393.

(6) المقريزي،الخطط،ج348،2.

(7) انظر:ابن تغري بردي،ج11،ص89 ،ص80. ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج2،ص319،ج6،ص209.

ب- أجناد الحلقة:

جاء في المعجم أن الحلقة هي كل شئ استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة، وكذلك إذا استدارت مجموعة من الناس[1]، وقد جاءت كلمة الحلقة في المصادر التاريخية المتعددة بمعنى السلاح، وبمعني الدروع كونها مصنوعة باستدارة[2] وقد عرفت فرق الحلقة في الجيوش الإسلامية السابقة للعهد المملوكي،فذكرت في العهد الزنكي، كما ذكرت في العهد الأيوبي في جيش صلاح الدين[3] وأما في العهد المملوكي فقد كانت تتكون تلك الفرقة من محترفي الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم، وهم على هذا الأساس جيش الدولة الذي لا يتغير ولا يتبدل، وهو صمام الأمان للنظام العسكري المملوكي، ويشرف على كل ألف منهم أحد الأمراء المئتين كما كان لكل مئة منهم نقيب، ويشترط فيه الإلمام بمحل إقامتهم لجمعهم عند الطلب وليس لأميرهم سلطة عليهم إلا في الحرب، وقد أضيف إليهم الفيالق المأجورة من التركمان والبدو الذين كانت مصالحهم ترتبط بالسلطان لحماية ممتلكاتهم، حيث إنهم أحرار أو مماليك حصلوا على حريتهم أو أبناء المماليك السلطانية بالأصل، وهم الذين حصلوا على إقطاعات في أرجاء الدولة المملوكية مقابل حضورهم أثناء الحاجة ووقت الحروب بمعنى أنهم ما يطلق عليهم في العصر الحديث الجيش الاحتياطي وهم من محترفي الجندية، وقد أطلق عليهم مصطلح أولاد الناس [4]، وهؤلاء كانوا يقيمون بإقطاعاتهم أو بيوتا تهم وموزعين بالإقطاعات والإمارات والقلاع وبكل أرجاء الدولة المملوكية وكان يقع على عاتقهم المساندة الفورية وقت الحاجة، على خلاف المماليك السلطانية الذين كانوا في طباق القلعة تحت عين السلطان والمكلفين بحماية

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب،ج10،ص61.

[2] الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج2،ص85.البلاذري، فتوح البلدان،ج1،ص31.ابن كثير، البداية والنهاية،ج6،ص319.

[3] ابن الأثير،الكامل،ج10،ص2196.

[4] ابن تغري بردي،،النجوم الزاهرة،ج8،ص162.سيمنوفا، صلاح الدين والمماليك،ص76

العرش دائما وفي كل الأوقات، ونفقاتهم على السلطان سواء في مأكلهم أو إقــامتهم أو كــسوتهم وهم يعتبرون الحرس الخاص للسلطان[1]، وكان لكل أربعين من أجناد الحلقة مقدم[2].

وكان يتم اختيار مقدمي الحلقة بعناية فائقة، ويشترط فيهم صفات القوة والأخلاق العالية ، ويبــدو أن مسمى أجناد الحلقة جاء في إطار أن هؤلاء عبارة عن مجموعات متفرقة في شــتى أرجــاء الدولة من ثغور وقلاع، وخاصة في أطراف الدولة المملوكية حين يتم طلبها تأتي في حلقات كل حلقة تملك سلاحها وتجهيزاتها، فهي تأتي بمعنى مجموعات أو فرق ، كما أن هناك علاقة بــين المسمى والأرض المقطعة لهم،حتى إن الجند سموا باسم أجناد الحلقة أي الجنود التابعين لحلقات الأمراء الإقطاعيين. ومن الواضح أن المماليك السلطانية يمكن أن يصبحوا من أجناد الحلقة حين ينعم عليهم السلطان بذلك من خلال فك الارتباط معهم بإعطائهم إقطاعا في منطقة ما في الدولــة المملوكية، فكما فعل السلاطين مع كثير من أجنادهم وأمرائهم[3] بيد أنه من الصعب أن يــصبح أجناد الحلقة من المماليك السلطانية، وكأن المسالة هنا تتعلق بطريقة تدرج العنصر الممــاليكي، فالمماليك الجدد لايمكن لهم أن يصبحوا أجناد حلقة، بل ضمن المماليك السلطانية ليتم إعــدادهم الإعداد الكامل، وعلى الرغم من أن المماليك السلطانية وأجناد الحلقة مختلفين عن بعضهم فــي الحقوق والواجبات إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن أحدهما أفضل من الآخــر، فلكــل مــنهم ميزاته التي يحسد عليها، ومن خلال تتبع أصول أجناد الحلقة يلاحظ أن المماليــك الــذين أنعــم عليهم السلطان بالإقطاعات وأصبحوا من أجناد الحلقة ليسوا هم أجناد الحلقة فقط، وإنما أجنــاد الحلقة تشمل أيضا الفرسان من أبناء مصر والشام الأصليين ، كما تشمل أبناء المماليك الذين تــم

---

[1] القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص14-16

[2] المصدر نفسه،ج4،ص16.

[3] المقريزي،الخطط،ج1،ص250،ج2،ص2-5.

إعطاؤهم حريتهم[1]. ومما يؤكد أن المماليك السلطانية كانوا أوفر حظاً في الرواتب هو أن الأجناد السلطانية يفوق راتبهم أجناد الحلقة، وكذلك أمراء الجهتين، بل وإن إمرة أجناد الحلقة تزول بمجرد انتهاء الحرب[2]، وليس له على الجند سلطان بعكس المماليك السلطانية الذين يبقى لهم حق الإمرة على جنودهم[3]، ومن الطبيعي أن أجناد الحلقة كانوا أقوى في بدايات العصر المملوكي، وانحدر مستواهم كلما انحدرت الدولة ، فالقوة دائما مرتبطة بقوة الدولة ذاتها وكأي انهيار لمؤسسات الدولة، فان أجناد الحلقة لم يكونوا بعيدين عن حركة الانحدار، فبعد عصر الناصر محمد بن قلاوون دخلت عناصر غريبة تدريجيا إلى أجناد الحلقة من خلال قيام أجناد الحلقة المعينين من قبل السلطان ببيع إقطاعاتهم ومبادلتها بمال مع أراذل الناس على حد تعبير المقريزي حيث قال:" وصار في زماننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وخربت أراضي إقطاعاتهم".[4] و كان ضمن أجناد الحلقة أبناء أمراء المماليك أيضاً [5]. كما دخل أولاد السلاطين أنفسهم أجناد الحلقة، حيث لا يعقل أن ينضموا أولاد السلاطين إلى المماليك السلطانية والذين يعتبرون عبيداً للسلطان أو للدولة، لكن أولاد السلاطين كانوا أكابر أجناد الحلقة والصف الأول فيهم وكان يطلق عليهم الأسياد [6].

ج-أجناد الأمراء:

ويقصد بهم مماليك الأمراء، وقد كانت تلك القوات مسجلة في ديوان الجيش، وهم موزعون في أقطار المملكة وبلادها، وفيهم العرب والتركمان والأتراك والجركس والروم والأكراد

---

(1) المقريزي، الخطط،ج2،ص216.

(2) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(3) . المصدر نفسه،ج2،ص216.

(4) المصدر نفسه،ج3،ص355-356.

(5) المقريزي، الخطط،ج2،ص216.

(6) ابن تغري بردي، حوادث الدهور،ص142.

وغالبيتهم من المماليك المبتاعين، وهم طبقات، أكابرهم من له إمرة مئة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل، ومنهم أمراء طبلخانات لهم ما بين الأربعين والسبعين فارساً[1]، ولكن جنود الأمراء يتلقون أوامرهم من أمرائهم مباشرة، وليس من السلطان كالمماليك السلطانية أو أجناد الحلقة، فأجناد الأمراء مسجلون في الديوان تحت اسم أميرهم ولا يستطيع الجندي أو الأمير تغيير تبعيته إلا بأمر سلطاني عن طريق الديوان [2]، وكانت رواتب وأعطيات أجناد الأمراء أكثر بكثير من رواتب وأعطيات أجناد الحلقة فقد كانت تصل سبعة آلاف دينار إلى أمير العشرة أما أجناد الحلقة فألف وخمسمائة دينار فقط[3]، وتعتبر أجناد الأمراء هي الأكثر عدداً من جند المماليك السلطانية أو أجناد الحلقة، وقد بلغ مجموع الجند كلهم في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من سلطانية وحلقة وأجناد الأمراء أربعة وعشرون ألفاً، وكان أكثرهم جند الأمراء حيث بلغوا قرابة نصف العدد وحدهم[4]. وأمراء الأجناد بالأصل كانوا مماليك صغاراً ثم أنعم عليهم السلطان بالحرية لكفاءتهم القتالية، وأعطاهم صلاحيات وإمرة وتشريفة خاصة وكانت الرتبة التي يحصل عليها الأمير المملوكي تجعله سلطانا مصغراً له إسطبل ومخازن ومجموعة من المباني وله من الموظفين ما يكفيه، إضافة إلى اقتنائه عددا من المماليك سموا بأجناد الأمراء[5]. ولو دققنا النظر والبحث في مميزات أمراء الأجناد سنجد بأن الواحد منهم سلطان مختصر، لأنه يملك كل ما يملكه السلطان من مباني وخيول ومماليك وسلطة وهيبة ولكن بشكل

---

[1] المقريزي،الخطط، ج2،ص215-216.

[2] المصدر نفسه، ج2،ص215-216.

[3] المصدر نفسه، ج2،ص215-216.

[4] المصدر نفسه،ج2،ص217-218.

[5] القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص54-60.

مختصر عن السلطان ، مما يعني أن الأمير كان يعيش حياة أفضل من السلطان نفسه لأنه بعيد عن المخاطر والدسائس، بعكس السلطان الذي ستسقط رأسه في أقرب فرصة للمتربصين.

الوضع السياسي والاجتماعي للجيش المملوكي:

إن الباحث في الأوضاع الاجتماعية للمماليك لا يمكن أن يتجاوز مسألة مهمة، وهي أن المماليك تم شراؤهم من أسواق النخاسة ،فهم رقيق وعبيد لأسيادهم وسلاطينهم ، لكنهم استطاعوا تغيير أوضاعهم ،كل حسب كفاءته وقدراته، ولما سنحت الفرصة لهم أصبحوا أسياد البلاد، وتحكموا في رقاب العباد ،فمنهم من أصبح سلطاناً لمصر والشام من بداية العهد المملوكي وحتى نهايته، ومنهم من تبوأ مكانة رفيعة داخل الجيش، ومنهم من كان من الأثرياء، وقد كان يظهر ثراء بعض المماليك حينما يتوفى الواحد منهم ، حيث إن بعضهم لم يتزوج ولم ينجب ولم يكن له وريث لثروته، فيتم الاستيلاء عليها من قبل الدولة ويتم بيع أملاكه فيشتريه من يريد، ومن ذلك أن أحد المصريين اشترى بيتاً للمملوك المتوفى واستولى على ما كان به من ذهب ومال وبه اشترى ضياعا وأملاكا كثيرة وكان ذلك المصري قد عرف سر هذا الذهب أثناء مهمة له داخل البيت قبل وفاة هذا المملوك[1]. وبصورة عامة فإن المجتمع المملوكي مكون من ثلاث طبقات كبرى، تضم كل منها فروعاً طبقية صغيرة وهذه الطبقات هي : رجال السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة، أما الطبقة الثانية فهي رجال القلم من موظفي الدولة والدواوين والقضاة ورجال التعليم، والطبقة الثالثة هي أرباب الحرف المختلفة[2]، وعلى سبيل المثال فإن بيبرس المنصوري وهو صاحب عدة مؤلفات منها التاريخ الذي وضعه في أحد عشر مجلداً وكتابه مختار الأخبار، وكتابه الآخر التحفة الملوكية، وبعض الكتب الأخرى في

[1] الخشاب،أخبار أهل القرن الثاني عشر،ص40-41.

[2] طرخان ،النظم الإقطاعية،ص299.

تفسير القرآن الكريم[1] يعطينا مثالا عن مدى ما وصل إليه المماليك من رفعة الشأن وعلو المكانة، وعظيم الهيبة، وهذا التطور لعنصر المماليك لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة للتربية التي تلقاها المماليك منذ صغرهم، من تعلم الفقه والقرآن والحديث والفنون الحربية والعسكرية ، إضافة إلى أن السلطة الحاكمة هي من المماليك أنفسهم، مما يجعل حظ المملوك وافراً بالترقي اجتماعياً وعسكريا واقتصادياً، ولم تكن تلك الصورة هي الوحيدة في المماليك من أنهم ذوي علم وأخلاق، وإنما ظهر من المماليك من كان للفساد لاهثاً، ومن ذلك أن السلاطين أنفسهم اختلفوا في تعاملهم مع قضايا الفساد، فمنهم من غض الطرف وتبعه عدة من المماليك في الفساد، ومنهم من كان سيفاً مسلطاً على المفسدين كالظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل والناصر محمد الذي أمر ذات مرة بضرب جندي مملوكي لأنه كان سكراناً [2]. ولا يمكن تجاهل تنافس أمراء المماليك وتنازعهم على السلطة واغتيالهم لبعضهم البعض[3]، بل وصل الأمر بين أمراء المماليك أن يقول احدهم لجماعته :"من جاءني برأس فلان من منافسيه فله إقطاعه"[4]وحتى بيبرس نفسه والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك ،على حد تعبير أحد الباحثين المحدثين له صفحتان الأولى قبل توليه الحكم وكلها غدر وقتل ومؤامرات وبطش ، والثانية بعد توليه السلطنة وكلها إصلاح وبطولة ونبل وعظمة[5]. وإن كان هذا الكلام صحيحاً لكن فيه نظر ، فليت هذه هي الطريقة المناسبة لتصنيف أعمال بيبرس، لأن بيبرس كان له دور كبير في الجهاد ضد الصليبيين وخاصة في صد حملة لويس التاسع في المنصورة، فقد كان

---

[1] السيوطي،طبقات المفسرين،ج1،ص266.

[2] السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص302.

[3] المنصوري،التحفة الملوكية،ص34-35.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام،ص28.

[5] الطنطاوي،رجال من التاريخ،ص60.

لبيبرس الدور الرئيس في تلك المعركة كما أسلفنا، وكان ذلك أثناء جندية بيبرس، وأما حين أصبح سلطاناً فمن غير الطبيعي أن يكون مسالماً إن شعر بأي خطر عليه ولو كان من أقرب المقربين له، وبالتالي فإن القول كان غير دقيق بخصوص بيبرس. وإنه يمكن التعميم بكل ما تحمله الكلمة من معنى بأن العصر المملوكي كله من بدايته إلى نهايته اشتمل على عدة حقائق، منها سياسة الاغتيالات والمؤامرات، التي لم تبرأ فيها ذمة أحد، فكلهم أتقنوا نظرية ضرورات الحكم ووجدوا لها من المبررات ما يقيهم عقدة الذنب ، وهنا لا نتحدث عن إيجابيات وسلبيات ، ولكننا نتحدث عن أوضاع اجتماعية وسياسية داخل منظومة المماليك، ومن الأحداث التي تعبر عن أوضاع المماليك، ما كان يحدث حتى بين الأشقاء، مثلما فعل الأشرف خليل بن قلاوون، حيث قتل أخاه علاء الدين حين كتب والده قلاوون كتابا بتولية العرش لعلاء الدين[1]، مع أن الأشرف خليل كان له الفضل في طرد آخر صليبي من بلاد الشام[2]،وخير تعبير عن الوضع السياسي والاجتماعي للمماليك هي تلك الحقبة أثناء تولية الناصر محمد بن المنصور قلاوون، فتلك الحقبة حملت الكثير من التعبيرات عن الحالة التي كان يعيشها المماليك، ومن أهم تلك الحالات ما يخص السلطان نفسه حيث نزعت السلطة منه ثلاث مرات على يد متآمرين من أمراء المماليك واستطاع الناصر محمد في المرة الثالثة استرجاع ملكه والتخلص من المتآمرين[3]. ومن الواضح أن تلك الأحوال السائدة في النظام العسكري المملوكي نتيجة متوقعة للظروف الزمنية والمكانية للمماليك ، فالمملوك الذي نشأ في النظام العسكري منذ طفولته وأتقن لعبة الموت ولم يعش داخل أسرة فيها الأب والأم والإخوة، كان لابد أن يختلف تفكيره عن تفكير

---

(1) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية،ص14-15.

(2) العليمي،الأنس الجليل،ج3،ص393.

(3) الشوكاني،البدر الطالع،ج2،ص237.الجبرتي،عجائب الآثار،ج1،ص33.محمد فريد بك المحامي،،تاريخ الدولة العثمانية،ج1،ص86.؟

من نشأ في ظروف طبيعية ،ولذلك فمن غير المعقول أن نغفل تلك النشأة ،فلو كان ما حدث بين المماليك إجراما لوجدنا من المصادر المعاصرة لهم ما يفيد بذلك ، لكن الكتابات في معظمها ذكرت الأحداث دون الإشارة إلى الإجرامية،بل ربما اعتبرت ذلك قوة وحنكة عسكرية،أو من ضرورات الحكم فيجب على كل من يتولى الحكم آنذاك أن يكون حازماً قوياً، ليحافظ على العرش والنظام العام.

حجم الجيش المملوكي وتطوره:

مما سبق يتضح مدى حاجة المجتمع في العصر الأيوبي لجيش يدافع عنه، خاصة في ظل وجود الحملات الصليبية ،فقد ازدادت حاجة المجتمع لزيادة حجم الجيش المملوكي،خاصة بعد أن أثبتت القوات المملوكية جدارتها في حرب المنصورة، التي أظهرت فيها براعتها وشجعاتها مما جعل مبرر زيادة المماليك مطلبا حيويا وإستراتيجيا، فقد ذكر ابن تغري بردي أن الأيوبيين في مصر زادوا الجيش المملوكي إلى اثني عشر ألفاً، وهذا العدد كان في عهد الصالح نجم الدين أيوب(1)،وحين توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب لم يزد عدد الجيش في عهد شجر الدر(2) التي كانت تسعى لنيل الاعتراف بسلطتها، فلم تنجح لكن الظروف المحيطة بها كانت تتطلب زيادة الجند لسلطنة زوجها عز الدين أيبك ليدافع عن ملكه، وبالفعل حاول أيبك زيادة عدد الجيش وخاصة بعد أن ضعف جيشه بعد هروب عدد من المماليك بعد اغتيال أقطاي، لكنه لم يستكمل خطته لأن الاغتيال كان أسرع، حيث قتلته شجر الدر. ومما يجدر التنويه إليه أن الوضع الطبيعي لأي نظام عسكري أو قائد أن يزيد في عدد جيشه بقدر استطاعته، وحين يتضح أن فترة ما لم يكن بها زيادة في عدد الجيش، فإن ذلك مؤشر على أن هناك أمراً ما أعاق زيادة

(1) االنجوم الزاهرة،ج7،ص197-198.

(2) الدليل على ذلك أن عدد المسلمين في معركة عين جالوت كان عشرة آلاف فارس وهو ما يجعل الفترة ما بين الملك الصالح نجم الدين أيوب ومروا بشجر الدر وأيبك التركماني وقطز أنها فترة لم تشهد زيادة في عدد الجيش .

عدد الجيش، وهي أمور متعلقة بالأوضاع السائدة، ففي عهد أيبك فر من جيشه الكثير من أتبـــاع أقطاي، مثل بيبرس وقلاوون والموالين لهم كما تم ذكره، وأما في عهد سيف الدين قطز فقد بنى جيشا قويا، لكنه لم يكن ذا عدد كبير فقد بلغ في معركة عين جالوت جيش المماليك عشرة آلاف فارس[1]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن عدد المماليك هذا لم يكن الوحيد في المعركة، إنما كـــان هناك من المتطوعين والفرق المختلفة أكثر من ذلك، وإن ما كان مسجلاً في ديوان الجيش هـــو هذا العدد، وأما في عهد بيبرس فقد وصل عدد الجيش المملوكي إلى أربعين ألف فارس[2] ومـــن الجدير بالذكر أن ديوان الجيش المملوكي كان لا يسجل الأعداد بـــسبب الحفـــاظ علـــى ســـرية المعلومات، حتى لا يتم الاطلاع على العدد من قبل أحد فيعرف الأعـــداء مـــدى قـــوة النظـــام العسكري المملوكي[3].وبالطبع فإن البحث في كمية الطعام والرواتب وحتى طعام الدواب ، من كل ذلك يمكن الاستدلال على حجم الجيش ، فقد قارن ابن تغري بردي بين كمية المـــصروفات والنفقات في عهدي الصالح نجم الدين أيوب والظاهر بيبرس ، ففي عصر الصالح نجـــم الـــدين أيوب كان ينفق ألف رطل من اللحم للجيش في اليوم، وأما في عهد الظاهر بيبـــرس فقـــد كـــان يصرف عشرة آلاف رطل كل يوم [4]، مما يعني هنا أن جيش الظـــاهر بيبـــرس بلـــغ عـــشرة أضعاف جيش الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن الواضح أن بيبرس كان له دور كبيـــر فـــي زيادة الجيش المملوكي بسبب حروبه المستمرة على جبهتين المغولية والصليبية، ولابد من وجود جيش قوي ، ولكن هذا العدد لم يدم ولم يزد بل تناقص في العهود التي لحقت بالظاهر بيبرس ، ويبدو ذلك طبيعيا، فقد ارتبط عدد الجيش بالحروب والمخاطر الموجـــودة ، فالأعـــداد الكبيـــرة

---

(1) العسقلاني،الفضل المأثور،ص80.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص197-198.

(3) القلقشندى،صبح الأعشى،ج7،ص327.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص197.

للجيش تعتبر إرهاقاً للدولة إن لم يكن لها حاجة ، فالجيوش تحتاج إلـــى مـــساكن وطعـــام وزى ورواتب وخيول وعتاد وملحقات متعددة ، الدولة في غنى عنها إن لم تكن هناك حروب قائمـــة، وقد ذكر أن عدد الجيش في عهد الملك الناصر قلاوون كان اثني عشر ألفا[1]. ويبدو أن العصر الذهبي للجيش المملوكي كان في عهد بيبرس، وإن التفسير المنطقي للعدد الكبير في عهد بيبرس وعدم وجود ذلك العدد سواء قبله أو بعده، هو أن بيبرس جهز هذا الجيش الضخم في وقت كان المغول والصليبيون مسيطرين على قدر كبير من المدن والحصون الإســـلامية، وخـــلال فتـــرة بيبرس الطويلة في الحكم كانت كلها معارك وفتوحات، مما أدى إلى قـــدرة بيبـــرس أن تحقيـــق انتصار على الجبهتين، ويطردهم من تلك المدن ويجعل بدلاً منهم حاميات من جيشه ممـــا قلـــل عدد الجيش المسجل ضمن الديوان في مركز الدولة، إضافة إلى انتهاء الأخطـــار، وخاصـــة أن المغول بدؤوا في الدخول بالإسلام في عهد بيبرس بالآلاف [2]، بل إن عدد الجيش وصـــل فـــي عهد الظاهر برقوق إلى سبعة ألاف فقط [3]، ومن الجدير ذكره أن النظام العـــسكري المملـــوكي كان يعتمد في حروبه، إضافة إلى الجنود المماليك المـــسجلين ضـــمن ديـــوان الجـــيش علـــى المتطوعين من أهل البلاد والمناطق التي تقع فيها الحروب، حيث كان هؤلاء يـــدافعون ببـــسالة جنبا إلى جنب مع الجيش المملوكي .

---

(1) المصدر نفسه،ج7،ص327.

(2) المنصوري،التحفة الملوكية،ص52،ص71.ابن كثير، البداية والنهاية،ج13،ص242

(3) ابن إياس،نزهة الأمم،ص134.

الإنجازات العسكرية للجيش المملوكي في نهايات العصر الأيوبي:

لقد كانت بلاد الشام قبيل منتصف القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي تتقاسمها سلطات متنازعة وهي الصليبيين من جهة وأمراء البيت الأيوبي من جهة أخرى والذين انقسموا على أنفسهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة589هـ/1193م، حيث كانت وفاته وبالاً على الأمة الإسلامية فقد تفرق أبناؤه واستغل ذلك الاحتلال الصليبي، وظل الحال على ما هو عليه حتى تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر السلاطين الأيوبيين في مصر الذي بدوره كانت له اليد القوية في محاربة الصليبيين، ومن أجل تحقيق التفوق العسكري قام بشراء المماليك[1]، ووضع إستراتيجية تربوية لهم من أجل إنشاء جيش عتيد يمكنه تحقيق الانتصارات على الأعداء، ولم يكن آنذاك أشد عداوة على المسلمين من الصليبيين، وبالفعل تمكن السلطان الصالح نجم الدين أيوب من تحقيق انتصارات متتالية لفتت الأنظار له من أوربا فجاء لويس التاسع ملك فرنسا بحملته العسكرية على مصر[2]، للقضاء على قوة الصالح نجم الدين أيوب واحتلال مصر حتى يقطع الأمن الإستراتيجي لمنطقة الشام، وقد لعب المماليك دوراً هاماً في الدفاع عن مصر وتمكنوا من صد تلك الحملة بكل شجاعة وبسالة وكان فيها المماليك كالأسود على حد تعبير المؤرخين في ذلك العصر، ووصف المماليك بأنهم بيضوا الأيام السود وأزاحوا الإفرنج وكسروهم وهزموهم وأسروهم وأخذوا ملكهم المسمى ريدا فرنس أسيراً[3].

---

[1] المقريزي،الخطط،ج2،ص236. السلوك،ج1،ص441. الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص192. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص331.

[2] نزلت الحملة الصليبية السابعة دمياط في 21 صفر سنة 647هـ-1249م وكان قائدها ملك فرنسا ريدا فرنس (لويس التاسع)وتصدى لها الجيش المملوكي وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب مريضا مرض الموت حيث توفى أثناء التجهيز للمواجهة فأخفت شجر الدر خبر وفاته وكانت نتيجة المعركة انتصار الجيش المملوكي وأسر ملك فرنسا وعشرات الآلاف من جنوده.انظر:المنصوري،التحفة الملوكية،ص25.محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية،ج1،ص82.

[3] المنصوري، التحفة الملوكية،ص25.

وقد نجح المماليك في دمياط بالإحاطة بالجيش الصليبي حتى بلغ عدد القتلى الصليبيين عشرة آلاف في قول المقل وثلاثين ألفا في قول المكثر، وتم أسر مئة ألف إنسان،وكان الفضل للمماليك البحرية وعلى رأسهم بيبرس البندقداري[1]، وبعد هذا الانتصار فوجئ الجميع بأن شجر الدر كانت قد أخفت وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، حيث كان مريضاً ، فكانت تلك السرية التي اتبعتها شجر الدر في إخفاء الوفاة جزءاً لا يتجزأ من عوامل النصر، حيث إن إذاعة خبر وفاته كان من شأنه أن يشتت جيش المماليك ويرفع معنويات الجيش الصليبي ، وكانت شجاعة المماليك وبسالتهم وخططهم العسكرية وبراعة قادتهم وإخلاص جنودهم وتصرف شجر الدر الذكي في إخفاء خبر وفاة الملك الصالح، وسرعان ما أرسل مماليك مصر يبشرون الابن الأكبر للملك الصالح تورانشاه بالنصر في المنصورة ، حتى إن فارس الدين أقطاي أشهر أمراء المماليك البحرية ذهب بنفسه لحصن كيفا لمصاحبة تورانشاه أثناء العودة إلى مصر ليحل محل أبيه في حكم مصر على الرغم من سمعة الأخير السيئة في الإدارة والحكم حتى إن أباه كان لا يرغب في توليته لعدم كفاءته[2]. وبعد وصول تورانشاه إلى مصر كان يلوح بالقضاء على أمراء البحرية المملوكية فسبقوه وقتلوه حيث قطعوا أصابعه فهرب إلى برج خشبي فحرقوه عليه فهرب إلى النيل فغرق ثم أجهزوا عليه حتى مات [3]، وبتصفية تورانشاه بدأت الأمور تسير باتجاه سيطرة المماليك على الدولة الأيوبية في مصر من خلال قدرتهم على فرض السيطرة على أجزاء واسعة كانت تابعة لبعض أمراء البيت الأيوبي، والقضاء على الثورات واستتباب الأمن للملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن ثم تتويج تلك الإنجازات بالقضاء على الحملة الصليبية

---

[1] المقريزي،السلوك،ج1،ص455.

[2] ابن واصل،مفرج الكروب،ج5،ص376.الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص101.الحنبلي،شفاء القلوب،ص379-380.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص372. ابن كثير،البداية والنهاية،ج13،ص177

بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر، بل والإنجاز الأكثر أهمية بالنسبة لمستقبل المماليك كان حماية بقائهم، وقيام دولة مملوكية ضمت مصر والشام لمئات السنين والدفاع عن الدولة الإسلامية أمام أخطر هجومين هما التتار والصليبيين من خلال طرد آخر صليبي من الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون، ووقف المد المغولي قبل ذلك على يد قطز ، فلا يمكن تصور الحال فيم لو نجح تورانشاه بالبقاء ونفذ ما فكر به من القضاء على المماليك، فتورانشاه لن يكون صلاح الدين على كل الأحوال، لكن المماليك كانوا أكثر مما توقعت الأمة الإسلامية آنذاك .

وصول المماليك إلى الحكم:

هكذا أمر الدنيا، فالأيوبيون أنشئوا المماليك[1]، فالمماليك نبتة أيوبية زرعتها وروتها حتى اشتد عودها فقبل أن يتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب أوصى بألا يتولى حكم الدولة من بعده ابنه، وأن تسلم السلطة للخلافة العباسية[2]، وبتلك التوصية فقد تورانشاه شرعية الحكم وتعاطف من حوله واستهان به مماليك أبيه ، فطالما كرر الملك الصالح نجم الدين أيوب عدم رغبته في تولي ابنه تورانشاه وقوله إنه لا يصلح للملك ، وقد ساعد على ضعف تورانشاه عدم أهليته للحكم وسياسته العقيمة وعدم تقديره للأمور ،حيث إنه في لحظات سكره كان يضرب الشمع بالسيف ويقول:"هكذا سأفعل بغلمان أبي، وكان يقصد أمراء المماليك،كما أنه تشاكل مع زوج أبيه شجر الدر[3]مما جعلها في مقدمة المعارضين لوجوده في سدة الحكم وبذلك فقد ثارت عليه كل المماليك وعلى رأسهم الأمراء وشجر الدر مما أدى في إلى قتله والتخلص منه[4].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج5،ص279.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب،ج5،ص376.

(3) الحنبلي،شفاء القلوب،ص379-380.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص372.الحنبلي، شفاء القلوب،ص380.

فكانت عملية الاغتيال ضربة احترازية من قبل أمراء المماليك حتـــى يحـــافظوا علـــى بقـــائهم، ويسلموا من بطش تورانشاه الذي لم يحسن معاملتهم، أو على الأقل لم يتصرف بحكمة وبتـــدرج في القضاء على نفوذ أمراء المماليك، ويروي عن الأمراء الأربعـــة الـــذين اشـــتركوا باغتيـــال تورانشاه أنهم أنفسهم العصابة التي استعان بها الملك الصالح نجم الدين أيوب في التخلص مـــن أخيه العادل، الذي كان سجيناً لديه[1]، ويقول إن معظم المماليك رفضوا الاشتراك في اغتيـــال العادل ما عدا هؤلاء الأربعة الذين سلطهم الله على ولده تورانشاه فقتلوه شر قتلة، وعرف مـــن هؤلاء الأربعة الظاهر بيبرس وسيف الدين أقطاي وعز الدين أيبك[2] ثم ســـارت الدولـــة إلـــى الأتراك الذين عرفوا كيف يكسبون المجتمع من خلال تقربهم إلـــى العلمـــاء والإغـــداق علـــيهم للحصول على الشرعية [3]، وعلى الأقل فإن نوعاً من التعاطف سيحصلون عليـــه مـــن خـــلال تقريب العلماء وذوي الرأي في المجتمع المصري، وبذلك أصبح المماليك عبيد الأمـــس ملـــوك الدولة، يجبى لهم ثمرات كل شيء[4]، فتولى مصر اثنان وعشرون سلطاناً مسهم الرق في الدولة المملوكية البحرية، منهم أيبك وقطز والظاهر بيبرس وقلاوون الأشرف خليل والناصـــر محمـــد وكاتبغا ولاجين وبيبرس الجاشنكير[5]، وقد تولت شجر الدر بوصفها زوج الملك الـــصالح نجـــم الدين أيوب، إلا أن الأمراء الأيوبيين لم يعترفوا بسلطتها ، ولهذا وجـــد المماليـــك مـــن الخيـــر والحكمة أن تتزوج شجر الدر من أحد أمرائهم، فتزوجت عز الدين أيبـــك[6]، علـــى أن تتـــرك

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص372.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص372.ابن خلدون، العبر،ج5،ص417.

[3] ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية،ج8،ص245.

[4] الجبرتي، عجائب الآثار،ج1،ص115.

[5] ابن العماد، شذرات الذهب،ج4،ص115.معظم أمراء المماليك وسلاطينهم عبارة عن أسماء لحيوانات وأشياء باللغة التركية والفارسية والتترية مثلاً بيبرس بمعنى الفهد وقلاوون بمعنى البطة وطوغان بمعنى الصقر وبكتمر بمعنى الحديد وسلار بمعنى الهاجم وأزبك بمعنى النبيل وقطز بمعنى الكلب الشرس.انظر:ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص3.

[6] ابن خلدون، العبر،ج5،ص420.

السلطنة له ففعلت ذلك، لاعتقادها بأنها ستظل صاحبه القرار إلا أن الأيوبيين لم يقنعهم ذلك فعين المماليك أميرا أيوبيا صغيراً [1]، فلم يقنع به الأيوبيين أيضا فتصادمت جيوش الأمراء الأيوبيين مع أمراء المماليك وكان النصر حليف أمراء المماليك فتدخل الخليفة العباسي لحل النزاع وكان الوقت آنذاك غير مناسب لتلك المشاحنات خاصة وقد اقتربت جيوش المغول من مركز الخلافة العباسية مما جعل الخليفة العباسي يفصل النزاع من خلال تقسيم الحدود بين دولتين الأولى في مصر للمماليك والثانية في الشام للأيوبيين[2]، على أن يفصل بينهم نهر الأردن شمال فلسطين[3].

ولما تولى عز الدين أيبك السلطنة وتنازع مع شجر الدر على اتخاذ القرار داخل السلطنة، مما نتج عنه في النهاية انتهاء تلك المنازعات بأن سبقته هي بقتله، ومن ثم قامت زوج أيبك الأولى بالانتقام له وقتلت شجر الدر ، فتولى الحكم الطفل الصغير المنصور بن أيبك [4]، ومن ثم تولى عرش السلطنة سيف الدين قطز، الذي استمر حكمه سنة واحدة فقط استطاع خلالها تحقيق انتصار عين جالوت على المغول [5]، ومن ثم تولى بيبرس الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية، لطول فترة حكمه وإنجازاته على الصعيدين الداخلي والخارجي، ثم تولى أولاد بيبرس ومن ثم استولى على الحكم قلاوون، لتبدأ أسرة قلاوون ومن ثم يستولي على حكم دولة المماليك الأمراء الجراكسة[6].

وكان ابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعمئة، وانقراضهم سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة. فتكون مدة ملكهم مئة وثمان وثلاثين سنة وعددهم ثلاثة وعشرين سلطاناً .

---

[1] المنصوري، مختار الأخبار،ص6.

[2] لمزيد من التفاصيل انظر: المنصوري، التحفة الملوكية،ص27-29.

[3] فاروق،محسن،الوسيط في تاريخ فلسطين،ص219.

[4] المنصوري،التحفة الملوكية،ص39.

[5] القلقشندي،مآثر الانافة،ج2،ص106.

[6] ابن تغري ردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص3.انظر الجدول في الملحق ص175-176.

وكان أول سلاطينهم الملك الظاهر برقوق الجركـــسي[1]، إلـــى أن انتهـــت الدولـــة المملوكيـــة سنة923هـــ/ 1517م بعد معركة الريدانية[2]، والتي قتل فيها آخر سلاطين المماليك في مـــصر واسمه طومان باي[3].

---

[1] القرماني، أخبار الدول،ص293.

برقوق:هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين بن آنص العثماني اشتراه الاتابكي يلبغا العنري نائب حلب وسماه طنيفا ثمات وهو صغير وسمي برقوق لجحوظ عينيه تولى سلطنة مصر 19 رمضان 784هــ.انظر: ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص65.

[2] معركة الريدانية:حدثت بين الجيش العثماني بقيادة سليم الأول والجيش المملوكي بقيادة طومان باي وكان عدد الجيش المملوكي أربعين الفا فانهزم الجيش المملوكي وكانت سنة923هـ-1517م انظر:ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص71-72. والريدانية هي منطقة تنسب إلى الأمير المملوكي ريدان وهي في القاهرة.انظر:ابن كثير ، البداية والنهاية،ج11،ص227.

[3] . القرماني، أخبار الدول،ص293.

طومان باي: هو الملك العادل ابن أخ قنصوة الغوري قاد الجيش المملوكي في معركة الريدانية لصد الجيش العثماني لكنه هزم وبعد أن نال العفو من السلطان العثماني سليم الأول جهز جيشاً ورجع ليحارب الجيش العثماني لكنه هزم وتم القبض عليه واعدم على باب زويلة وقد اشتهر بالشجاعة. انظر: المكي، سمط النجوم العوالي، ج4،ص68،ج8،ص115–ص148.ابن الوكيل، تحفة الأحباب،ص69–70.

الفصل الثاني

تنظيمات الجيش المملوكي

- أماكن إقامتهم
- ديوان الجيش المملوكي
- زي الأجناد
- التموين
- الإقطاع العسكري
- أساليب المماليك القتالية والتعبئة العسكرية
- الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف
- المتطوعون في الجيش المملوكي
- الفرق الملحقة بالجيش

*الفرق الهندسية

*الفرق الطبية

*فرق الموسيقى العسكرية

*حملة الأعلام

- الأسطول الحربي وتطوره

أماكن إقامتهم:

إن المصادر التاريخية لم تستطرد في الحديث عن محل إقامة الجيش المملوكي، وحتى المراجع الحديثة لم تتطرق إلى محل إقامته، لأنها لم تعثر على نصوص واضحة بذلك، بيد أن ما ذكر عن محل إقامة هذا الجيش في معظمه، بأن الجيش كان يقيم في طباق[1] القلعة في القاهرة وطباق القلعة متعددة الطبقات، كانت كل طبقة تتسع لألف مملوك[2] و كان السلطان بنفسه يختار المماليك الذين سيقيمون في الطباق، ولم تكن الطباق مقصورة على الفرسان والمحاربين، وإنما كان يقيم فيها كل المماليك الذين يتم شراءهم ليعملوا في خدمة السلطان، سواء في الجيش أو في الأعمال الإدارية، والطباق ليس المكان الوحيد الذي يقيم فيه الجيش المملوكي، فبعضهم كان ينتمي إلى أجناد الحلقة وهم موزعين في كل أرجاء الدولة المملوكية [3]، كما يوجد أجناد الأمراء وهم أيضا غير مقيمين في الطباق، فهم يقيمون في أكثر من مكان بحسب مكان تواجد أميرهم[4]،وأما المماليك المقيمين في الطباق فهم الجند السلطانية فقط ، ويذكر أن السلطان كان يأمر بفحص أي مملوك سيقيم بالطباق طبياً[5]، وهذا الأمر يدلل على مدى اهتمام النظام العسكري المملوكي بجنوده وحسن رعايتهم، وقد كانت الطباق واسعة جداً ، وقد كان يقيم بها الجند والأمراء على حد سواء و الاجتماعات كانت تعقد بها في حضرة السلطان وخاصة للبيعة[6] وهذا يدلل على أنه يوجد في كل طبقة ساحة فسيحة، بدليل عقد الاجتماعات فيها وأنها لم تكن عبارة عن غرف ، ويبدو أن السلطان المملوكي أراد إقامة المماليك الجدد والمدربين الذين ضمن ولاءهم إلي جانبه ليكونوا صمام أمان، وبمثابة حرس سلطاني لتحميه وقت

---

[1] الطباق:جمع طبقة وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد.دهمان،معجم الألفاظ،ص105.و سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً أي بعضها فوق بعض،انظر:ابن منظور،لسان العرب،ج10،ص210.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص190.انظر خريطة دولة المماليك ص174.

[3] المقريزي، الخطط،ج3،ص355-356.طرخان،النظم الإقطاعية،ص268.

[4] المقريزي،الخطط،ج2،ص215-216.

[5] المصدر نفسه،ج2،ص213.

[6] المنصوري،التحفة الملوكية،ص61.

الأزمات وصد أي محاولة انقلاب داخلية من بعض الأمراء، ولــذلك كــان اســمهم المماليــك السلطانية[1] وقد كان السلطان يشرف بنفسه على المماليك المقيمين بالطباق من خلال زيــارات مفاجئة، كما كان يعهد لرجل يسمى مقدم الطباق ويكون ذو شخصية قوية وصارمة ، لــه هيبــة كبيرة وكان يمنع خروج المماليك من الطباق إلا بنظام، وكان يسمح لهم بالذهاب إلى الحمام مرة في الأسبوع، وكان يقدم لهم أنواع الأطعمة المختلفة مثل اللحوم والفواكه والحلوى، كمــا كــان يسلمهم كسوتهم بشكل منتظم[2] ويمكن تشبيه الطباق بالسكن الداخلي في الجامعات في عــصرنا الحديث، حيث كان المماليك الذين يقيمون في الطباق يتلقون التعليم لعدة سنين، ومن ثم يــسمح للمئات بمغادرة الطباق إلى قلاع الدولة في الشام[3] ولم تكن الطباق متاحة لأي أمير أو جنــدي ليقيم فيها بحسب ما يريد، إنما كان السلطان هو الذي يحدد ويختار من يقيم فــي الطبــاق وفــي بعض الأحيان كان يأمر السلطان بإقامة بعض المماليك المعاقبين بالإسطبلات[4]وأيــضاً إذا أراد السلطان أن ينعم على مملوك لأنه أثبت تميزه كان يعطيه الــسلطان إقطاعــا ويغــادر الطبــاق ليشرف على إقطاعه،وكانت الترقيات من خلال ارتقاء المملوك من جندي إلى أمير خمسة، ثــم إلى أمير عشرة، ثم إلى أمير طبلخاناة، ومن ثم يحصل على إقطاع [5].

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9،ص73.والمماليك السلطانية ينقسمون إلى قسمين،والقسم الأول هم المماليك الذين يتم شراءهم وهم أطفال ويشرف على تربيتهم السلطان، والقسم الثاني هم الذين تنتقل ملكيتهم للسلطان الجديد بعد وفاة سلطانهم الأول، وكلا القسمين يسمح لهم بالاختلاط بالعامة في القاهرة والمدن وهذا ما يميزهم عن باقي المماليك الذين لا يسمح لهم بالاختلاط بالناس.سيمينوفا،صلاح الدين والمماليك،ص78-79.

[2] المقريزي،الخطط،ج2،ص213.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9،ص92.

[4] المصدر نفسه،ج9،ص47.

[5] المصدر نفسه،ج14،ص198.

وقد كانت الطباق التي يقيم فيها المماليك السلطانية موجودة في قلعة الجبل بجوار قصر السلطان في العاصمة المملوكية القاهرة[1] ومما يستحق ذكره أن نجد اهتماماً بالغــاً بـــالعجزة والمــسنين والمعاقين من الجيش المملوكي، والمعاقين هم الذين أصيبوا في الحروب المملوكية ضــد التتــار والصليبيين، أما المسنين فهم الذين فنيت أعمارهم وهم في خدمة النظام العسكري، فقــد حظــوا بشرف الإقامة في الطباق، وقرر لهم ثلاثة آلاف درهم في الــسنة[2] وتلــك المعاملــة للعجــزة والمسنين والمعاقين من الجيش إنما تعطي قوة للنظام العسكري، بحيث أن الجندي الشاب سيدرك أنه لو أصيب في المعركة أو كبر في السن فسيكون في مأمن من العيش، وهذا يجعلــه أكثــر إخلاصاً لدولته المملوكية، كما أن الموضوع غير متعلق فقط بالنواحي المادية من محل إقامة أو رواتب، وإنما من ناحية معنوية له دلالات كبيرة بالنسبة للجندي المملوكي، وحتى محل الإقامــة لم يكن في أي مكان ، بل في طباق القلعة نفسه تحت إشراف ومراقبة السلطان المملوكي، ممــا يوفر لهم حياة آمنة وسط مركز السلطة، والطباق كان شرفاً لمن يقيم فيه، بدليل أنه كان يعاقــب المملوك إذا أخطأ ليتم إنزاله للإقامة في الإسطبلات[3]، وقد سميت طباق القلعــة بحــسب اســم السلطان الذي اشتراهم، فمثلاً نجد طباق المماليك الأشرفية وطباق المماليك الناصرية وهكــذا ، كل حسب السلطان الذي اشتراهم، واشتملت الطباق على مخازن السلاح والمال[4] وكان أحيانــا يجد بعض المماليك أنفسهم محرومين من المكان المناسب للنوم، حين يطردون مــن الطبــاق ، حتى حين ينتشر مرضاً معيناً يكتشف الأطباء أن أربعمائة مملوك على الأقــل يوميــاً مــصابين

[1] الحنبلي، شذرات الذهب،ج4،ص274.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9،ص53،

[3] المصدر نفسه،ج9،ص54.

[4] المصدر نفسه،ج15،ص240.

بنفس المرض ويموت منهم خمسين في اليوم الواحد[1]. وفي عهد قلاوون تم إســكان المماليــك في أبراج القلعة، ولذلك أطلق عليهم المماليك البرجية[2]، أما من كان يقيم بالطباق فكــان يطلــق عليهم المماليك السلطانية لأنهم بجوار السلطان[3]، وقد كان محل إقامة المماليك إما بمركز الدولة في الطباق، أو موزعين في أقطار الدولة[4] وكان يقصد بالمماليك السلطانية التي تقيم في طبــاق القلعة والأجناد الموزعين في الدولة، هم أجناد الحلقة وأجناد الأمراء[5]، وجلهم يقيم في القلاع و الثغور وأرجاء الدولة المملوكية كلها،ومن منطلق العصبية حرص كل ســلطان مملــوكي علــى زيادة عدد أجناده من المماليك السلطانية ، حيث ارتبطت قوة السلطان بقوة الجنود التابعين لــه، لذلك أكثر السلاطين من شراء المماليك حتى يدينوا له بالولاء، ليستطيع بهم منافسة خصومه من كبار الأمراء .

ديوان الجيش المملوكي:

لقد لعب ديوان الجيش في العصر المملوكي الدور الرئيس في الحيــاة العــسكرية، كــون الدولة المملوكية هي بالأساس عبارة عن جند وعسكر ، بل أن سلاطينها كانوا أمراء في الجيش، وان دولة عسكرية في تأسيسها وسلاطينها لابد وأن تهتم بالجيش، ولذلك فإن ديوان الجيش هــو أهم ديوان في الدولة المملوكية، وكان يطلق اسم ديوان الإقطاع على ديوان الجيش لأنه المسئول عن إقطاع الأمراء، ولذلك كان السلطان هو الذي يتابع ويراقب هذا الديوان ويعين له شخــصية لها مواصفات يحددها السلطان بنفسه[6]، وديوان الجند لم يكن وليد واكتشاف الدولة المملوكيــة،

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج14،ص340.

[2] المصدر نفسه،ج14،ص197.وانظر محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العثمانية،ج1،ص86.

[3] ابن تغري بردي، النجوم،ج14،ص198.

[4] المقريزي،الخطط،ج2،ص215.

[5] هم الذين يقيمون في الثغور.طرخان،النظم الإقطاعية،ص268. ويشبهون في عصرنا الحالي الأمن الوطني.

[6] العسقلاني،الفضل المأثور،ص132.

بل هو أول ديوان أنشئ في الإسلام، ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشـــار بعــض الصحابة على عمر وضع ديواناً للجند لتنظيم الجيش لزيادة أعداد الجيش واتساع الفتوحـــات[1] ويذكر أن ناظر الجيش أي صاحب الديوان كان يجتمع مع النائـــب ولا يجتمـــع مـــع الـــسلطان مباشرة، إلا أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبطل النيابـــة، فـــصار الجـــيش يجتمـــع معـــه السلطان[2] ومما سبق يتضح أنه كان لكل نيابة ديوان خاص بها ، وأن يطلب السلطان الاطـــلاع على الديوان يعني أهمية الدواوين حتى في النيابات البعيدة عن مركز الدولة فالـــدواوين كانـــت تشمل الاقطاعات والأعطيات ولابد من مراقبتها فهي تعني كل ما من شـــأنه أن يكـــون محـــلاً للاختلاس والفوضى، ولذلك حرص السلطان بنفسه على مراقبة الدواوين، وقد كـــان الـــسلطان يأمر ويتابع جاهزية الجيش المملوكي والمتطوعين من خلال تلك الـــدواوين حتـــى إذا اقتـــضت الضرورة يتم النفير بسرعة[3] ومما يعبر عن شدة أهمية ديوان الجيش، أنه كان أكثر الـــدواوين دقة وضبطاً ونفعاً، ففيه تحفظ أسماء الجنود والأمراء والأوراق الخاصة بالتجهيزات والإعـــداد، ومن شدة أهميته كان مقره في قلعة الجبل بجوار قصر السلطان[4] ومن مهمات ديـــوان الجـــيش متابعة الجند والمتأخرين من العسكر ومتابعة أي جندي يحضر متأخرا وينظر فـــي أمـــره مـــن خلال الديوان أما إذا كان تأخره بسبب مرض أو ظرف طارئ، يسجل ذلك الأمـــر مـــن خـــلال أوراق خاصة بالمتغيب من الجنود، أي ملف خاص لكل جنـــدي وحتـــى الأمـــراء المقـــصرين

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج4،ص436. القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص31. ابن إياس، نزهة الأمم، ص133.
ديوان: أصله دوان وجمعها دواوين وهو الدفتر او السجل الذي يدون فيه أسماء الجند وأهل العطاء وأول من دون الدواوين في الإسلام عمر بن الخطاب والكلمة أصلها فارسي وهي معربة،انظر:ابن منظور،لسان العرب،ج13،ص166.
يقول ابو الحسن الماوردي في تسمية الديوان ديواناً وجهان:الأول أن كسرى ملك الفرس اطلع يوماً على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال كسرى ديوانة أي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال والرأي الثاني الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي والخفي وجمعهم على ما قرب وبعد فسمي ديوان.انظر: ابن إياس، نزهة الأمم،ص132-133.

[2] المقريزي، الخطط،ج2،ص215.

[3] العسقلاني،الفضل المأثور،132.

[4] المقريزي، الخطط،ج2،ص215. حسن، تاريخ المماليك،ص341.

والمتغيبين كان ينظر بأمرهم ويسجل في السجلات الخاصة باقطاعاتهم [1] وكان ديوان الجيش المملوكي قد تغير من اعتماد التصرف في النظام المالي من الاقتصاد النقدي إلى الاقتصاد الإقطاعي، وكانت تسمى السجلات الخاصة بالأمراء الإقطاعيين بالجريدة الجيشية، وهي مرتبة حسب الحروف يكتب فيها أسماء الأمراء و الاقطاعات على اختلاف رتبهم، وكذلك أسماء الجند ومقادير اقطاعاتهم، وكان يوضع أمام كل اسم علامة معينة بحسب إقطاعه رمزاً لا تصريحاً، وذلك لضمان السرية، وتجنب وقوع هذه الأوراق في يد عدو يستطيع من خلالها معرفة عدد الجيش ومدى قوته من خلال ما يملكه الأفراد من اقطاعات[2]ولم يثبت أن أي ديوان للمماليك حصر فيه عدد الجيش، وذلك للسرية وحتى لا يطلع أحد على حجم القوة لدى النظام العسكري المملوكي[3]وبالطبع فإن ناظر الجيش لا يمكن أن يقوم بأعباء هذا الديوان لوحده ولذلك نراه يستعين بمساعدين أولهم صاحب الديوان، ويكون بمثابة وكيل وزارة الدفاع الآن، ينوب عن ناظر الجيش في غيابه، ومن المساعدين أيضاً مستوفي الجيش ومهمته تحديد مرتبات الجنود وتدوينها في كشوف خاصة[4]، وممن اشتهر بتولي ديوان الجيش أو ناظر الجيش في النظام العسكري المملوكي القاضي فخر الدين ابن الحلي[5] والقاضي قطب الدين[6] والقاضي مكين الدين[7] والقاضي جمال الدين[8]

---

[1] العسقلاني، الفضل المأثور،ص120-121.
[2] النويري،نهاية الإرب،ج8،ص200-201. انظر:البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص55.
[3] القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص16.
[4] حسن،تاريخ المماليك،ص343.
[5] فخر الدين وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر أصله قبطي فأسلم وحسن إسلامه وكان له أوقاف كثير.انظر:القلقشندى،صبح الأعشى/ج11،ص323.
[6] قطب الدين:هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر السنباطي الشافعي كان معدوداً من الفقهاء وله وجاهة توفي في ولاية الناصر محمد بن المنصور قلاوون. انظر : ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج9،ص257. مات سنة 894هـودفن بجوار قبة الإمام الشافعي.انظر: تاريخ البصروي،ج1،ص133.
[7] مكين الدين: هو مكين الدين إبراهيم بن قروينة من أعيان الكتاب ورؤسائهم توفى سنة 750هـ. انظر: ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج9،ص257.
[8] جمال الدين:هو سليمان بن الحسن ولد في رمضان سنة 630هـ ولي نظر الجيش في حلب ثم نظر الجيش في الكرك ثم في دمشق بدلاً من فخر الدين ابن الحلي وتوفى سنة 749هـ.انظر:ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج2،ص284.

وهؤلاء القضاة الذين تم ذكرهم تولوا وظيفة ناظر الجيش[1]، ويلاحظ هنا أن الدولة المملوكية كانت تهتم بهذا المنصب وبالرجل الذي سيتولاه، فكان يتم اختيارهم من الفقهاء والقضاة مما يعني أهمية ذلك المنصب وحساسيته، فلا يوجد في الدولة من هو أكثر أمانة من القضاة، والذين سيغلبون مصلحة الدين والدولة على أي مصالح أخرى، فلدى القضاة من الدين والأمانة والنزاهة ما يكفي ليطمئن إليهم السلطان. وخاصة أن هذه الوظيفة مسئولة أيضا عن توزيع الاقطاعات، وكان يساعد ناظر الجيش في عمله موظف كبير عرف باسم نقيب الجيش[2] وكانت هذه الرتبة من الرتب الجليلة، ومن مهامه أن يحضر أي جندي يريده السلطان ويعتبر نقيب الجيش الوسيط في الترقيات، وهو يجهز المواكب العسكرية أيضاً للسلطان[3] وكان يطلق لقب أتابك العسكر [4] على نقيب الجيش وكانت هذه الوظيفة تتم بتعيين مباشر من السلطان نفسه الذي كان يدقق في اختيار نقيب الجيوش ومما كان يوكل إليه إمرة موكب الحج أيضاً[5] وبالإضافة إلى وجود هذا المنصب كان يوجد منصب نقيب المماليك وهو أقل رتبة وشأناً من نقيب الجيوش، حيث أن نقيب الجيوش مسئول عن الجيش المملوكي كله في جميع أقطار الدولة، أما نقيب المماليك فهو مسئول فقط عن المماليك السلطانية بالطباق، وقد كان يتم احياناً ترقية نقيب المماليك ليكون نقيب الجيوش كلها مثل ما تم ترقية أرغون بن قيران السلاري[6] الذي تمت ترقيته من نقيب المماليك السلطانية إلى نقيب الجيوش في كل أرجاء الدولة، وكان قد ورث رتبة نقيب المماليك عن

---

[1] النعيمي،الدارس،ج1،ص327.يلاحظ هنا أن معظم المتولين لهذا المنصب قضاة وفقهاء. ووظيفة ناظر الجيش تشبه في عصرنا الحالي منصب وزير الدفاع

[2] يعبر عن نقيب الجيش باسم مقدم الجيوش أو أمير الجيش أو أتابك العسكر.انظر:القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص18.

[3] المقريزي،الخطط،ج2،ص233.

[4] الأتابكية:أصلها أطابك ومعناها الوليد او الأمير وأول من لقب بذلك اللقب نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي وقيل معناه أب(أبو الأمراء).انظر: القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص18416.

[5] ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج1،ص416.

[6] أرغون بن قيران السلاري: كان نقيب الجيش أيام السلطان حسن وكان قبل ذلك نقيب المماليك عوض أبيه وعينه الأشرف خليل أميرا للحج وتوفى سنة 772هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج1،ص416.

والده[1]، بينما لم يرد أن نقيباً للجيش أصبح نقيباً للمماليك السلطانية، أو أن نقيبـاً للجـيش قـد ورث تلك الوظيفة عن والده مهما كان، وتعتبر وظيفة نقيب المماليك أهم وأرفـع مـن وظيفـة نائب دمشق على الرغم من أهمية نيابة دمشق بالنسبة للدولة المملوكية، سواء الإسـتراتيجية أو العسكرية أو الاقتصادية، فقد ورد في المصادر أن أيدمر العزي[2] كان نائباً لدمشق وقـد تمـت ترقيته إلى نقيب المماليك السلطانية مما يعني مدى أهمية وظيفة نقيب المماليك السلطانية وكـان الأشرف خليل بن قلاوون هو الذي أمر بترقية نائب دمشق[3] وشمل ديوان الجـيش المملـوكي قسمين من السجلات، القسم الأول للأمراء وفيه أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أمراء المائتين مقدمو الألوف وعدة كل منهم مائة فارس[4].

الطبقة الثانية:أمراء الطبلخاناه[5] وعدة كل منهم أربعون فارس[6].

الطبقة الثالثة: أمراء العشرات وعدة كل منهم عشرة فوارس[7].

الطبقة الرابعة:أمراء الخمسات[8]وعدة كل منهم خمسة فوارس.

والقسم الثاني لطبقات الأجناد هي:1-المماليك السلطانية وهي أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قـدراً وأشدهم إلى السلطان قرباً وأوفرهم إقطاعا[9].

---

(1) ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج1،ص416.

(2) أيدمر العزي،أصله من مماليك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام كان كثير الهزل واليه تنسب سويقة العزي خارج القاهرة كان نقيب المماليك السلطانية في أيام لاجين، استشهد في وقعة شقحب. انظر: ابن تغري بردين النجوم الزاهرة،ج8،ص204.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص161.ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج1،ص513.

(4) القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص14.

(5) الطبلخاناة: هي ما نسميه في عصرنا الحديث موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي وأمير الطبلخاناة هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه ويكون أمير أربعين ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين ويعد أمير الطبلخاناة في الدرجة الثانية بين الأمراء. ابن تغري بردي،حوادث الدهور،ج2،ص562..انظر:دهمان،معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص106.

(6) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص361.

(7) المصدر نفسه،ج16،ص117.

(8) القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص15.

(9) ابن العماد ،شذرات الذهب،ج7،ص274.ابن تغري،النجوم،ج14،ص105.

2- أجناد الحلقة ولكل أربعين منهم مقدماً[1]

وذكر نوعاً ثالثاً وهم البحرية وهم الحرس الشخصي للسلطان وهم موجــودين منــذ حكــم السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب[2] حيث أنهم كانوا يقيمون بطباق القلعــة، ومــن مهامهم حراسة السلطان ، وبالنسبة للرواتب فان أجناد الحلقة لهم اقطاعــات مفــرزة ومــسجلة بالديوان والمماليك السلطانية لهم رواتب مقررة على ديوان السلطان ومماليك الأمراء ورواتــبهم من بيوت الأمراء[3] ومن الوظائف المسجلة في الديوان أمير سلاح وهــو مقــدم الــسلاحدارية والمتولي لحمل السلاح والمتحدث في السلاح وما يستعمل وهو من أمراء المائتين[4]، ويبــدو أن نفس هذه الوظيفة كان يطلق عليها اسم آخر في الديوان كما أوضــح القلقــشندى وهــي نــاظر السلاح،فله نفس المهام السابقة الذكر، بالإضافة إلى مهمة جمع السلاح من أقطار الدولــة إلــى القلعة ومتابعة أمر الإسطبلات الخاصة بالخيل[5]، ومما يلفت النظر في ديوان الجــيش حفاظــه على الجندي رغم تقدم عمره وإعفاءه من الخدمة العسكرية، ففي حالة عجز الجنــدي عــن أداء مهامه الحربية والعسكرية كان يطبق عليه نظام التقاعد وهو نظام خاص، حيث خصص لهــؤلاء مكان خاص في طباق القلعة وراتب خاص يقدر بثلاثة آلاف درهم فــي الــسنة[6]، كمــا كــان السلطان يبقي على اقطاعات الأمراء منهم ويمكن أن يورث أولادهم إن كانوا بالكفاءة المناسبة[7] ويستثنى من ذلك الأبناء الغير عسكريين أو الذين لا يجيدون الفروسية.

[1] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص360.
[2] القلقشندى، صبح الأعشى ،ج4،ص15.
[3] المقريزي،الخطط،ج2،ص215.وانظر عدوان،المماليك،ص21.
[4] المقريزي، الخطط،ج2،ص232.
[5] القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص232.
[6] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9،ص53. المقريزي، الخطط،ج1،ص90.
[7] المقريزي،الخطط،ج2،ص216.وانظر: عدوان،المماليك،ص21.

زى الأجناد:

إن أهم ما يستدعي البحث فيه والتأمل في عصر المماليك تلك العناية الفائقة بالملابس التي كانت تملأ حوانيت الخياطين الرسميين والخلعيين الذين يصنعون الخلع المملوكية، فلا يكاد يذكر العصر المملوكي في أي مصدر أو مرجع، إلا وتكون الملابس سمة رئيسة لا تفارق حياة المماليك، وربما ذلك له علاقة مباشرة بحب المماليك واهتمامهم للملابس والتزين بأفضل أنواع الملابس والأقمشة وذلك لكونهم خرجوا من عباءة الرق والعبودية وشعورهم بالنقص الذي جعلهم يهتمون بإظهار زينتهم، وخاصة في بدايات عصرهم وتوليهم السلطة، وفي العصر المملوكي أصبحت عادات موروثة وتقاليد متبعة، وإذا ما أردنا الحديث عن الزى في العصر المملوكي فإننا سنتحدث عنه بشكل عام في إطارين:

الإطار الأول يختص بزي السلطان وأمراء المماليك، **والإطار الثاني** متعلقاً بزي الجند وخاصة أثناء الحروب، فقد ارتبط الزى وقيمته وزركشته وديباجته بمكانة المملوك نفسه، كما كان الزى والملبس يختلف في وقت السلم عن وقت الحرب، كما يختلف أيضاً عند الاحتفال بالانتصار والعروض العسكرية، فكيف إذا عرفنا أن أثر الملبس كان يلقي بظلاله على الأعداء، كما يصف ذلك أحد المؤرخين حين يقول أن جيش الأعداء، ويقصد التتار أنهم حينما رأوا الجيش المملوكي بما عليه من التجمل والخيول لم يقدروا على محاربتهم(1) كما ارتبط الملبس والزى بالعطايا والمنح، حيث كان السلطان ينعم على المتميزين من الجيش المملوكي وفرسانه وخاصة عندما ينتصر الجيش، فقد كان ينعم عليهم السلطان بقباء (2) ومن الملاحظ أن الزى اختلف من فترة إلى فترة ومن سلطان إلى سلطان فمثلاً في عهد الملك المنصور قلاوون صار زيهم إذا دخلوا

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج2،ص298.

(2) وهو نوع من الملابس المملوكية وهو عبارة عن قفطان ضيق الأكمام ويقال الأقبية الثياب الخارجية كعباءة المرأة . ابن أجا،العراك،ص97. دهمان،معجم الألفاظ،ص121

إلى الخدمة بالأقبية التترية والكلوتات فوقها ثم القباء الإسلامي فوقها وتشد المنطقة والسيف، ويتميز الأمراء والمقدمون أعيان الجند بلبس أقبية قصيرة الأكمام فوق ذلك، وتكون غالبها من الصوف الملطي الأحمر، وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا في قدر الكلوتات، وما يلف فوقها في أيام الأمير يلبغا الخاصكي[1] ، ومن زيهم لبس المهماز على الأخفاف، ويعمل المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الأيمن، وكان معظم العسكر يلبسون الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب [2]. وفي الشتاء يلبس العسكر الصوف الملون والنصافي المصقول في الصيف[3] وقد اختلف الملبس في عهد قلاوون عما كان عليه منذ عهد الدولة الأيوبية[4]، فهو الذي غير ما كان متبع من الزي في عهد من سبقه من سلاطين المماليك.

ومن الواضح أن الملابس في العصر المملوكي كانت صناعة محلية، بل كان يصدر من مصر إلى باقي أنحاء العالم، وكانت هناك أسواق خاصة، فمثلاً الفراء المستخدم في صناعة الملابس كان له سوق خاصة تسمى سوق الفراءين[5] يسكن فيها صناع الفراء وتجاره، كما كان أيضا مكاناً للتجار يبيعون فيه ثياب الكتان والقطن[6] ومن اللافت للانتباه أن المماليك كانوا يلبسون الكلوتة[7] طيلة عصرهم وكانت صفراء مضربة بكلبندات[8] وقد أخذت طريقة لبس الكلوتة أشكالاً مختلفة.

---

(1) يلبغا الخاصكي: درس بالمسجد الحرام وعمل مأذوناً سنة 803هـ واشتغل بقضاء مكة كما عاصر الملك الناصر فرج وكان على المذهب الحنفي ومات بعد أن عجز عن الحركة. انظر: السخاوي، التحفة اللطيفة،ج1،ص146، الضوء اللامع،ج1،ص179.

(2) المهاميز: جمع مهماز وهو حديدة تكون في رجل الفارس ليخز بها الحصان فيسرع.انظر:القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص136.

(3) المقريزي، الخطط،ج2،ص217.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص111

(5) المقريزي،الخطط،ج2،ص103.

(6) المصدر نفسه ،ج2،ص101.

(7) الكلوته:جمعها كلوتات بتشديد اللام وهي طاقية صغيرة من الصوف مضربة بالقطن.انظر المقريزي، الخطط،ج2،ص217. ابن اجا، العراك،ص77.انظر الشكل رقم21 الملحق ص190.

(8) كلبندات:جمع كلبندة وهي لباس الرقبة تربط تحت الذقن لحفظ الكلوتة التي فوق الرأس، انظر:المقريزي، الخطط،ج2،ص217.

كما كان لونها يتغير حسبما يراه كل سلطان ففي عهد السلطان قلاوون أضيف لبس الشاش[1] على الكلوته أما في عهد ابنه الأشرف خليل بن قلاوون تغير لون الكلوته من اللون الأصفر إلى اللون الأحمر، وأصبحت العمائم تلبس فوقها كما كانت تلبس في العهد الأيوبي[2] والملاحظ أن الملبس نفسه كان يسمى على اسم كل سلطان يقره مثل كوامل وسلاريات[3] وبشكل عام فان السلطان قلاوون هو الأكثر ظهوراً واهتماما بمسألة الأزياء في العصر المملوكي، فهو الذي غير ما كان عليه الزى في العصر الأيوبي وما استمر في بدايات العصر المملوكي، فالمنصور قلاوون أوجد زياً أفضل وأروع[4] وكثير من الملابس والأزياء كانت عبارة عن خلع وهدايا من السلطان للفرسان الذين يظهرون انتماء وانتصارات ينشرح لها قلب السلطان، ولكل طبقة من الفرسان كانت هناك خلعاً من الملابس خاصة، سواء في اللون أو نوعية القماش أو المذهب،فقد كانت خلع أكابر الأمراء المائتين الأطلس الأحمر الرومي وتحته الأطلس الأصفر الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله نجف من ظاهره من الغشاء قندس وكلوتة زركش مذهب وكلابيب ذهب وشاش رفيع موصول في طرفيه حرير أبيض، وتختلف حسب تقاديرهم،كما كان يزود بسيف محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه[5].وأما المملوك المبتدئ فقد كانت كسوته على حساب السلطان من الثياب القطن البعلبكي ومن الكتان الخام المتوسط[6]

---

(1) المقريزي، خطط،ج2،ص98. الشاش:قماش يوضع للجروح أو على العمائم وتجمع شاشات،وقد تطلق على قماش الحطة،واستعمل أيضاً كنوع من زينة الحريم يوضع على الرأس ويزخرف بالذهب واللؤلؤ وقد شاع استعماله حوالي 780هـ وبولغ كثيراً في الإنفاق عليه.دهمان،معجم الألفاظ،ص95.

(2) القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص41. المقريزي،الخططنج2،ص160.

(3) كوامل: نسبة للملك الكامل الأيوبي ومفردها كاملية وهي عباءة خارجية للتشريف.انظر:ابن أجا، العراك،ص70.

سلاريات:نسبة إلى سلار وهو أمير من المماليك قتله المنصور.انظر: ابن أجا، العراك،ص134.و للتصحيح فان سلار قتله الناصر محمد بعد توليه السلطة للمرة الرابعة وكان سلار وبيبرس الجاشنكير هما اللذان انقلبا على الناصر محمد واستولوا على الحكم وكان الناصر محمد بن قلاوون قد هرب إلى الكرك وتحصن فيها ولما اشتد عوده رجع وتسلم السلطنة وقام بقتل سلار وبيبرس الجاشنكير.

انظر:الشوكاني،البدر الطالع،ج2،ص237.الجبرتي،عجائب الآثار،ج1،ص33.المحامي،تاريخ الدولة العثمانية،ج1،ص86.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص111. ابن دقماق، النفحة المسكية،ص85.

(5) المقريزي، الخطط،ج2،ص227.السلاح خاناه:هو مخزن السلاح ويشرف عليه السلحدار وهو الذي يحمل سلاح السلطان ويتولى أمر السلاح.دهمان ،معجم الألفاظ،ص91-92.

(6) المقريزي، السلوك،ج2،ص524-525. طرخان،النظم الإقطاعية،ص163.

ومن خلال استعراض الملابس المملوكية عبر عصر كل سلطان على حدة، يتضح عدة محطات في التغيير ، ففي المحطة الأولى لم يحدث أي تغيير في الملابس،فقد بقيت على ما كانت عليه في العهد الأيوبي، حيث كانوا يلبسون كلوتات صفر بغير عمائم، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم فلما دخل عهد قلاوون تغيرت كما تم ذكره، ومن بعده جاء الأشرف خليل بن قلاوون فغير لون الكلوتات من الصفرة إلى الحمرة، وأمر بالعمائم من فوقها، وبقيت كذلك حتى حج الملك الناصر محمد بن قلاوون فحلق رأسه، فحلق الجميع رؤوسهم واستمروا على الحلق إلى أواخر العهد المملوكي، وترتب على ذلك أن تكون العمامة صغيرة ولكن زيد في قدرها عهد شعبان بن حسين[1] فحسنت هيئتها وأما الثياب فلبسوا الأقبية التترية والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك يشير عليه بالسيف من جهة اليسار والصولق والكزلك من اليمين(2) وأما الأمراء في عهد قلاوون فلبسوا الطراطير الحمر [3] من تحت العمائم الشامية من القطن[4] وأما زى الفارس المملوكي فقد كانت العمامة المزركشة إضافة إلى لبس دراعة[5] بنفسجية اللون وطوق ذهب وله عدة سيوف لواءان منشوران على رأسه وسهمان كبيران وترس وقدم له فرس أشهب في عنقه مشدة[6] سوداء وعليه كنبوش أسود [7] وقد كان الملبس في فصلي الصيف والشتاء، يختلف عن بعضه، ففي الصيف كان جميع القماش من الفوقاني، وغيره أبيض من النصافي ونحوه وتشد فوق القباء الإسلامي المنطقة وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضة

---

[1] هو الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ولد سنة 754هـ بقلعة الجبل، تسلطن بعد خلع ابن عمه الملك المنصور بن محمد وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية وكان عمره حين تسلطن عشر سنين في الخامس عشر من شعبان سنة 764هـتنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج11،ص24. ابن كثير ،البداية والنهاية، ج14،ص302.

[2] القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص41.

[3] يقصد بها الطرح وهي ألبسة كان يتميز بها القضاة الشافعية والحنفية فتستر العمامة وتسدل على ظهر القاضي.دهمان،معجم الألفاظ،ص107.

[4] المقريزي، السلوك،ج1،ص531.

[5] الدراعة: جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف. انظر: المقريزي، السلوك،ج1،ص531.

[6] المشدة:مرادف للفظ الرقبة. انظر: المقريزي، السلوك،ج1،ص531.

[7] كنبوش: هي البردعة تجعل تحت سرج الفرس.المقريزي،السلوك،ج1،ص531.

المطلية بالذهب، وترصع باليشم ولا ترصع بالجواهر إلا لأكابر أمراء المائتين، وفي زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفائق تحتها فراء السنجاب الغض ويلبس أكابر الأمراء السمور ويجعل في المنطقة منديلاً لطيفاً مسدلاً على الصولق ومعظمهم يلبس المطرز على الكمين من الزركش والحرير الأسود المرقوم ولا يلبسه إلا من له إقطاع في الحلقة وأما من هو في الجامكية فلا يتعاطى ذلك، و في أرجلهم لبسوا الخفاف الأبيض في الصيف وإن كانوا في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر ويشدون المهاميز المسقطة بالفضة ومن كان له إقطاع في الحلقة يكفت مهمازه بالذهب وبالنسبة للخيل فيركبون الخيل المسومة النفيسة الأثمان خصوصاً الأمراء أما الغلمان تركب البغال(1) وحتى الخيول كانوا يلبسونها بركستوان(2). كما ظهر في العصر المملوكي لباس للرأس باسم الشربوش وكانت له المكانة الأولى فهو يميز الأمير ولا يلف حوله منديل وكان الشربوش يعتبر خلعة من السلطان لمرتبه الفروسية(3)، لكن الشربوش كان موجوداً منذ العهد الأيوبي واستمر عهد المماليك حتى أبطله الجراكسة(4)، وبطبيعة الحال أن الملبس تغير من مناسبة إلى أخرى ففي الحرب يلبس المماليك زياً مناسباً كي يحافظ على حياته كالدروع والجواشن والخوذ، وفي الأعياد كان المماليك يلبسون ملابساً خاصة وبالمجمل فزى المماليك ظريف وعدتهم فائقة نفيسة(5)، ومهما يكن من أمر فإن زى الجندي المملوكي كان على درجة كبيرة من حسن الرونق وبديع التنسيق حتى أصبح جمال هندامهم مضرب الأمثال عبر التاريخ(6).

---

(1) القلقشندى صبح الأعشى،ج4،ص42.

(2) ابن أجا،العراك،ص51. بركستوان:غطاء أو درع يوضع على ظهر الفرس.انظر:ابن أجا،العراك،ص51.

(3) المقريزي، الخطط،ج2،ص99.

(4) المصدر نفسه،ج2،ص99.

(5) القلقشندى صبح الأعشى،ج4،ص42.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص142.

التموين:

إن مسالة التموين تعتبر من أهم المسائل المتعلقة بالانتصار أو الهزيمة، سواء في التـــاريخ العسكري القديم آو الحديث، فالجندي المقاتل لا يمكن أن يستمر في أي حرب دون تأمين المأكل والمشرب، وكثيرا ما كان سبب انتصار جيش آو هزيمته بسبب التموين،ولذلك من أهم ما يفكـــر به أي نظام عسكري ناجح، ضرورة توفير الحد الأدنى من المؤنة للجيش، وقد عـــرف النظـــام العسكري الإسلامي منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية هذه النظرية، وأحسن التـــدبير فيهـــا، ففـــي غزوة بدر الكبرى استطاع المسلمون السيطرة على ماء بدر(1) وكان ذلك مـــن أهـــم مقومـــات الانتصار للمسلمين، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر من يجهز غزوة تبـــوك (جـــيش العسرة) بالجنة فكانت البشرى من نصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه(2) ولذلك فان التموين كان له بالغ الأهمية في الأنظمة العسكرية الإسلامية ومنها النظام العسكري المملوكي، حتـــى أن الإقطاع العسكري كان يصب بالدرجة الأولى في هذا المضمار وحرص على تـــوفير التمـــوين لجيشه وهذا ما سيتم تناوله من خلال البحث، ومما يدلل على أهمية هذا العنصر اهتمام السلطان المملوكي بنفسه بهذا الأمر حيث تابع الولاة في الدولة المملوكية بخصوص حفظ مصادر الميـــاه، وخاصة بين مصر والشام(3) وحتى حين كان الجيش المملوكي فـــي طريقـــه لأي معركـــة أو لتحرير أي مدينة كان يحرص على نزول المناطق التي يمكن أن تسد حاجة الجيش للمؤنة، بـــل والتي يوجد فيها مراعي وأعشاب، لكي يتم سد حاجة الخيول من الطعام، كما حدث مع بيبـــرس وجيشه سنة667هـــ/1269م حين أمر بنزول أرسوف شمال فلسطين على ساحل البحر[4]

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم،ج2،ص13.الزهري،الطبقات الكبرى،ج3،ص526. ابن كثير، البداية والنهاية،ج3،ص335.

(2) الأصبهاني،حلية الأولياء،ج1،ص58. السيوطي، تاريخ الخلفاء،ج1،ص151. ابن كثير، البداية والنهاية،ج5،ص4.

(3) العسقلاني،الفضل المأثور،ص121.

(4) وأرسوف:هي مدينة على بحر الشام شمال فلسطين بها غابة مليئة بالأسود ويقيم بها جماعة من العلماء والمرابطين. انظر: السمعاني،الأنسابج5،ص404،ج1،ص112.ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج2،ص323.

لأنها كثيرة المراعي والأعشاب[1] وحين نعرف أن سياسة تقسيم الغنائم بعد أي معركـــة تبـــدأ بإخراج ما يكفي لتجهيز الجيش في المعارك المقبلة وإخراج ما يـــسد حاجـــة الثغـــور وعمـــارة الحصون[2] وإن الغنيمة أصلاً إنما قسمت على المجاهدين لتغطية المؤنة في الحروب اللاحقـــة، فالسهم الأول من الخمسة أسهم في حكم الغنيمة يوزع لسد حاجة الثغور وأرزاق القضاة والأئمة وال بيت النبي ولليتامى والمساكين والفقراء وأبناء السبيل، والأربعة أخماس الأخرى للمجاهـــدين الذين حضروا الحرب، وذلك مما شانه توفير المؤنة لهؤلاء الجند وعـــوائلهم[3].وان الـــسلطان شخصياً تابع نوعيات المؤنة، حيث حرص على إطعام الجيش المملوكي أفضل الأطعمة ومنهـــا اللحوم بشكل يومي، وحتى أنه كان يأمر بتوزيع العليق والشعير والبرسيم للخيول التـــي يركبهـــا المجاهدين في الجيش المملوكي ، وحتى أنه في عيد الأضحى كان يأمر بتوزيع الأضاحي علـــى أفراد الجيش المملوكي[4] وكان يطلق على المؤنة في النظام العـــسكري المملـــوكي مـــصطلح الميرة،و كانت ترسل الدولة باستمرار الحبوب والقمح والشعير والفواكه والأغنام للجـــيش أينمـــا كان بطريقة آمنة[5] حتى أن الدولة كانت ترسل للجيش في ميادين القتـــال الفواكـــه والحلويـــات وسائر ما يليق بهم من تموين[6] وحين يذكر ابن تغري بردي كلمة (ما يليق بهم) يتضح مـــدى اهتمام الدولة بالجندي المملوكي، وبما يجب تقديمه لذلك الجندي، ولا سيما ما يقـــع فـــي نفـــس الجندي من رفع لمعنوياته حين يشعر بأن الدولة تهتم به، وبنوعية الطعام المقدم له مما يدفعـــه لتقديم كل ما يمكن تقديمه أثناء المعركة، إضافة لما لنوعية الطعام من فائـــدة للجـــسم نفـــسه، والذي يبذل طاقة كبيرة داخل المعركة، وبالتالي يحتاج إلى فيتامينـــات وبروتينـــات ، فالجنـــدي

---

[1] المنصوري،التحفة الملوكية،ص65. ابن أجا، العراك،ص76.
[2] ابن النحاس،مشارع الأشواق،ص1036.
[3] المعيري،تحفة المجاهدين،ص51-52.
[4] المقريزي، الخطط،ج2،ص216.
[5] ابن أجا، العراك،ص96.
[6] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج10،ص38.

المملوكي يخاطر بحياته، ولذلك كان من واجب الدولة تقديم كل ما يمكن أن يشعر الجندي بأهميته، سواء من الطعام أو الملبس أو كل ما من شأنه إشعاره بأنه إنسان له حقوق. ويلاحظ أن الدولة المملوكية لما كانت توزع حصص من اللحوم والأطعمة الشهية والحلويات والفواكه والكسوات الفاخرة على جنودها، كانت آنذاك قوية وكان جيشها بدرجة عالية من الكفاءة، أما في عهد السلطان فرج بن برقوق وهو العصر الذي يطلق عليه دولة المماليك الجراكسة فقد منعت اللحوم وصار يعطى للجندي المملوك عشرة دراهم فصاروا يشترون الفول[1] وبطبيعة الحال فإن ذلك كان له أثره السيئ في ضعف الجيش والدولة ، والجدير بالذكر أن الدولة المملوكية لم تألُ جهداً في توفير احتياجات الجيش من التموين عبر فرض الضرائب لتغطية نفقات الجيش لتدارك العجز في بيت المال، وكانوا أحيانا يجهزون الجيش من خلال توزيع مبلغ كبير من المال لكل جندي كنفقة لمدة شهرين[2] وفي خضم هذا الأمر كانت تظهر بعض العقبات في سياسة تجهيز الجيش المملوكي حيث ورد الكثير من النصوص التي تشير إلى قيام سلاطين المماليك بجمع الضرائب رغم أنوف الناس، لتجهيز الجيش المملوكي، مما جعل بعض العلماء يتصدون لذلك ويحرضون الناس على عدم الالتزام بالقرار، مما جعل هناك مواجهة بين السلاطين والعلماء، كما حدث بين السلطان بيبرس والشيخ محيي الدين النووي[3] الذي لم يوافق على ما قام به بيبرس من جمع للأموال من الناس لتجهيز جيش المماليك ضد التتار، وقال ذلك الشيخ للسلطان أنه يجب عليه وضع حياصة[4] من ذهب عن كل مملوك من الألف مملوك التابعين له لبيت المال

---

(1) المقريزي، الخطط،ج2،ص214.

(2) البصروي،تاريخه،ج1،ص239.

(3) محيي الدين النووي: هو يحيى بن شرف بن حسن بن جمعة بن حزام الحازمي أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي كبير الفقهاء في زمانه ولد بنوى سنة631هـ ونوى قرية من قرى حوران، قدم دمشق سنة649هـ وحفظ القرآن وله كتب عبادات وفقه وتوفى في نفس السنة التي توفى فيها بيبرس سنة 676هـ.انظر: ابن كثير، البداية والنهاية،ج12،ص274،ج13،ص278.حدث ذلك الموقف بين قطز والشيخ العز بن عبد السلام حين أراد قطز أن يفرض على الناس الضرائب لتجهيز جيش عين جالوت كما سيتم ذكره في الفصل الرابع.

(4) حياصة:هي حزام يوضع في وسط جسم الدابة أو على فخذيها تحت ذيلها لتثبيت السرج للركوب.دهمان،معجم الألفاظ،ص65.

، كذلك يضع حلي مائتي جارية تابعة لبيبرس وذكره بأنه كان مملوكاً، وليس من حقه جمع المال من الناس، مما أثار بيبرس وأغضبه وجعله يطرد هذا الشيخ(1) وهنا تظهر قضية هامة وهـي الفجوة الكبيرة بين السلاطين المماليك الأقوياء، أصحاب السلطة، والعلماء الأحـرار الـذين رأوا مخالفات شرعية فيما يقوم به السلاطين المماليك، وخروجاً من تلك القضية يمكن وضع عنـوان يلخص ويحلل تلك العلاقة، وهو أن الوجود المملوكي كان نتيجة فراغ سياسي وعسكري واضح المعالم، فقد كان المماليك مع كل انجازاتهم العسكرية، إنما هم عبارة عن ملئ للفـراغ وتغطيـة طبيعية فرضتها الظروف الواقعية، ولذلك نجد سلطان العلماء الشيخ العز بن عبد السلام(2) قـد أدرك تلك المسالة واستطاع التعامل معها بكل حكمة وموضوعية،ولم تكن تلـك المـسألة هـي الوحيدة التي حدثت بين العلماء وسلاطين المماليك، إنما حدث مثل تلك القضية الكثير على مـر العصر المملوكي، ولكن السلاطين المماليك غالباً ما كانوا ينصاعون في النهايـة لأمـر الـدين ورأي العلماء، مثلما حدث أثناء العصر المملوكي، فقد أصدر علماء العـصر المملـوكي فتـوى بضرورة جمع ما في أيدي الأمراء والجند وما في أيدي النساء من حلي ليؤخذ ليتم بـه تجهيـز الجيش، وان لم يكف تجمع الضرائب من عامة الناس(3) وأحيانا للتخفيف مـن حمـل تجهيـز الحملات العسكرية، وخاصة في أواخر العصر المملوكي فرض نظام التجنيد الإجباري أو البدل العسكري مثل أن يدفع الجندي غير الراغب في مصاحبة الحملات مائة دينار(4) .

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص105.

(2) العز بن عبد السلام: لقب بسلطان العلماء ولد في دمشق سنة577هـ،1181موتوفى بالقاهرة سنة660هـ-1266م، كان ورعاً زاهداً آمرا بالمعروف ناهياً عن المنكر، عاصر الأيوبيين والمماليك.انظر:الشيرازي، طبقات الفقهاء،ج1،ص267.

(3) ابن أجا، العراك،ص42.

(4) المصدر نفسه،ص38.

وأما سنة 700هـ/1300م فقد عاشت الدولة المملوكية فاقة كبيرة، وكان هناك تحرك للمغول فتم فرض ما يعين على ذلك، فقرر على أرباب المعايش والتجار والباعة وذوي الألباب بالقاهرة ومصر أموالا بحسب أحوالهم[1].

وبالنسبة لتموين الجيش أوقات السلم فقد كانت تقدم الأسمطة[2] لأفراد المماليك السلطانية في الليل والنهار،فكانوا يأكلون ويشربون على حساب الدولة نفسها.

الإقطاع العسكري:

يعتبر عصر سلاطين المماليك ، العصر الذي نضجت فيه النظم الإقطاعية الحربية فقد نشأ المماليك في ظل هذا النظام الإقطاعي زمن الأيوبيين ، وأقاموا دولتهم الإقطاعية على أنقاض دولة أساتذتهم الأيوبيين الذين اعتبروا الدولة ملكاً للسلطان وجنوده ،ولكن الإقطاع ظهر جلياً وبصورة كبيرة في العصور التي حكم فيها غير العرب حيث أنهم كانوا من أصول تركية وجاءوا من أقصى الشرق كالسلاجقة والترك، والأكراد ومن هنا فان الإقطاع جاء كضرورة اقتضتها الحاجة ويوضح ذلك ابن الأثير حين يقول: أن الإقطاع كان على سبيل إرضاء بعض القادة والقبائل في الدولة الزنكية[3] حتى أن الدولة الزنكية كانت تقطع مدناً وإمارات بأكملها على سبيل الإقطاع[4] كما فعلت حينما أقطعت الرها[5] وحران[6].

ومن الملاحظ في تلك الفترة أن الإقطاع لم يكن مقصوراً على دولة المماليك وإنما كان موجوداً في كل الكيانات العسكرية الموجودة آنذاك من الصليبين والمغول، وهناك من الباحثين من يعتقد

---

[1] المنصوري، مختار الأخبار،ص115-116.

[2] الأسمطة: جمع سماط وهو طاولة خشبية يمد فوقها شتى أنواع الأطعمة والحلويات والشراب والسماط الواحد يشمل خمسة آلاف رطل من اللحم ويكون في دار السلطان.انظر:المقريزي،الخطط،ج2،ص210.

[3] ابن الأثير، الكامل،ج10،ص456.

[4] أبو شامة، الروضتين،ج4،ص415.

[5] الرها:مدينة تقع في بقعة تصل بحران وهي وسط بين المدن والغالب على أهلها النصارى وبها الكنائس العامرة وفيها منديل المسيح ويوجد بها كنيسة من عجائب الأرض.انظر الإدريسي،نزهة المشتاق،ج2،ص663. ابن بطوطة،ج7،ص481.

[6] حران: بينها وبين الرها اثني عشر ميلاً وهي مدينة الصابئين ولهم بها تل عليه مصلاهم وهم يعظمونه وينسبون إلى سيدنا إبراهيم وهي قليلة الماء والشجر وهي أرض سهلية يحيط بها جبل شامخ مسافته يومان.انظر:الإدريسي،نزهة المشتاق،ج2،ص664.

أن المماليك تأثروا بالنظام الإقطاعي لدى المغول كون المماليك من شرق آسيا ومن نفس الطبقة الزمنية والمكانية للمغول، وخاصة بمن أسلم من المغول بعد معركة عين جالوت[1] وهذا القـــول غير دقيق على الإطلاق، لأن المغول لم يكونوا موجودين في العهد الزنكي وبـــدايات العـــصر الأيوبي والسلجوقي، حيث كان النظام الإقطاعي موجوداً قبل المغول، ومن الواضح أن النظـــام الإقطاعي ارتبط بالواقع الموجود، فقد ترسخت مفاهيم الإقطاع حين كان يحتاج الأمر لذلك. فقـــد كان الإقطاع جزءاً من ضرورات بقاء المجاهدين وضمانة لاستمرار قدرتهم على الجهـــاد، وإلا فكيف للسلاجقة والزنكيين والأيوبيين وهم دويلات لا ترقى لمستوى الخلافة التـــي تـــستطيع أن تجمع الأموال والرواتب وتقوم بتوزيع العطاء للمجاهدين لحرب غير المسلمين مـــن المعتـــدين، الذين لم يجدوا خلافة قوية تصد هجمات المعتدين من التتار والصليبيين آنـــذاك، بـــل ورد عـــن بيبرس أنه أقطع بعض الصليبيين أرضا مقابل وقوفهم بجانبه في بعض حروبهم، كما أن بيبرس أقطع لكثير من الفرسان المغول من فرق خان القرن الذهبي بركة 664هـــ/1265م وكان قد تـــم نقلهم للعمل في صفوف المماليك[2]وإن دولة المماليك قد اتخذت من الإقطاع أساسا لتسيير الأمور وجعلت الإقطاع يتناسب مع أهمية كلاً من الأمراء والفرسان والجنود ومنحوا الأرض المحـــررة لمن أبلي بلاءً حسناً، ووصل الأمر لأن يقطع للأمير قرية أو مدينة بأكملها أو يتقاســـم أميـــران قرية كما فعل بيبرس مع بعض أمراءه[3] وكان مرسوم الإقطاع يصدر لخمسين شخصاً أحيانا[4] ومما جاء في بعض المصادر أن بيبرس أعطى اقطاعات للأمراء تمليكاً مؤبداً شرعياً[5] ويبـــدو ذلك التصرف من قبل بيبرس كخطوة اضطرارية لكسب الأمراء، وخاصة في الوقت الذي شـــهد

---

[1] سيمينوفا،صلاح الدين والمماليك،ص75.
[2] سيمينوفا،صلاح الدين والمماليك ،ص77.لم يعثر عن ذلك في المصادر المعاصرة.
[3] حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي،ص50.
[4] المرجع نفسه،ص298-300.
[5] المنصوري،التحفة الملوكية،ص55. يبدو أن المؤرخ المنصوري قد خلط بين الهبة والإقطاع الحربي لأن الإقطاع الحربي في القوانين العسكرية يمكن أن ينزع بأمر السلطان.

عملا دءوبا على الصعيدين الداخلي والخارجي، سواء في العمل على استقرار الـبلاد والقـضاء على الثورات الداخلية، أو على الصعيد الخارجي من خلال فتح الحرب على جبهتين الـصليبية والمغولية، وقد نجح بيبرس على الصعيدين الداخلي والخارجي .

أما نظام الإقطاع في دولة المماليك فكان يمنح للأمير أو الجندي ليستغله طوال فترة حياتـه،أو عمله بالجندية، وفي حال العزل أو الوفاة يخرج الإقطاع عنه[1] ومما جرت عليه العادة توزيـع الإقطاعات وتجديدها بعد المعارك، وخاصة الكبرى التي ينتج عنها تحرير أرض، حيث كانـت تخرج المناشير التي تبين الاقطاعات الجديدة كما فعل قطز بعد معركة عين جـالوت[2] ويعتبـر ذلك من باب توزيع الغنائم لإرضاء المحاربين الذين أبلوا بلاء حسنا، وكانت الاقطاعات تـوزع حسب رتبة الفارس، فقد كان يعطى الأمير الكبير ما بين قرية إلى عشرة قرى والمملوك يحصل على قرية ونصف القرية، أما الجندي يحصل على نصف قرية[3]، ويذكر أن الإقطـاع للأميـر يشمل جنوده فللأمير الثلث من الإقطاع ولجنوده الثلثان، وكان لكل أربعين جندياً مقـدماً، ومـن الاقطاعات المقدمة للمقدم العقارات والأبنية الـضخمة والأنعـام والخيـول[4]، وقـد اختلفـت الإقطاعات حسب أهمية المكان ففي خارج مصر كان يقطع للمماليك نيابات وأحيانا كان يقـوم السلطان بتبديل الاقطاعات بين المماليك وخاصة في الشام فمثلاً نائب صفد يصبح نائب غـزة أو طرابلس[5] وهنا لابد من الإشارة إلى حرص السلطان على التبديل كي لا تقوى شوكة الأمـراء في بعض النيابات وتنازعهم نفسهم باستغلال أي فترة ضعف للسلطان ، ومما أخـذه الـسلطان بعين الاعتبار حينما يقطع الأمراء أن يتتبع أسلوب التدرج في الإقطاع فالتـدرج كـان لزيـادة

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص15.
(2) المنصوري،التحفة الملوكية،ص44.
(3) المقريزي،الخطط،ج2،ص217-219.وانظر: البيومي،النظم المالية،ص238.
(4) المقريزي، الخطط،ج2،ص216.
(5) ابن تغري بردي، حوادث الدهور،ج2،ص476.

الإقطاع فمثلاً يقطع الأمير نيابة صغيرة ثم اكبر ثم اكبر وهكذا حسب الأهمية، ويتجنب السلطان تقليل الإقطاع إلا في الحالات الضرورية[1] ومن خلال تتبع الاقطاعات وقيمتها لكل أمير أو جندي بحسب رتبته وأهميته ومكان إقطاعه نستخلص أن مصر أهم من الشام بالنسبة للمماليك،فمصر للسلطان والمقربين وكبار الأمراء في الدولة، وأما الشام فهي أقل شأناً من مصر، بيد أن بعض المدن الشامية لها أهمية كبعض المناطق في مصر[2] وعلى سبيل المثال فإن دمشق تعتبر من أهم النيابات في العصر المملوكي ولذلك كان يتم التدقيق فيمن يتولى نيابتها وكان يوضع بها حامية قوية من الأجناد[3] و مما أصبح سلبية للنظام الإقطاعي هو ضعف أجناد الحلقة عصب الجيش المملوكي بسبب استيلاء السلطان وأمراء الدولة على معظم دخل الإقطاعات مما جعل العامل الاقتصادي والسياسة المنحازة للأمراء في نظام الإقطاع يؤدي في النهاية إلى انهيار العدالة في نظام الإقطاع مما كان له أثرا سلبيا على النظام العسكري المملوكي برمته وأدى إلى ضعفه[4] حتى أن إقطاع السلطان ذاته وصل إلى نصف خراج مصر[5] ومما ساعد على تدهور النظام العسكري المملوكي هو قيام السلطان بحرية التصرف في الإقطاعات، حيث أصبحت ضمن عطاياه لمن يرضى عنهم، حتى وصل الأمر إلى أن بعض السلاطين ينعمون بالإقطاعات على كل من يرضون عنهم من علماء، وحتى من عامة الناس حتى صار للناس اقطاعات كثيرة[6]، كان النظام العسكري أولى بها و باستغلالها ، وبين الفينة والأخرى كانت تخرج من قصر السلطان تجريدة أو مرسوم لإقطاع الأمراء والمقربين والجنود إقطاعات جديدة وتبديلات جديدة وتأتي في مرسوم يبدأ بتلك العبارة (أن يبذلوا في خدمة أبوابنا

---

[1] القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص51-52.وانظر:الطروانة،مملكة صفد،ص238.
[2] القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص51-52.
[3] الدمشقي،نزهة الأنام في محاسن الشام،ص27.
[4] البيومي،النظم المالية،ص303.
[5] المقريزي،الخطط،ج1،ص88.
[6] اليوسفي، نزهة الناظر،ص207.

الشريفة ويتوكلوا على الله ثم على صداقتنا العميمة) ويقول بعض المؤرخين المحدثين أن نظـــام الشبه بين الإقطاع المغولي والمملوكي كبير، وخاصة حين كان يــوزع الـــسلاطين المماليـــك الاقطاعات بحسب هواهم[1] وهنا لم يوفقوا في ذلك التشبيه، فحـــين كـــان ســـلاطين المماليـــك يقطعون الأمراء لخدمة النظام العسكري كان ذلك أمرا ايجابياً، أما حـــين وزعـــوا الإقطاعـــات لمجرد رضا السلطان عن شخص، فبذلك لم يصلوا إلى نزاهة المغول في توزيـــع الإقطاعـــات، لأن المغول أنفسهم لم يوزعوا الاقطاعات على من لا يستحق، ومن الواضح أن النظام الإقطاعي في العصر المملوكي مر بمرحلتين أساسيتين:- **فالمرحلة الأولى** كان فيها النظـــام الإقطـــاعي ايجابيا وفي خدمة النظام العسكري مباشرة ويصب في مصلحة الدولة، ولـــه نظـــام خـــاص لا يتجاوزه السلطان نفسه. وأما **المرحلة الثانية** فقد مر النظام الإقطاعي بفتـــرة تـــدهور أدى فـــي النهاية إلى أن يكون سبباً في الضعف للدولة بشكل عام، حيث أصبح ذوي الاقطاعات يبيعـــون إقطاعاتهم للعامة في وقت من الأوقات مما جعل للأراذل إقطاعات فـــي الوقـــت الـــذي أصـــبح الأمراء المماليك أصحاب صنائع وحرف مما أدى إلى تـــدهور النظـــام العـــسكري المملـــوكي وخاصة في نهايات العصر المملوكي[2] وقد كان ذلك من أسباب سقوط دولة المماليك علـــى يـــد الأتراك العثمانيين سنة923هـــ/ 1517م.

أساليب المماليك القتالية والتعبئة العسكرية:

لا شك أن القتال فن من الفنون التي لها أصولها وقواعدها وخدعها ومكائدها، وقد فطـــن المسلمون الأوائل منذ بداية حـــروبهم إلـــى ذلـــك، فأبـــدعوا وانتـــصروا رغـــم قلـــة عـــددهم وعدتهم.وأساليب الحرب كثيرة ومتنوعة ولم يبتدعها المماليك، فقـــد كانـــت الأســـاليب التـــي

---

[1] عيسى، العالم الإسلامي،ص106.
[2] المقريزي، الخطط،ج2،ص219.

استخدمها المماليك موجودة من قبلهم، مثل قتال الخميس، وهو تقسيم الجيش إلى خمس فرق، الفرقة الأولى المقدمة، والفرقة الثانية المؤخرة، والفرقة الثالثة الميمنة، والرابعة الميسرة، والخامسة القلب، وهذه الطريقة متبعة منذ القدم، وقد استخدمها المسلمون منذ بداية معاركهم العسكرية[1] وأيضا القتال في صفوف، فقد كانت موجودة ومتبعة من قبل المسلمين الأوائل، وقد استخدمها المسلمون في غزوة بدر، وأيضاً قتال الكر والفر كان موجوداً، وهو من أهم الطرق المتبعة لدى المسلمين في قتالهم، حيث أنهم كانوا غالباً أقل عدداً من أعدائهم. كما كانت طريقة قتال الكراديس[2] موجودة وهي ذات فائدة كبيرة في معارك المسلمين، لا سيما أن أعدادهم كانت قليلة فإذا انسحب أو هزم كردوس لا ينسحب باقي الجيش، وإنما تبقى باقي الكراديس في القتال وهذا يخفف عبء القيادة لأن كل كردوس له قائد خاص وأما قتال الصفوف ففيه من الخطورة أن الجيش كله يكون عبارة عن صفوف، ومن الصعب الاستمرار في المعركة إذا انسحب صف بأكمله[3] وإن سبب استخدام نظام الكراديس هو أنه لما كثرت جنود الدول خشوا أن يضرب بعضهم رقاب بعض فجعلوا كل كردوس له قائد وراية، وقد استخدمها الفرس والروم والمسلمون ومن تلك الطريقة يكون الميمنة بكردوس، والميسرة بكردوس، والقلب بكردوس، والمؤخرة بكردوس وهكذا[4]ونظام الكراديس له فائدة عظيمة، وهي عدم قدرة الأعداء على تحديد عدد الجيش المكردس[5] وقد كان المغول يستخدمون تلك الطريقة في القتال[6] وبالنسبة للمماليك فقد كانوا يستخدمون كل الطرق السابق ذكرها مع تعديلات بما يناسب مكان المعركة

---

(1) : الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج4،ص474

(2) الكراديس:جمع كردوس ومعناها الخيل العظيمة والكراديس الفرق منها وهي كتائب الخيل.انظر:ابن منظور، لسان العرب،ج6،ص195.والكراديس هي طريقة قتال فيها يتم تقسيم الجيش إلى مجموعات كثيرة وكل مجموعة لها قائد وهي تضمن عدم انسحاب الجيش إذا انهزم كردوس أو جزء منه وهي أن يكون كل مجموعة من الجند عبارة عن فرقة مستقلة لها قائدها ويتكاثفون حول بعضهم حتى لا يتمكن أعداءهم منهم.انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج4،ص474.انظر الشكل رقم26 في الملحق ص193.

(3) الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج6،ص222.الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج2،ص336.

(4) ابن خلدون،المقدمة،ج1،ص272-273. ابن كثير، البداية والنهاية،ج10،ص93.

(5) ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية الكبرى،ص367.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص160.

والخطة التي سيتم إتباعها ويتفق عليها قادة الجيش المملوكي، وقد استخدم المماليك قتال الصفوف حيث اتبعوا تلك الطريقة فكان يسير الجندي المملوكي بجانب صاحبه حتى يكاد يلتصق به ويسيرون على هذا النحو حين يستقر العدو وهذه الطريقة قد اتبعت في حروبهم لإرهاب العدو، وكانوا يقسمون الجيش إلى ثلاث صفوف يضربون صفا وراء صف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ويتناضلون جلوساً إلى أن يتهيأ النصر وهي تعبئة محكمة غريبة وكانوا في حروبهم يحفرون خنادق حول معسكراتهم(1) ، وقد عمل المماليك على دمج عدة طرق مع بعضها في فنون القتال، فعلى الرغم من استخدام القتال في صفوف، إلا أن الصفوف ذاتها عبارة عن مجموعات مكردسة متراصة، من خلالها يتمكن الجيش المملوكي من السيطرة على أرض المعركة، وكان يوصى بقتل أي جندي يحاول ترك مكانه ضمن التنظيم، لأنه سيترك فراغاً سيستغله الأعداء(2) وقد فطن المماليك إلى فنون الحروب المتعددة، حيث كانوا محترفين لطرق القتال، فالقتال مهنتهم الأساسية وقد تربوا عليه منذ طفولتهم فهم فرسان مدربون وفي معظم معاركهم كانوا يقسمون الجيش إلى فرق وكراديس تختص كل مجموعة منهم بعمل ومن الفرق من كانت مدربة على تسلق الحبال و لاقتحام المدن المحصنة(3) وكان يحرص المماليك على إظهار قوتهم وكثرتهم بعروض تظهر القوة و الرهبة في نفوس أعداءهم، ففي معركة عين جالوت لاحظ التتار كثرة العساكر المملوكية وحسن ما عليهم وجمالهم وهم ينحدرون من الجبل تتعاقب الأطلاب أولا بأول ووقعت الكوسات[4] والطبلخانات[5]

---

(1) ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص274-275.

(2) المقريزي، السلوك،ج1،ص933.

(3) المنصوري، التحفة الملوكية،ص61.

(4) الكوسات: هي صنوج تشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص.انظر القلقشندى:صبح الأعشى،ج4،ص9.

(5) الطبلخانات: وهي ما نسميه في عصرنا الحالي موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي ،كما كانت تستخدم في الحروب ولاستقبال ضيوف السلطان.انظر:دهمان،معجم الألفاظ،ص106. وانظر: سالم،سحر،دراسات في تاريخ مصر،ص259.

وهنا لابد من تثبيت عدة حقائق، وهي أن المماليك حرصوا على إظهار قوتهم من خلال إظهار أعداد كبيرة بواسطة عرض الجيش، على الرغم أنهم ليسوا بأكثر من أعـداءهم، ففـي طريقـة نزول الجيش إلى أرض المعركة يمكن التمويه. وحقيقة أخرى هي حرص المماليـك علـى أن ينزلوا من مكان عال، فيظهروا بشكل مرهب ودائماً من بالأسفل يرى من بالأعلى أكثـر عـددا وأكبر حجما، ولذلك في فن التصوير التلفزيوني حينما يريدون تحقير شئ يصورونه من أعلـى إلى أسفل وإذا أرادوا تفخيم وتكبير شئ وإظهاره بأكبر من حجمه وبالعظمة يصورونه من أسفل إلى أعلى، وبذلك فقد استطاع المماليك استغلال هذا الفن، كما حرصوا على إظهار الزينـة مـن خلال لبس أفضل الثياب، حتى وهم في المعارك، إضافة إلى استخدام الموسيقى العسكرية التـي سيتم تناولها بالتفصيل في المكان المخصص لها بالبحث، وقد تجلت الموهبة القتاليـة المملوكيـة في كثير من المعارك، من بينها وقعة حمص سنة 680هـ/1281م، التي بلغ فيها عـدد الجنـد المماليك خمسين ألفاً والتتار مائة ألف، وحينما كاد التتار ينتصرون حيث كسروا ميمنة الجـيش المملوكي ،استطاع المماليك تغيير نتيجة المعركة (1) بفضل نظام الكراديس وبذلك تثبت الخطط المملوكية في أساليبها قيمة تقسيم الجيش إلى فرق. كما كان المماليك يحرصون على ضم العلماء وقراء القرآن مع كل فرقة عسكرية، وكان دور العلماء بارزا في تشويق المقاتلين للجنة مما كان له عظيم الأثر في نفوس الجيش المملوكي . وكانت لمرافقـة الـسلطان المملـوكي للحمـلات العسكرية دوراً كبيراً في نفس الجندي المملوكي، حين يرى السلطان نفسه داخل المعركة، وكان أيضاً الخليفة العباسي يرافق الحملات العسكرية أحياناً ويبدو أن خروج الخليفة كان بـأمر مـن السلطان المملوكي الذي كان له السلطة على الخليفة نفسه في القاهرة وقد كان الخليفة نفسه يقول

---

(1) اليافعي،مرآة الجنان،ج4،ص191.

للجند:" قاتلوا عن دين نبيكم وعن حريمكم" وكانت كلمات العلماء أيضا تجعل من الفرسان مـــن يسقط عن فرسه مغشياً عليه لتأثره بالوعظ الديني،حتى أن ابن تغري بردي يصف الجنود والقادة داخل الجيش المملوكي بأنهم كانوا يسلمون أنفسهم للشهادة في سبيل الله من أثـــر كـــلام الـــدين، فكانوا يضعون نصب أعينهم إما النصر أو الشهادة[1] كما كان يحـــرص المماليـــك علـــى رفـــع السناجق[2] على أسوار قلاع أعدائهم حتى يحطموا نفسيات أعدائهم، وللإعلام دور كبير في رفع الروح المعنوية ،وتحطيم الروح المعنوية لدى أعداءه، ومثال ذلك حصار قيسارية[3] حيث تسلق بعض فرسان المماليك السور وتحلقوا كالنسور[4] كما حرص المماليك لإرهاب أعدائهم نـــصب المنجنيقات[5] وقصف المدن المحصنة بشكل مرعب وفي نفس الوقت تدور الخيـــول بفرســـانها حول المدينة، كما يتم نصب السكك على أسوار المدن المحاصرة لتصعد عليها الخيـــول التابعـــة للجيش الإسلامي ، وكانوا كل يوم يصعدون هجومهم أكثر من اليوم السابق، وذلك مـــن خـــلال زيادة قصف المدن بالمنجنيقات حتى تستسلم[6].ومن خلال تتبع المرحلة المملوكية نجد أن البيئة التعليمية في تلك المرحلة شهدت فكراً وتأليفاً عن الجهاد بشكل كبير فقد ظهر في ذلـــك العـــصر الكتابات المتنوعة عن الجهاد وفضائله بشكل كبير والحـــروب وفنونهـــا وصـــناعة الأســـلحة[7]

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص160.

(2) السناجق:جمع سنجق وهو لفظ تركي بمعنى العلم أو الراية وبمعنى الرمح أو اللواء وقد كان لكل فرقة من الجيش راية تعلق على رأس الرمح سمى سنجق وأول من حملها سيف الدين غازي أخو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي.انظر:أبوشامة: أخبار الروضتين في أخبار الدولتين،ج1،ص228. انظر الشكل رقم 25 في الملحق ص192.

(3) قيسارية:بلد من ساحل الشام بشمال فلسطين وهي من الثغور وبينها وبين يافا ثلاثون ميلاً والى نابلس ثلاثون ميلاً ومنها الى حيفا يومان. انظر: الإدريسي،نزهة المشتاق،ج1،ص.365 البكري، معجم ما استعجم،ج3،ص1106..

(4) ابن كثير، البداية والنهاية،ج12،ص227. ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص260..دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص93.

(5) المنجنيق: هو من جملة الآلات المنقولة المستعملة في الحروب وقيل أن أول من استخدمه جذيمة الأبرش ملك العرب وقيل في تفسير سورة الأنبياء أن المشركين لما عزموا على حرق سيدنا إبراهيم الخليل أضرموا النار ولم يدروا كيف يلقونه فيها فجاءهم ابليس فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضع فيه فرموه انظر: اليعقوبي، تاريخه، ج1،ص24. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج7،ص45-46. ومنه أنواع: العربي المبين وهو أيقن مصنوعاته وأوثق معمولاته ومنه التركي وهو اقله كلفة واحصرها مؤنة ومنه الفرنجي وان افضل الأخشاب لصناعة المنجنيق خشب القراصيا فان عدم فخشب قريب العقد متوسط كالأرز وما شابه. انظر الطرسوسي، التبصرة،ص16.انظر الأشكال رقم(6-7-8-9) في الملاحق ص185-186.

(6) المنصوري،التحفة الملوكية،ص53.

(7) انظر:ابن النحاس،مشارع الأشواق في مصارع العشاق(في فضائل الجهاد)،العز بن عبد السلام،أحكام الجهاد وفضائله،الطرسوسي،تبصرة الألباب في كيفية النجاة من الحروب،كتاب علل الرمي وفساده،كتاب الفروسية لابن القيم الجوزية.

وغيرها من الكتب الكثيرة، التي من شأنها تفعيل الجهاد في سبيل الله وإتقان الفروسية،ويتضح من خلال تتبع العصر المملوكي دور الكثير من العلماء في تحريض المسلمين على القتال وكان ذلك من أهم أساليب التعبئة العسكرية والقتال، ومواقف الشيخ العز بن عبد السلام كانت ظاهرة بشكل كبير (1) حتى في أواخر العصر المملوكي حينما تراخى الجنود المماليك في قتال أعدائهم كان للعلماء دور بارز في التعبئة العسكرية حيث كانوا يذكرونهم بانتصارات الجيل الأول من المماليك وخاصة بطولات بيبرس(2). ومن أساليب المماليك العسكرية استخدامهم للحرب النفسية حيث عمدوا إلى أسر مجموعات صليبية، وحملوهم على الإبل وساروا بهم بجوار المدن المحتلة من قبل الصليبيين، كما حدث في الهجوم على مدينة صفد حيث أصيب سكان صفد من الصليبيين وحاميتها بالذعر مما كان له عظيم الأثر في الهزيمة النفسية للصليبيين ومن ثم استسلامهم ليتم تحرير صفد(3) وبطبيعة الحال كان لكل معركة خطة منفصلة، بحسب المكان والزمان ولكل سلطان أسلوبه في المعارك، لكن عنوانهم جميعاً التميز والتنوع والتفنن والإبداع بوضع أفضل الطرق للقاء الأعداء، وقد نجح النظام العسكري المملوكي إلى حد كبير في خوض المعارك الفاصلة وتحرير المدن وطرد المحتلين، سواء من التتار أو الصليبيين و سيتم تناول الخطط العسكرية والدفاعية وإدارة المعارك والفرق الاستطلاعية في الفصل الثالث كما سيتم تناول التطبيقات العسكرية للخطط وفنون القتال في الفصل الرابع.

---

(1) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص72.الحنبلي،شذرات الذهب،ج5،ص291. الشيرازي،طبقات الفقهاء،ج1،ص267.

(2) اليوسفي،نزهة الناظر،ص207.

(3) المنصوري،التحفة الملوكية،ص57.

الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف:

كان الجيش المملوكي قد عرف نظام الأطلاب، وهو قائم على أساس تقسيم الجيش إلى كتائب، يكون على رأس كل كتيبة أمير مقدم والكتيبة الواحدة منها مكونة من سبعين إلى مائتي فارس (1) والطلب هو الفرقة من الجيش(2) و الأطلاب بلغة الترك، الأمير أو المقدم له علم معقود وبوق مضروب(3) وقد كان يقصد بالأطلاب تنظيم الجيش وتقسيمه إلى فرق، تتقدم إلى المعركة حسب الخطة، وكان لكل طلب خواص تتميز بها، وهذا التميز يظهر باختلاف نوع السلاح التي يتجهز بها الطلب، ولا يمكن لأي جيش التحرك وممارسة العمليات العسكرية ما لم يتم التنسيق والتنظيم، ويتضح ذلك من خلال أول معركة خاضها المماليك ضد المغول وهي معركة عين جالوت سنة658هـ/1260م ،حيث كان بيبرس على خيل الطلب(4) وكان التنسيق بين الأطلاب في تلك المعركة من خلال خطة تقتضي أن يتوهم التتار بأن الجيش المملوكي هو طلب بيبرس فقط، مما جعل المغول يشتبكون مع طلب بيبرس بلا تفكير اعتقاداً منهم أن الجيش كله فقط من هم تحت قيادة بيبرس، وبذلك استطاع طلب بيبرس استدراج التتار إلى المكان المتفق عليه مع باقي الجيش المملوكي بقيادة قطز، فلما وقع التتار في الشرك تدافعت أطلاب الجيش المملوكي من كل صوب محاصرة الجيش المغولي، فكان النصر حليف المسلمين[5]. وقد كان النظام العسكري المملوكي يحدد حجم الجيش بعدد أطلابه فقد روى المنصوري أن الجيش المملوكي الذي خرج لملاقاة التتار في عهد الملك السعيد ابن بيبرس [6] بأن عدته اثني عشر

---

(1) المقريزي، الخطط،ج2،ص213-214.
(2) ابن أجا،العراك،ص45.
(3) المقريزي، الخطط،ج1،ص85.
(4) المنصوري،التحفة الملوكية،ص44.
(5) : ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص259. المكي،سمط النجوم العوالي،ج4،ص24.
(6) الملك السعيد:هو محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس سمي ببركة خان نسبة لجده من أمه ملك التتار،تسلطن في حياة أبيه بيبرس يوم الخميس العاشر من شوال سنة 662هـ وبعد وفاة أبيه حكم سنتين وشهرين وكان متزوجاً من ابنة المنصور قلاوون .انظر: ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص259. المكي،سمط النجوم العوالي،ج4،ص24.

طلباً[1] وهنا إذا افترضنا أن الطلب عدته مائتي فارس، يكون عـــدد الجــيش المملــوكي ألفــين وأربعمائة فارس فقط، وهذا عدد قليل مما يرجح أن الأطلاب غير محصورة بعدد، لأنه لا يعقل أن يكون الطلب من سبعين إلى مائتي فارس فقط ، وإنما الطلب مرتبط عدده بالخطـــة المعـــدة، فيمكن أن يكون قليل العدد أو كثير العدد بحسب إعداد الخطة المقترحة لخوض الحـــرب، وممـــا يرجح هذا الرأي أن الطلب عبارة عن تقسيمة للجيش، بحيث كان النظام العــسكري المملــوكي يعتبر الميمنة طلب والميسرة طلب والقلب طلب والمؤخرة طلب، وهكذا مما يعني عدم ارتبـــاط الطلب بعدد معين، وحتى أن كل فرقة تابعة للنظام العسكري المملوكي تعتبـــر طلبـــاً ، فأجنـــاد الأمراء أطلاباً والفرقة الهندسية طلب، فالنظام العسكري المملوكي كـــان يعتمـــد علـــى نظـــام الأطلاب في تقسيمه الجيش[2]حيث من خلال هذا النظام يـــستطيع الـــسلطان تحديـــد انجازاتـــه وإخفاقاته أولا بأول خلال الحرب من خلال متابعة كل قائد طلب على حدة، إضافة إلى فتح باب المنافسة بين أمراء الأطلاب، وبذلك يكون من الممكن أن يظهر طلب إذا انتصر . ومما يتـــضح من خلال تتبع المعارك الحربية المملوكية أن النظام العسكري المملوكي لم يدخل أي معركة بكل أطلابه، وإنما كان يتم استدعاء الأطلاب حسب الحاجة خلال المعركة نفسها[3] ويبدو ذلـــك مـــن باب الحرص والحفاظ على القدرة الوقائية للجيش وحماية العاصمة من أي التفاف للعدو، كما أنه صمام أمان ضد أي محاولة انقلاب داخل النظام العسكري المملوكي، كما أن النظام العـــسكري المملوكي يعمل ضمن إستراتيجية تعتمد على الكفاءة القتاليـــة والخطـــط العـــسكرية فـــي إدارة المعارك، وليس على أعداد الأطلاب المشتركة في المعركة فقط، ولذلك نجد أن قائد المماليك في المعارك يطلب الأطلاب إذا لزم الأمر. وفي نظام الأطلاب كان كل طلب له خصوصية وعـــدة

---

(1) المنصوري، التحفة الملوكية،ص84.
(2) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص296.
(3) ابن أجا،العراك،ص91.

خاصة ويسير وفق خطة جانبية منفصلة يقودها قائدها المباشر، وكل طلب يعرف أفراده وجنوده بعضهم البعض وبينهم تفاهمات لا يدركها إلا هم للحفاظ على السرية[1] وأيضا كــل طلــب لــه أسلحته ومهامه المنوطة به، فقد كان من ضمن الأطلاب على سبيل المثال طلب النشابة وكانــت من اقوي الأطلاب في الجهاد[2] وبشكل عام فإن الجيش المملوكي له صنفان أساسيان إضافة إلى أصناف أخرى كالفرق الهندسية:-

الصنف الأول: الفرسان(الخيالــة)[3] وهــو عــصب الجــيش ومهمتــه القتــال والاســتطلاع والاستكشاف، ويمتاز بسرعة الحركة كفرقة بيبرس في معركة عين جالوت والتي كان له الدور البارز في إحراز النصر، وهذه الفرقة لا يشترط فيها أن تقابل العدو وجهاً لوجــه لأنهــا تعتبــر فرقة خاصة لها مهمات خاصة لا يجوز التضحية بها أو دخولها في مغامرة حربية قــد تخــسر فيها فرساناً مدربين، ولذلك فهم ينفذون مهماتهم بدقة وينسحبون إلى قواعــدهم وهــذه الفرقــة يمكنها تقديم معلومات دقيقة عن الأعداء من شأنها أن تبنى عليها الخطة للجــيش، ممــا يؤهــل النظام العسكري المملوكي أن يكون صاحب المبادرة ببدء الحرب بناء على المعلومات المتــوفرة والتي تعطي المماليك قوة معلوماتية يمكن أن تؤثر على سير المعركة ونتائجها.

الصنف الثاني: المشاة(الرجالة) وهم القسم الأكبر من الجيش وهم الذين يقومون بأعباء القتــال وتحمل مشاقه ونتائجه[4].

وبالنسبة للصفوف الأخرى فاسمهم مرتبط بالأسلحة التي يحملونها، وسيتم التفصيل في ذلك فــي الفصلين الثالث والرابع.

---

[1] المنصوري، مختار الأخبار،ص49.

[2] العسقلاني، الفضل المأثور،ص75.

[3] انظر:الشكل رقم26 في الملحق ص192.

[4] ابن منكلي، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية،مخطوط،ورقة 13-14-15. انظر:فهيم،الفن الحربي،ص150-151.

المتطوعون في الجيش المملوكي:

إضافة إلى المقاتلين من الفرسان والمشاة النظاميين المسجلين في ديوان الجيش المملوكي ، و إلى جند الإقطاع التابعين للأمراء ، إضافة إلى أجناد الحلقة و المماليك السلطانية ، و فرسان الأمراء ، ثمة متطوعين [1] مقاتلين و خاصة من أهل مصر والشام ، و لو رجعنا إلـى بدايـة الحروب الإسلامية في عهد الرسول "ص" سنجد أن كافة الجنود كانت متطوعة ، حتى عهد عمر بن الخطاب فهو أول من أسس ديوان الجند[2] ، وأصبح الجيش نظامياً ، وان الأمر بالجهاد الذي جاء في القرآن و السنة إنما خاطب كافة المسلمين ولم يخاطب الجـيش النظـامي فقـط ، وأن الجهاد يصبح فرض عين على العبد والمرأة بدون إذن إذا دخل الكفار بلد من بلاد المـسلمين[3]، و لكن في العهد المملوكي ثمة مشكلة حقيقية ، فالجيش المملوكي عبارة عـن عبيـد اشـتراهم السلاطين الأيوبيون و سيطروا على الحكم ، وقد كانوا مـن أصـول ذات قوميـات تركيـة و جركسية و رومية و كردية وتركمان [4] ولم يكن يسمح للعرب و أهالي البلاد بـالانخراط فـي الجيش المملوكي ، وكيف يندمج أي عنصر ضمن هذا الجيش المدرب تدريباً عسكرياً محكمـاً ، فالمماليك تدربوا منذ كانوا صبية ، فالفرق العسكرية المملوكية تميـزت بتـدريبات عـسكرية مميزة ، لم يكن بمقدور أهالي البلاد مواكبة تلك التدريبات ، بالإضافة إلى عدم سماح الـسلاطين بدخول أهالي البلاد إلى الجيش المملوكي ، وحرص أهالي البلاد أنفسهم علـى متابعـة أمـور حياتهم و صنائعهم إضافة إلى تحيز السلاطين المماليك إلى أبناء جنسهم و نظرتهم الدونية إلـى أهالي البلاد.و على الرغم مما سبق إلا أن المخلصين و المحبين لفريضة الجهاد كانوا دائماً على

---

[1] متطوعون : الفعل منها تطوع أي تبرع و المطوعة الذين يتطوعون بالجهاد ، انظر الرازي ، مختار الصحاح ، ج1 ، ص168. ابن منظور لسان العرب ، ج8، ص 243.

[2] الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج4،ص436.

[3] المعيري ، زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص51

[4] المقريزي ، الخطط ، ج 2 ، ص 215 ، انظر الفصل الأول .

استعداد لتقديم التضحية ، على الرغم من العامل النفسي السيئ الذي يتلخص في أن أي إنجاز عسكري سيكون للمماليك أنفسهم ، وليس للمتطوعين ، إلا أن هؤلاء المتطوعين رجوا الثواب من الله عز و جل ، وفي النهاية المتطوعة يدافعون عن أرضهم و عرضهم ، وقد عرف من المتطوعين المساندين للمماليك في حربهم ضد المغول آل مهنا[1] وآل فضل[2] و آل مرة[3] وهذه القبائل كانت تقيم بين بادية الشام والعراق والجزيرة[4]. ومنذ اللحظة الأولى لحروب المماليك انضمت قوافل المتطوعين لملاقاة الأعداء ، فالمسلمون لا يقبلون إلا المشاركة ، و بذل النفس والمال طمعاً في مرضاة الله عز و جل ، وحين نتتبع معركة عين جالوت التي انكسر فيها التتار نجد أن من أسباب النصر انضمام المتطوعين من سكان فلسطين إلى جيش المماليك، فقد التحق بجيش المماليك عسكر الشام المتطوعين من العرب [5] .كما خرجت عساكر مصر مع متطوعي الديار المصرية أيضاً وحاربوا في معركة عين جالوت [6].و بالانتقال من عهد قطز في معركة عين جالوت إلى عهد بيبرس نجده يدرك قيمة المتطوعين ، فهم جند إضافيين لا يكلفون الدولة شيء ، فيقوم بيبرس بتجنيد العشائر العربية سنة660هـ/ 1261م،على حدود الفرات و يحثهم على قتال المغول بعد أن دعمهم بالأموال و الهدايا و قاموا بالفعل بهذا الدور[7]وهنا لابد من الإشارة إلى ذكاء بيبرس العسكري حيث أنه فطن لمسألة هامة، ألا وهي أن مصر تحت رعايته المباشرة ، فهو يضمن حمايتها بمماليكه وجيشه، والشام في حماية أجناد

---

[1] آل مهنا: هم رحالة ما بين الشام والجزيرة ونجد وينسبون إلى طيئ ويقال أنهم ينسبون إلى ربيعة، اشتهروا بتربية الخيول العربية الأصيلة أ أقاموا علاقات مع السلاطين المماليك الذين أكرموهم مقابل جلب الخيول منهم ومشاركتهم في الحروب إلى جانب المماليك.انظر ابن تغري بردين النجوم الزاهرة،ج9،ص167.

[2] آل فضل:كانوا مقيمين بحوران بعد أن طردهم آل مراد من حمص ونواحيها تقربوا إلى سلاطين المماليك فأقطعوهم الاقطاعات فاستظهروا بها ، ابن خلدون ، العبر،ج5،ص498.

[3] آل مرة:هي إحدى القبائل العربية والتي تتنقل من مكان إلى مكان بين الجزيرة وأطراف العراق وبادية الشام وهي التي اشتهرت بالحرب التي قامت بينها وبين بني تغلب قبل الإسلام. انظر ابن الأثير، الكامل،ج1،ص512. اليعقوبي، تاريخه،ج2،ص27.

[4] المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص 99

[5] اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، م 1 ، ص 360 ، الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص 162.

[6] أبو شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص 270 .

[7] اليافعي، مرآة الجنان،ج4،ص236. الزبيدي ، التاريخ الإسلامي ، ص 34 .

الحلقة والأمراء والجنود الموزعين على القلاع والثغور . فكيف سيصد حمـلات المغـول مـن الشرق،فمن الصعب على النظام العسكري المملوكي توفير حاميات ضخمة لصد عدوان المغـول من الشرق على حدود الفرات، فوجد من مصلحته و مصلحة الدولة تجنيد العشائر العربية فـي تلك المنطقة، كما أن بيبرس في كل حملاته قاتل معه خلق كثير من المتطوعين [1].وفي إحـدى معارك بيبرس حينما وصل إلى الفرات وكسر المغول ، كان معه مهنا بن مانع بن حذيفـة فـي ألفين من عربه ، ولما انتهت المعركة توسط قلاوون عند بيبرس ليعطي آل مهنا إقطـاع مقابـل خدمتهم في الحرب فرفض بيبرس وقال : "ويلك يا بدوي نحس وصلت أن تطلـب إقطـاع " [2]

وهنا لابد من تحليل موقفان أولهم موقف العرب المتطوعين إذ أنهم حاربوا دفاعـاً عـن ديـنهم وأرضهم ولذلك لم يربطوا الجهاد بموقفهم تجاه المماليك أو بمقابل، وإن المنصور قـلاوون هـو الذي طلب للعرب إقطاعا وربما كان ذلك بمبادرة منه، وأن رد بيبـرس لـم يـؤثر علـى أداء العرب في التطوع، بدليل مشاركتهم باستمرار، وعلى مر العصر المملوكي بلا استثناء .

والثاني موقف بيبرس حيث أنه بالغ في إظهار رفضه ورده كان دلالة واضحة علـى التمييـز العنصري بحق العرب، ويبدو ذلك غير مستغرب كون بيبرس مملوكا، والمملـوك لا يمكـن أن يصبح ذا صفات السيد المتزن الذي يعامل الكل سواسية لأن المترسبات النفـسية أكبـر مـن أن تنسى فالأمر يبدو في إطار طبيعي، وفي أواخر عهد بيبرس ظهر جهاد المتطـوعين بـصورة جلية من خلال الدفاع عن صفد حين لم يكن بها حامية كافية[3].

---

[1] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 14 ، ص 102 .

[2] المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص 306

[3] طرخان،مملكة صفد،ص239.

ويظهر مشاركة المتطوعين من العرب في تحرير عكا، حيث كان عدد المتطوعة يفوق عدد الجيش المملوكي نفسه (1) كما شارك المتطوعة من العرب في معركة طرابلس حين هاجمها الصليبيين بمائتي مركب، وكان نائبها المملوكي مسافراً فقتل الصليبيون حاميتها من الجند واجتمع من سمع من عرب الشام وتمكنوا من تحرير طرابلس، و قتل الكثير من الصليبيين (2) ويصف المؤرخ ابن أجا إحدى خسائر المعارك المملوكية بقوله : "و قتل من المماليك وعربان جبل نابلس و التركمان الكثير "(3) وهذا النص يتضمن دلالة واضحة على مشاركة العرب في المعارك المملوكية، وأنهم كانوا جزءاً لا يتجزأ من النظام العسكري المملوكي وإن كانوا قوات مساندة غير نظامية.وقد اشتهر من العربان المتطوعين قبيلتان وكانوا اشد العرب بأساً وأكثرهم ناساً ولكنهم لا يدينون لأمير وهم بني كلاب وآل بشار وكان الناصر محمد بن قلاوون قد أمر عليهم سليمان بن مهنا وأقطعهم جعبر وما والاها [4].

الفرق الملحقة بالجيش:

الفرق الهندسية:

قديماً أو حديثاً فإن الجيوش والأنظمة العسكرية تحتاج إلى تقنيات تميزها عن أعدائها وبقدر كفاءة المستحدثات العسكرية بقدر ما يكون الانتصار،ففي الحروب السابقة واللاحقة كان للأسلحة وحداثتها دور كبير في تحقيق النصر لجهة على أخرى، والعصر المملوكي كباقي العصور لم تتغير فيه القاعدة ، حيث أن القتال يحتاج إلى معرفة بشئون الهندسة العسكرية لا سيما في قتال الأسوار والخنادق ونصب المعدات الثقيلة كالمنجنيقات التي عرفت كأفضل أنواع الأسلحة، وهي

---

(1) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة،ج8،ص8. ابن خلدون، العبر،ج5،ص463.

(2) الحموي، التاريخ المنصوري،ج1،ص261. وانظر السيد،التتار و المغول ، ص147-0148

(3) ابن أجا ،تاريخ الأمير يشبك ، ص33.

(4) جعبر: هي مدينة تقع بين العراق والشام وبها قلعة كبيرة،ابن كثير، البداية والنهاية،ج1،ص28. الدمشقي،المواكب الإسلامية،ق2،ص97-98.

من الصناعات التي احترف بها الجيش المملوكي، حيث كان يتــابع ســلطان المماليــك بنفــسه صناعتها، ولأن المنجنيقات بأحجام مختلفة، كانت تصنع بجــوار المــدن التــي ســيتم قــصفها وتحريرها[1] فكان ذلك من أهم ما هو منوط بالفرق الهندسية، التي كانت على علم تــام بأمــاكن تواجد ما يلزم من مواد خام للتصنيع الحربي ،وبعلم تام بكل المناطق في جميع أنحــاء الدولــة المملوكية ، ليتم تحديد سير الحملة العسكرية في الذهاب والإياب، حيــث عملــت تلــك الفرقــة إضافة لعملها قبل وأثناء المعركة على زرع الأرض بالمثلثات[2] التي كيفما تلقى علــى الأرض تصيب أرجل خيل الأعداء، فتدخل في قدم الفرس فينقلب هو وراكبه الذي حينما يقــع ستــصيبه إحدى المثلثات الملقاة على الأرض[3]ففي حصار قيسارية سنة 663هـــ/1265م.علــى عهــد بيبرس قامت الفرقة الهندسية بصناعة سكك للخيل على سور قيسارية وتحلقــت الخيــول فيهــا كالنسور وطلعت الفرقة ونصبت السناجق[4] كما أنه من مهام الفــرق الهندســية فــي الجــيش المملوكي تكثيف العمل لتجهيز احتياجات الجيش، وخاصة الميــاه فــي المنــاطق العــسكرية أو مناطق العمليات الحربية، وكان السلطان يتابع بنفسه عمل الفرق الهندسية[5] ونستدل من متابعــة السلطان لعمل الفرق الهندسية على أن أفراد الفرقة لابد أن يكونوا من ذوي الكفاءات العالية فهم دائماً تحت مراقبة السلطان نفسه، لذا لابد له من أن يكون من ذوي المهارات والكفاءات العالية، فهم صمام أمان النظام العسكري، من حيث توفير المياه وتحصين المواقع العسكرية التي يقــيم بها الجيش[6] وكانت أي قلعة يتم تحريرها كان يأمر السلطان على الفور الفرق الهندسية بــإجراء المياه لها من إحدى العيون القريبة، كما حدث حينما حررت صــفد فــي عهــد بيبــرس ســنة

---

[1] المقريزي،السلوك،ج2،ص18.
[2] الطرسوسي، التبصرة،ص19-20.
[3] المصدر نفسه،نفس الجزء والصفحة.
[4] المنصوري،التحفة الملوكية،ص53.
[5] العسقلاني، الفضل المأثور،ص124.
[6] المقريزي، السلوك،ج2،ص20.

666هـ/1268م [1].ومن مهام الفرق الهندسية أنهــم كــانوا يقومــون بثقــب أســوار المــدن المحاصرة[2] وأحيانا كان يركب السلطان بنفسه في الدبابات ذات العجلات مع الفــرق الهندســية وتجري لتصل إلى السور المعادي، ليرى السلطان بنفسه السور والثقوب التي ثقبها أفراد الفــرق الهندسية[3] كما أن الفرق الهندسية كان مطلوب منها اســتخراج النفــوط، التــي تــستخدم فــي الصناعات العسكرية، وخاصة النفط الذي يستخدم في حرق مراكب الأعداء[4] كما أن المنجنيــق نفسه لا يمكن أن يصنعه إلا ذوي الخبرة من الفرق الهندسية الخاصة بالجيش المملوكي ، إضافة إلى مكاحل البارود التي كان يلقى بها النفط . ومن التقنيات التي وصلت إليها الفــرق الهندســية العسكرية في الجيش المملوكي صناعة المدافع النحاسية، التي تقذف القذائف البارودية[5] ويبــدو أن هذه المدافع ظهرت في أواخر العهد المملوكي، كما سيتم ذكره خلال الحديث عن الأسلحة في الفصل الثالث، ويذكر أن المكاحل أي المدافع ذكرت بتاريخ 840هـــ/1437م[6] وقــد عــرف الناس هؤلاء العاملين بالفرق الهندسية شهرة تطلق على الواحد منهم بالمهندس[7].

الفرق الطبية:

إن روح الجندي المقاتل هي أهم ما يحرص عليه أي نظام عسكري قديماً أو حديثاً، ومــن أجل ذلك حرص النظام العسكري المملوكي على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح الجنود المماليك، فالجندي المملوكي قد خسرت عليه الدولة الكثير، فقد اشترته طفلاً من الأسواق وفرضــت لــه الجوامك وأطعمته وكسته وعلمته وأنزلته بطباق القلعة، ولا يمكــن حــصر تكــاليف الجنــدي

---

[1] ابن الجيعان، القول المستظرف،ص92.
[2] المنصوري، التحفة الملوكية،ص54.
[3] المقريزي، السلوك،ج2،ص19-20.
[4] الطرسوسي، التبصرة،ص21.
[5] القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص53.
[6] ابن أجا، العراك،ص88.
[7] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج11،ص34،ج3،ص243. المكي،سمط العوالي،ج4،ص365.

المملوكي ، وبعد كل ذلك حرصت الدولة على توفير العلاج لهذا الجندي سواء وقت السلم أو الحرب، وفي احدي الكوارث أصيب المئات من جند المماليك المقيمين في طباق القلعة بأمراض معدية، لدرجة أنه كان يظهر أربعمائة مريض في اليوم الواحد فكانت الفرق الطبية على أهبة الاستعداد، فكانت تنقذ ثلاثمائة وخمسين مريضاً من المماليك من الموت(1) ومن أوائل السلاطين الذين اهتموا بإنشاء فرق طبية كان الظاهر بيبرس، حيث خصص اهتماماً بالغاً بالأطباء وتنميتهم مهنياً(2) وقد كان منصب رياسة الطب يقلد بتشريفة كبيرة، وكان يتم اختياره بعناية فائقة من النواحي العلمية والخلقية، وكان بمثابة وزير الصحة، وهو المسئول بدوره عن اختيار الأطباء، وحتى اختيار طلبة الطب، وكان مسئولاً عن البيمارستان في القاهرة، كما شملت مسئولياته كافة الأطباء في كافة أرجاء الدولة المملوكية من جراحين وصيادلة وغيرهم من العاملين في الحقل الطبي(3) ومن هنا يتضح مدى اهتمام الدولة بالطب وحرصها على عدم مشاركة أي راغب في العمل بمهنة الطب وإنما حسب الكفاءة والمقدرة ومراقبة أداء الأطباء فأرواح العباد أمانة الدولة. ويتضح من تفحص العمل بمهنة الطب في العصر المملوكي وجود تخصصات في مهنة الطب وليس مهمة كل طبيب علاج أي مرض أو خلل صحي فنجد الجراحين والصيادلة وأطباء العظام حيث كانت التخصصات المختلفة ترافق الحملات العسكرية ومعها كافة المعدات و التجهيزات اللازمة من أدوية وأدوات ونقالات لحمل الجريح أو المريض، وكان ينصب مستوصف متنقل داخل خيام العسكر، ويمكن لأي مريض أو جريح النوم فيها بأمان وتحت مراقبة الفرق الطبية، وفي ذات مرة كسرت رجل بيبرس وهو على فرسه فجلس

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج14،ص340.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء،ج1،ص586.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات،ج8،ص22-25. ا الحنبلي، شذرات الذهب،ج4،ص239.

في خيمة وتم تجبير وركه وكان ذلك سنة 664هـ،1266م[1] وقد عرفت دولة المماليك أطباء موهوبين، لدرجة أن الطبيب منهم كان له نظرة ثاقبة في الشخص قبل فحصه ويروى عن طبيب اسمه فتح الدين فتح الله بن المعتصم بن نفيس الداودي التبريزي الحنفي[2]. أنه كان بمنصب رياسة الطب في دولة المماليك، ويروى أنه ذات مرة كان ماراً في السوق فرأى شخصاً ينسخ في كتاب وليس فيه مرض فتأمله وقال هذا يموت اليوم فكان كذلك[3] . ومن أهم السلاطين الذين اهتموا بالطب في دولة المماليك ، السلطان قلاوون الذي بنى بيمارستان كبير في القاهرة [4]وقام بعمارته سنة 682 هـ،1282م ، وأتمه سنة 684 هـ،1284م [5] وكان بيمارستان حسن البناء طيب الثراء بهيج المنظر ، جميل المخبر ، ذا أفانين وزخرفات متنوعة ، ومياه متدفقة ، وعماير متأنقة ،[6] وحقيقة أن أي نظام حاكم يتناسق تطوره أو تخلفه ، فدولة المماليك ومنذ اللحظة الأولى أتقنت العسكرية والعوامل المساعدة لها ومنها تقدم الطب، ولذلك فقد ارتبط الطب بحالة الدولة واستقرارها .

فرق الموسيقى العسكرية:

إن الجيوش في العصر الحديث تستخدم الموسيقى العسكرية خلال عروضها العسكرية، وثبت أنه لها دور كبير في بث الروح الحماسية داخل الجندي، لكنها لا تستخدم حالياً في الحروب لأن الزمان والمكان اختلف كثيراً بعد أن ظهرت التقنيات العسكرية الحديثة، وأصبح بإمكان أي جيش حسم المعركة عن طريق سلاح الجو، أما في الحروب القديمة ووصولاً إلى

---

[1] المنصوري، التحفة الملوكية،ص59.

[2] هذا الطبيب ولد سنة تسع وخمسون وسبعمائة وقدم مع أبيه إلى القاهرة فمات أبوه وهو صغير فكفله عمه بديع وكان طبيباً وفقيهاً وقد عمل طبيباً خاصاً للسلطان برقوق. انظر : الحنبلي، شذرات الذهب،ج4،ص122.

[3] الحنبلي، شذرات الذهب،ج4،ص122

[4] ابن دقماق ، النفحة المسكية ، ص79 . ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ، ص62

[5] ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ص 62 . المنصوري ، التحفة الملوكية، ص111

[6] العسقلاني ، علي بن شافع الكاتب ، الفضل المأثور ص168

العهد المملوكي كان هناك دور كبير للطبول والأصوات المصاحبة لصوت الخيول والسيوف وتحديد وقت الهجوم، فالطبول كانت بمثابة إعلان الهجوم وإرهاب العدو، ومن أجل ذلك نجد الأهمية البالغة التي حظيت بها هذه المسألة، ويقول في ذلك ابن خلدون:" أن السر في استخدام الموسيقى العسكرية هو إرهاب العدو في الحرب فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالترويع وأنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل واحد من نفسه" ويقول:"أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه حتى الحيوانات تتأثر ومن ذلك أن خيل المعركة تتأثر بالأصوات والطبول فهذه الطبول تحرك نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة"(1) وقد استخدم المماليك مؤسسة كاملة داخل الجيش لهذا الغرض أطلق عليها الطبلخانات، وقد كان النظام العسكري المملوكي يقضي بأن يصاحب كل فرقة من فرق الجيش طبولاً، ويأمر الجنود بانطلاق المعركة وبدايتها إذا ضربت الطبول[2] أي كانوا يستخدمونها كإشارة لبدء الحرب، وفي معظم حروب المماليك وفي أي هجوم لهم كانت البداية عبارة عن دق الطبل[3] وكانوا يطلقون أيضا على الموسيقى العسكرية مصطلح كوسات، ويصفها ابن تغري بردي ويقول: بأنها زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها وأرهبت الأعداء وكانت الطبول والكوسات تلاحق الأعداء المنسحبين من أرض المعركة[4]. وربما أدى ذلك إلى استسلام الهاربين من الأعداء.حتى أن ابن خلدون وصف المماليك بأنهم يكثرون من الطبول ويسمونها كوسات

---

(1) ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص252.
(2) الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج21،ص184.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص172.
(4) المصدر نفسه،ج8،ص162.

ويبيحون لكل أمير أو قائد فرقة عسكرية أن يتخذ طبولا خاصة بفرقته(1) وكـــان المماليـــك إذا هزموا بمعركة يبطلوا الكوسات، وإذا انتصروا يأمر السلطان بدق الكوسات(2) وبعد انتهـــاء أي معركة كانت تسكن الكوسات وتبطل الطبلخانات(3) وتعبر تلك الموسيقى العسكرية تعبيراً عـــن الواقع الموجود سواء بالنصر أو الهزيمة، وكأنها إعلان إذاعي يعرف من خلاله كل من يـــسمع ما هو حاصل من نصر أو هزيمة، ففي العصر المملوكي لم تكن الوسائل الإخباريـــة موجـــودة لإبلاغ الجيش والعامة بما حدث، أو للتعبير عن الانتصارات ، فكانت الطبلخاناة هي المنـــشور الإخباري العاجل الذي ينشر خبر الانتصار وإن لم يدق فهو خبر الهزيمة.

حملة الأعلام والرايات:

إن للراية دور كبير في المعركة فكم من جيش هزم لما داس الأعـــداء علـــى الرايـــة الخاصة به ، فالراية هو رمز للجيش يدافع عنه الجنود بكل بسالة وقد عـــرف المـــسلمون منـــذ بدءوا حروبهم الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الراية، وقد عقدت أول راية فـــي الإسلام لعبد الله بن جحش وهو ابن عمة رسول الله[4] وفي غزوة مؤتة كان للراية قصة طويلة، علمنا منها مدى أهميتها حين حرص زيد على حمل الراية بأمر رسول الله صلى الله عليه وســـلم فقتله الروم لتسقط راية المسلمين، فاستلمها بسرعة جعفر ابن أبي طالب الذي اســـتطاع الـــروم النيل منه وقتلوه، ليسقطوا راية المسلمين، وقد ورد أن جعفر كان يحمل الرايـــة بيمينـــه، فلمـــا قطعوا يده اليمنى حمل الراية بيده اليسرى، فلما قطعت يده اليسرى احتضنها بعضديه حتى قتل،

---

(1) ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص260.
(2) العسقلاني،الفضل المأثور،ص72.
(3) المنصوري،التحفة الملوكية،ص101.
(4) الأصبهاني، حلية الأولياء،ج1،ص108. الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج2،ص151.ابن خياط،تاريخه،ج1،ص87. ابن كثير، البداية والنهاية،ج4،ص244.

وقد أبدله الله بدل من يديه بجناحين في الجنة، يطير بها حيث يشاء[1]، وفعل جعفر إنما يدل على الأهمية الكبرى لرفع الراية في المعركة، وكم أن الأعداء حريصون على قتل من يحمل الرايـــة، فحملها عبد الله ابن رواحه واستبسل في الدفاع عن الراية، حتى استشهد، ليحملها خالد ابن الوليد ويقود الحرب بطريقة عالية الدقة ليخرج الجيش الإسلامي من احتمال الفناء [2] وكانت الراية في الفتوحات الإسلامية هي إشارة القيادة فمن تسلم الراية فهو القائد للجيش الإسلامي[3] وقد عرفــت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها سوداء، وكانوا يسمونها عقابـــاً[4] وكـــان رســـول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إعطاء الراية لمن يثق بهم ويعتمد عليهم، مثلما فعل في فـــتح خيبر حيث قال عن الراية: من يأخذها بحقها فجاءه رجلان واحد بعد الأخر فـــرفض الرســـول تسليمهما الراية ثم أعطاها لعلي ابن أبي طالب وقال :لأعطينها لرجل لا يفر ففـــتح الله خيبـــر على يد علي ابن أبي طالب[5] وفي مصادر التاريخ الإسلامي الكثير من القصص التي تدلل مدى أهمية الراية في انتصار الجيوش الإسلامية، ونجاح الفتوحات لا سبيل لسردها كلها، وقد سارت الدولة المملوكية على نفس الوتيرة من الاهتمام بالرايات، كجزء لا يتجزأ من التاريخ الإســـلامي و الاهتمام بالرايات في الحروب ليس فقط مرتبط بالتاريخ الإسلامي،بل إن الأمم الأخرى كانـــت على نفس المنوال من الاهتمام، بل أن التاريخ الحديث لا يخلو من مواقف تـــدلل علـــى اهتمـــام الدول برفع علمها، واعتبار الموضوع من أهم أولويات الدولة، فقد اظهـــر النظـــام العـــسكري المملوكي راياته وسناجقه فهي رمز الانتصار وإشارة للجند بالاستبسال. فإن تعرضت إحـــدى فرقه للخطر والهزيمة كان يأمر القائد أن يلف سناجق هذه الفرقة، وأما في حالة الانتصار يـــأمر

---

[1] الأصبهاني، حلية الأولياء،ج1،ص108.
[2] المصدر نفسه،ص120. الحموي،معجم البلدان،ج5،ص220
[3] الحنبلي،شذرات الذهب،ج1،ص32.انظر الملحق ص189.
[4] البلاذري، فتوح البلدان،ج1،ص119.
[5] ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج2،ص110. ابن حنبل، فضائل الصحابة،ج2،ص583.

القائد بنشر الرايات إيذانا بالنصر واستمراراً في ملاحقة باقي الأعداء(1) ودائماً ما كـــان لكثـــرة الرايات وألوانها رموزاً معينة ودلالات يفهمها أفراد الجيش(2) ولسلطان المماليك ثلاثـــة أعـــلام أحدها من الحرير الأصفر المطرز بالذهب ينقش عليه ألقاب السلطان واسمه ويـــسمى العـــصابة ويحمله العلم دار(3) والثاني كبير أبيض تعلق في أعلاه خصلة من الشعر ويسمى الـــشاليش(4) وكان المماليك يطلقون هذا اللفظ على طليعة جيشهم والثالث راية صفراء صغيرة تسمى السنجق ويحملها السنجقدار وفي حالة الحرب كان يخرج السلطان في جيشه بالأعلام الثلاثة معاً(5) كمـــا عرف ما يسمى الشطفة وهي شارة ملكية تحمل كما يحمل اللواء على رأس أمير الجيش (6)

الأسطول الحربي وتطوره:

إن تطور الأسطول البحري مرتبط بتطور النظام العسكري ككل في أي زمان ومكـــان، فهو جزء لا يتجزأ من المنظومة العسكرية، وبذلك يتضح مدى وجود وأهمية وقـــوة الأســـطول البحري المملوكي، فالمسلمون فقدوا سيطرتهم على البحر المتوسط منذ قيام الحـــروب الـــصليبية وتمكن الغرب المسيحي من السيطرة الكاملة على البحر المتوسط فأصبح بحراً أوروبياً، ويتجلى ذلك الأمر حينما استطاع صلاح الدين تحرير القدس وبعض المدن الـــساحلية، فأرســـلت أوربـــا إمداداتها عبر البحر المتوسط، مما اضطر صلاح الدين لصلح الرملة، وقد كانت قوة الـــصليبيين نابعة من قوتهم البحرية وقوة أساطيلهم، على الرغم من محاولات الأيوبيين إنشاء أسطول قـــوي

---

(1) العسقلاني،الفضل المأثور،ص72.
(2) ابن خلدون، المقدمة،ج1،ص259.
(3) العلم دار: يتركب هذا اللفظ من كلمتين أولاها العلم وهو لفظ فارسي معناه الراية والثاني دار فيكون علم دار وهو حامل العلم. انظر القلقشندى، صبح الأعشى،ج5،ص456-457.
(4) المقريزي، الخطط،ج2،ص433.
الشاليش:راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر وهي شعار السلطان المملوكي.انظر ابن خلدون ، المقدمة،ج1،ص260.
(5) ابن خلدون،المقدمة،ج1،ص260. المنصوري، التحفة الملوكية،ص95.
(6) ابن أجا،العراك،ص94.

إلا أنه لم يستطع منع الأساطيل الغربية وظل الحال من سيئ إلى أسوأ(1) وبذلك كـــان ميـــراث المماليك من البحرية الأيوبية ضعيفاً، واقتصرت القوة الإسلامية على المواجهة البرية كما حدث في عهد السلطان نجم الدين أيوب حينما استطاع جند المماليــك صـــد الهجمـــة الـــصليبية فـــي فارسكور(2) واستمر الضعف البحري ظاهرا وواضحاً في عهد شجر الدر وعز الـــدين أيبـــك، وأما في عهد قطز الذي لم تزد فترة حكمه عن عام، فقد قـــضاها فـــي تجهيـــز جيـــشه البـــري ومواجهة التتار والانتصار عليهم في معركة عين جالوت شمال فلسطين، الـــذي حـــاول تحييـــد الصليبيين من المواجهة الذين كانوا يعتقدون بأنهم هدف للتتار بعد المسلمين، ولذلك كان مـــوقفهم غير واضح، وعلى الأقل لم يستغلوا الفرصة وتريثوا حتى يروا ما ستسفر عنه نتـــائج المعركـــة وبعد المعركة انتهى حكم قطز بمقتله، وتولى بيبرس الحكم الذي كان يـــدرك قـــوة الـــصليبيين البحرية، التي كانت تهديداً واضحاً للدولة المملوكية الناشئة إضافة لسيطرتها على التجارة بالبحر ومن هنا بدأ بيبرس تجهيز أسطولا ضخماً كان يتابع إعداده بنفسه حيث كان يقضي معظم وقتـــه بدار صناعة السفن، حتى أصبح للمماليك أسطولا ضخماً تمكن من خلاله غزو جزيرة قبـــرص سنة669هـــ/ 1270م(3) وحين كان يأتي ضيوف لبيبرس كان يستقبلهم وهـــو بـــدار صـــناعة السفن(4) وهذا يوضح مدى اهتمام بيبرس بإنشاء أسطول قوي إدراكا منه لأهميته، وأصبح لدى بيبرس أسطولا قويا وضم أكثر من أربعين سفينة بحرية(5).

---

(1) سالم،العبادي،تاريخ البحرية الإسلامية،ص294.

(2) المنصوري، التحفة الملوكية،ص25.

(3) المقريزي، السلوك،ج1،ص447. انظر عاشور، الظاهر بيبرس،ص141-142.

(4) المقريزي، السلوك،ج1،ص577

(5) المصدر نفسه،ج1،ص527.

وبالإضافة لذلك تم تدريب أفراد الجيش المملوكي على السباحة والغوص تحت الماء فأصبحوا غواصين ماهرين(1) وكان هدف ذلك استخدامهم كوحدات خاصة لتنفيذ مهام حربية بحرية على سواحل المدن الإسلامية المحتلة، فمعظم المدن الساحلية كانت تحت السيطرة الصليبية.

وفي عهد بيبرس تم تحرير معظمها، وحينما توجه الأسطول لغزو قبرص انكسرت الشواني[2] الإسلامية بالقرب من قبرص وطلع رجالها إلى ساحل عكا، فأسرهم الفرنج فحاول المسلمون افتدائهم فتغالى الفرنج فيهم وقالوا هؤلاء جمرة البحار وفرصة الأعمار وأودعوهم حبساً حصيناً في قلعة عكا، واستطاع نائب صفد إغراء سجانيهم بالمال ، وتم تحريرهم في مركب مهيأ لهم وكان لهم خيل واقفة معدة فركبوها ووصلا إلى القاهرة وقامت بسبب هروبهم فتنة بين الفرنج[3] ومن هذه القصة يتبين مدى اهتمام الدولة المملوكية برجال البحرية، واعتبارهم من الوحدات الخاصة التي من الصعب إيجاد بدائل عنهم بالتالي السعي لتحريرهم بكل السبل المتاحة وغير المتاحة، وبالفعل نجح المسلمون بتحريرهم بطريقة الحيلة، وفي الكتاب الذي ألفه الشيخ العز ابن عبد السلام في العصر المملوكي"أحكام الجهاد وفضائله" خصص مقالاً عن مشاق الغزو في سبيل الله، وقال الثواب على قدر النصب وشرح ذلك بأن المجاهد في البحر له ثواب كبير وأجر عظيم، واستشهد بقول النبي "غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر وإن ذنوب المجاهدين في البحر تغفر وحتى الديون تغفر لشهيد البحر بخلاف شهيد البر وأن من غزا في البحر كمن غزا مع النبي وإن فضل الغازي في البحر على الغازي في البر كفضل الغازي في البر على الجالس في بيته، وإن الله يقبض بنفسه روح شهيد البحر وأما شهداء البر فيقبض أرواحهم ملك الموت وإن أجر جهاد يوم في البحر كأجر جهاد شهر في البر، وإن للمجاهد الذي

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص119.

(2) الشواني:هي سفن حربية كبيرة تشن الهجوم مجهزة بمدافع.دهمان،معجم الألفاظ،ص88.

(3) المنصوري، مختار الأخبار،ص52-53. التحفة الملوكية،ص80.

يغرق في البحر أجر شهيدين في البر وإن غزاة البحر لا يحزنهم الفزع الأكبر يـوم القيامـة[1] وتكلم زيادة عما سبق في جهاد البحر، وهذا الكلام الذي تحدثه شيخ العصر المملوكي العز ابـن عبد السلام، الذي كان يلقب بسلطان العلماء حينما يكتبه فإنه يقصد تشجيع الجيش المملوكي على ركوب البحر، وقد كانت الدولة المملوكية تستدعي كل من له خبرة بالصناعة البحرية، ليتم بناء أكبر قدر ممكن من السفن البحرية وقد استطاعت دور بناء السفن أن تبني مائة مركـب بحـري في عام واحد [2] ومن شدة اهتمام المماليك ببناء الأساطيل أنهم منعوا قطع الأشجار التي تـصلح أعوادها لبناء السفن[3] كما حرص المماليك على بناء أبراج لحماية سواحلهم ونظمـوا الممـرات البحرية، التي يمكن أن تدخل منها سفن الأعداء الكبيرة وبنوا أسوار ثغر الإسكندرية[4] وقد كانت أهم القطع البحرية التي يتألف منها الأسطول المملوكي الـشواني والحراريـق[5] والطـرادات[6] والأغربة[7] والبطس[8] والقراقير[9]ومما سبق يتضح مدى اهتمام النظـام العـسكري المملـوكي بالأسطول البحري من خلال تنوع السفن وتقدم الصناعة فيها وحـض العلمـاء علـى الجهـاد البحري.ومن انجازات البحرية المملوكية مهاجمة جزيـرة رودس فـي عهـد الناصـر محمـد والاستيلاء عليها وهدم أسوارها، كما تم السيطرة على جزيرة أرواد سنة702هـ/1302م[10]

---

[1] العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله،ص44-45.
[2] المقريزي،الخطط،ج2،ص213. العبادي، تاريخ البحرية،ص320.
[3] المقريزي، الخطط،ج2،ص194.
[4] المنصوري، مختار الأخبار،ص23-24.
[5] الحراريق:هي سفن حربية كبيرة تقل في الحجم عن الشواني وتستخدم في حمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية وبها مواضع خاصة تلقى بها النيران.حسن،تاريخ المماليك البحرية،ص366.
[6] الطرادات:هي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الحركة تستخدم في حمل الخيول وتتسع لثمانين فرساً.حسن،تاريخ المماليك،ص367.
[7] الأغربة:سميت بذلك لأن رأسها يشبه رأس الغراب وتمثل في الماء الطير في الهواء. حسن،تاريخ المماليك،ص367.
[8] البطس:يستعمل لحمل المجانيق والمقاتلة والسلاح وسائر آلات الحرب وقد اخذ المماليك هذا النوع من السفن عن الصليبيين.حسن،تاريخ المماليك،ص367.
[9] القراقير:تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمتاع وأنواع السلاح. حسن،تاريخ المماليك،ص367.
[10] المقريزي،الخطط،ج2،ص195.ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج8،ص156.

الفصل الثالث

المؤسسات المساعدة في تنظيم الشئون الحربية للجيش المملوكي

- تنظيم البريد الخاص
- الفرق الاستطلاعية والاستكشافية
- الخطط العسكرية وإدارة المعارك
- معاملة الأسرى
- المعاهدات والاتفاقيات
- تعيين القادة والرتب العسكرية
- أسلحة الجيش المملوكي أنواعها وصناعتها

  الأسلحة الفردية

  الأسلحة الجماعية

  الخيل
- القلاع والخطط الدفاعية

تنظيم البريد الخاص:

إن من مقومات نجاح أي نظام عسكري هو مدى قدرته على الاتصال والتواصل بين القيادة والجند من جهة، وبين الفرق المختلفة للجيش من جهة أخرى، إذ لابد للجيش أن ينسق جهوده وينفذ خططه العسكرية من خلال متابعته لما تم تنفيذه وما سيتم، والنظام العسكري المملوكي اهتم بالبريد شأنه شأن أي نظام في الجيوش، لاسيما أن الدولة المملوكية مترامية الأطراف ويحيط بها الصليبيون والمغول من الجانبين، فالبريد ساعد كثيراً في نقل أخبار العدو وتحركاته ومواقعه وحجم قواته وسلاحه وأماكن قيادته ومناطق شئون إدارته[1]،و قد عرف التاريخ البريد و تطوره ، وكان الفرس من بين الأقوام التي اهتمت بالبريد وتطوره ، بل يعتبرون أول من استخدم البريد بشكل منظم[2] وأما في دولة الإسلام فقد ثبت أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع البريد في الإسلام[3] و أما عبد الملك بن مروان فهو أول من أحكم البريد ونظمه[4]، و مروراً بالتاريخ الإسلامي أدرك كل من حكم الدولة الإسلامية أهمية البريد ، فقام بنو بويه بقطع البريد كي تنقطع الأخبار عن الخليفة العباسي ، ويذكر أن الدولة الزنكية أعادت البريد و استمر خلال الدولة الأيوبية، إلى أن جاءت الدولة المملوكية التي زادت الاهتمام بالبريد [5] ومن شدة اهتمام السلطان المملوكي بالبريد أنه كان يجعل لكل مركز بريد والي [6].

و من الجدير بالذكر أن دولة المماليك اتسعت وشملت بلداناً كثيرة، حتى كانت حدودها من أسوان جنوب مصر إلى الفرات في العراق و قد حرصت الدولة المملوكية على نشر أبراج

---

[1] ابن إياس،بدائع الزهور،ج1،ص108.انظر:ماجد،نظم سلاطين المماليك،ج1،ص61.
[2] القلقشندى،صبح الأعشى،ج14،ص413.
[3] المصدر نفسه،ج14،ص414.
[4] المصدر نفسه،ج14،ص416.
[5] المصدر نفسه ، ج14 ، ص 417- 419
[6] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص23

الحمام في داخل حدودها [1] ومركز البريد في قلعة الجبل في القاهرة له أربعة فروع : الفرع الأول يتجه جنوباً إلى بلاد النوبة ، والفرع الثاني يتجه شرقاً إلى البحر الأحمر ، أما الفرع الثالث يتجه غرباً إلى الإسكندرية ، والفرع الرابع يتجه شمالاً إلى دمياط ثم إلى غزة ثم إلى باقي بلاد الشام[2]. وقد كان يراعى في محطات البريد أن تكون قريبة من مصادر المياه و القرى ، كما راعت الدولة المملوكية الكفاءة و الأمانة في اختيار العاملين بالبريد و أن يتحلى بالإخلاص و الذكاء كل من يتم اختياره بالعمل في البريد [3]. كما أنه روعي أن يتم اختيار أفضل الناس في البريد ، وكان لهم مكانة عالية في الدولة ، وقد خضع البريد لصاحب ديوان الإنشاء [4]، وقد سمي البريد في عهد الدولة المملوكية بالخبر [5] ومن السلاطين الذين أولوا البريد أهمية بالغة الظاهر بيبرس الذي رتب البريد في سائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام، و يعود في مثلها ، فصارت أخبار الملك ترد في كل جمعة مرتين ، وأنفق على ذلك مالاً عظيماً حتى تم ترتيبه بهذه الصورة [6]. وجدير بالملاحظة أن بيبرس كان له دور كبير في ترسيخ و ترتيب الدولة المملوكية سواءً في الوضع الداخلي أو الخارجي ، وسواءً في محاربة التتار أو الصليبيين، وما تمتع به من شخصية قوية و إدارية و عسكرية ، و بحق فإن بيبرس يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك . ومن الأهمية التي حظي بها البريد في دولة المماليك أن السلاطين كانوا يتابعون بأنفسهم تجهيز و تهيئة الحمام الزاجل ،

---

[1] المقريزي ، الخطط ، ج 2، ص 231.انظر الخريطة ص177.
[2] عاشور،الظاهر بيبرس،ص140.
[3] المقريزي،الخطط،ج2،ص215.
[4] المصدر نفسه،ج2،ص215-216.انظر طقوس ، سهيل ، تاريخ المماليك ، ص102- 103، عاشور،الظاهر بيبرس ، ص 140، 141
[5] المقريزي ، الخطط ، ج2، ص 215.
[6] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 527.

واختيار الطيور الجيدة و المدربة حتى يصل الخبر من مصر إلى بلاد الشام في يــوم واحــد [1] فإن كانت الرسالة هامة كتبت من نسختين، و أرسلت مع حمامتين حتــى إذا ضــلت إحــداهما الطريق أو افترستها الجوارح، أمكن الاعتماد على وصول الرسالة الأخرى ، وبمجرد وصــول الرسالة إلى قلعة الجبل تحمل إلى السلطان فوراً [2] ومن خلال البريد الجيد و الدقيق تم السيطرة الكاملة على الدولة. وقد كان بيبرس يقول لصاحب البريد : " إن قدرت أن لا تبيتني كل ليلة إلا على خبر و لا تصبحني إلا على خبر فافعل "[3] و قد اعتنى المماليك بمركز البريد في القلعــة، حيث أنشأت أبراج الحمام وقد بلغت عدد الطيور في أبراج القلعة ألف و تسعمائة طائر . وكانت الرسالة تحمل في جناح الطائر لحفظها من الأمطار و لقوة الجنــاح ، و قــد كانــت الطيــور السلطانية لها علائم و هي دائمات في أرجلها ، وان سقطت حمامة بريدية ومانت تسلم للــسلطان بيده عن غير واسطة، و كانت الدولة تعتني عناية شديدة بالحمام الزاجل و الرســائل، حتــى أن السلطان المملوكي حين يكون على سفرة الطعام، و جاءت رسالة لا ينتظر حتــى يفــرغ مــن الأكل، بل يحل الرسالة و يترك الأكل و هكذا، حتى إذا كان نائماً لا يمهل بــل ينبــه و تــؤرخ الرسالة بالساعة و اليوم لا بالسنين، و لا يوجد في أولها بسملة و تبعث الرسالة بنسختين و يطلع السلطان عليهما الاثنتين[4] و يبدو ذلك ليتأكد أنها لم تقع بيد غيره فيطلع على أســرار الدولــة ، وليطمئن أن الرسالة غير مزورة، و كانت أخبار الحروب و اعتداءات الأعــداء علــى الثغــور تصل بسرعة حيث يؤمر بإرسال البريد على الفور [5]

---

(1) العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 120.

(2) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 120 ، عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص 140-141

(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 446

(4) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 231.

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 8 ، ص 100-101

الفرق الاستطلاعية و الاستكشافية:

إن من أهم ما يميز أي نظام عسكري ناجح، هو كم المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن الأعداء ، وبقدر المعلومات تكون الانجازات ، ولذلك اقتضت ظروف دولة المماليك و صراعاتها مع الصليبيين و المغول وجود مؤسسة تهتم باستطلاع أحوال العدو ، ومعرفة مدى قوته من حيث التعبئة و أنواع الأسلحة و العتاد ، و رصد تحركاته . كما حرصت دولة المماليك على سرية المعلومات بالإضافة إلى إخفاء أسرار الجيش المملوكي ، بل و إرسال معلومات خطأ بطريقة أو بأخرى .و لقد ظهرت انجازات الفرق الاستطلاعية العسكرية المملوكية منذ نشأتها قبيل معركة عين جالوت ، حيث كان رئيس الفرقة الاستطلاعية الظاهر بيبرس وقد عرف عنه مدى كفاءته و قدرته فوصل بفرقته إلى غزة و هي مكان متقدم وصلته قوات من جيش التتار [1] بالإضافة إلى الفرقة الاستطلاعية التي تسبق إعلان الحرب كانت تجهز فرقة خاصة كعيون على الأعداء في كل وقت و حين و حتى أثناء الحروب ، وكان لكل مقدم في الجيش المملوكي الحق في تشكيل فرق أمنية و استخباراتية تستطيع الدخول في مواقع العدو و للمقدم الحق في التحرك فيما يراه مناسباً حسبما يظهره المتجسس له من المكان[2] كما أن الجيش المملوكي حرص على إرسال معلومات مزورة للأعداء ، وكانت من مهارات القائد في الجيش المملوكي أن يربك العدو بأخبار غير صحيحة من خلال أخبار مزورة تكتب على السهام تطابق ما وصل إليه من الجواسيس ويرمى بها في جيش العدو ، وعلي ما تقتضيه الحال و لا يبخل بما يصفه في ذلك فإنه إن كانت النصرة له فلا يضره ما أنفق، و إن كان عليه الغلبة فلا ينفعه ما خلف و إنفاق

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 515

(2) الطر سوسي ، التبصرة ، ص24.

الأموال في الحيل والمكائد أولى من إنفاق الأرواح في الحروب والشدائد [1]و كانت فرق الاستطلاع و الاستخبارات سياسة كل السلاطين ، و اهتم بها بشكل كبير الظاهر بيبرس حيث أنه بعد أن فتح قيسارية أرسل فرقة استطلاع إلى عتليت و كانت تتظاهر هذه الفرقة بأنها تريد الصيد و لكنها تريد الكيد حيث نزل أحد أفراد المجموعة الاستطلاعية وتسلل مشياً بين البساتين و استكشف الأمر وقتل فارساً صليبياً أثناء المهمة ورجع بالأخبار إلى قيادة الجيش المملوكي مما كان له أثر في تحرير هذه المدينة [2] و من أشهر السلاطين أيضاً الذين شجعوا وزادوا الفرق الاستطلاعية السلطان قلاوون، حيث كان لا يخرج إلى معركة إلا بعد الحصول على معلومات استطلاعية دقيقة و خاصة في حروبه مع التتار[3].كما أن المماليك استغلوا أي طرف للحصول على المعلومات ، لكنهم كانوا حذرين من أي معلومة إذا كانت من طرف غير عامل ضمن المؤسسة الاستخباراتية المملوكية النظامية فقد استفادوا وأخذوا معلومات من أسرى وقعوا في يد المغول من أهل الشام، غير أنهم كانوا يتعاملون مع تلك المعلومات بحذر[4]و كان قائد الجيش المملوكي يبث الجواسيس الثقات عنده في معسكر عدوه، ليتعرف أخبارهم و ما عندهم من العدد و الآلات ، ويعرف خططهم و أسماء قادة جيشهم و شجعانهم و يخدعهم بما تميل إليه طباعهم[5]و من الملاحظ أن هدف تلك المعلومات هو تصفية قادة جيش الأعداء و إخلال نظامهم و ترتيبهم وإضعاف معنويات جنودهم ، كما أراد المماليك من التعرف على شجعان أعدائهم لكي يتم تجنب قدراتهم و تصفية ما أمكن منهم، ومن خلال الحصول على تلك المعلومات و خطة الأعداء ليتمكن جيش المماليك من خوض المعركة بثقة عالية، ومما يدلل على قدرة النظام

---

[1] ابن النحاس ، مشارع الأشواق ، ص1077

[2] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 54.

[3] العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 54.

[4] المصدر نفسه،ص54 وانظر سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 258.

[5] ابن النحاس ، مشارع الأشواق ، ص 1075

العسكري في جمع المعلومات عن أعدائهم، تجنيدهم للرعاة حيث أنهم لا يلفتون الأنظـــار وقـــد نجح هؤلاء الرعاة بما كلفهم به النظام العسكري المملوكي[1] و قد حـــرص النظـــام العـــسكري المملوكي على تأديب أي جماعة أو فرد يقوم بنقل المعلومات إلى الأعداء، ومـــن هـــؤلاء كـــان عرب زبيد [2] الذين كان لهم دور سلبي حيث خالطوا الفرنج وأطلعوهم على عورات المسلمين، فجرد إليهم حملة عسكرية، فأغارت عليهم و قتلت منهم من قتلت، وعاد الجيش المملوكي سالماً بعد أن اعتقل أحد أفراد عرب زبيد وكان متهماً بالجاسوسية لصالح الفرنج [3].وقـــد نفـــذ حكـــم الإعدام بعدد من الجواسيس قبيل معركة عين جالوت وبعدها مع المغول مثل الملك الـــسعيد بـــن عبد العزيز بن العادل، و ابن البغيل [4] كما أن النظام العسكري المملوكي كـــان يتبـــع سياســـة خطف جنود مغول، كانوا يتطرفون للبحث عن المراعي والمروج لتتزود خيـــولهم وحيوانـــاتهم بالغذاء ، وكان يتم التحقيق معهم ، والحصول على أكبر كم مـــن المعلومـــات، و مـــن ضـــمن المعلومات التي حرص المماليك على معرفتها، عدد جيش المغول والأسلحة التي يمتلكها وكميتها وتقسيمات جيش أعدائهم وخططهم العسكرية و أسماء قـــادتهم وأمـــراءهم وشـــجعانهم، ومتـــى سينطلقون لغزو المدن [5] ، وكان هدف تلك المعلومات أخذ الحيطة والحذر ،وحتى يكون الجيش الإسلامي على استعداد تام لمواجهة أي تحرك من جانب الأعداء فقد كان المغول يتبعون نفـــس أسلوب المماليك في استلاب المعلومات ، بل عرف المغول باعتمادهم على الجواســـيس بـــشكل كبير ، وما سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية إلا بعد أن وصل جواسيس هولاكو للوزير

---

[1] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 98.
[2] عرب زبيد ، اسم قبيلة كانت مساكنها حول دمشق انظر القلقشندى ، صبح الأعشى و ج4 ، ص 213-214
[3] المنصوري ، بيبرس ، مختار الأخبار ، ص 20
[4] أبي شامة المقدسي ، تراجم رجل القرنين ، ص207-208لم يذكر ترجمة لهؤلاء العملاء
[5] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص98

نور الدين محمد بن العلقمي، الذي كان له دور كبير في انتصار المغول ودخولهم بغداد [1]وتمتعت الفرق الاستطلاعية العسكرية المملوكية برعاية خاصة من سلاطين المماليك، الذين لـــم يبخلـــوا عليهم ، وأغدقوا عليهم بالأموال الطائلة ، ومن ذلك ما أنعم به بيبرس على أحد أفراد المؤســـسة الاستخباراتية (بكتي) والذي جاء بأخبار مهمة عن المدن الساحلية قبل تحريرها ، فأنعم عليـــه بيبرس بخمسة آلاف درهم لإعجابه به و لتشجيع باقي الأفراد على العمل الأمني ، وكـــان ذلـــك الفارس قد قتل فارساً صليبياً أثناء تسلله داخل مدينة صليبية و نجـــح فـــي مهمتـــه [2] و كـــان لبيبرس اهتمام كبير بالمدن الساحلية التي تواجد بها الصليبيون و أفرد لذلك أهمية كبيـــرة مـــن حيث بث فرق استخباراتية على معظم المدن الساحلية [3].والملاحظ حـــرص بيبـــرس علـــى استهداف المدن الساحلية، و يبدو ذلك لقطع الإمدادات عن الصليبيين عبر البحـــر مـــن أوروبـــا فحينما يسقط الساحل تسقط المدن الداخلية ضمناً .

الخطط العسكرية وإدارة المعارك:

إن الحديث عن الخطط و إدارة المعارك لا ينفصل عما سبق الحديث عنه ، فهـــي بالتأكيـــد تعتمد على الفرق الاستطلاعية و الاستخباراتية و البريد ، وكل ما يصل من معلومات كما أنهـــا تعتمد على الجيش بأقسامه و حجمه و الفرق الملحقة به و المتطوعين ، فكل ما ســـبق الحـــديث عنه له علاقة مباشرة بوضع الخطط و إدارة المعارك .و في الحقيقة إن الخطط العـــسكرية فـــي العهد المملوكي لم تكن تختلف عما سبقها من العهود الإسلامية ، حيث إن الدين الإسلامي بين ما على الدولة من ضرورات تجهيز الجيش ، والإدارة الناجحة للجيش كانت منـــذ عهـــد الرســـول صلى الله عليه وسلم حيث تميزت الخطط العسكرية بأنها كانت سر الانتصارات و الفتوحات ،

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص490
(2) المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 54
(3) المصدر نفسه،ص54. .

و يأتي النظام العسكري المملوكي في الإطار العام للجيش الإسـلامي، و يمكـن وصـفه بأنـه استمرار للمنظومة العسكرية الإسلامية، و خاصة في العهد الأيوبي حيث إن أرض المعركـة و الظروف كانت متشابهة ، فأرض الشام مسرح العمليات العسكرية كانت نفس المسرح للعهـدين الأيوبي و المملوكي ، بل وأن العدو نفسه وهم الصليبيون الذين لم تتغير طرقهم في القتال وبناء القلاع ومهاجمة المدن الإسلامية، فقد تعود الجيش الإسلامي سواء في العهد الأيـوبي أو العهـد المملوكي على المنطقة والأعداء ، وكان الاحتكاك مباشراً بخلاف ما سبق من العهود الإسلامية حيث كانت زمام المبادرة في أيدي المسلمين الذين انتشروا شرقاً وغرباً لنـشر الإسـلام، و إن وضع الخطط العسكرية كان على يد سلاطين المماليك من خلال مجلس شورى ينعقد كلما دعت الضرورة ، وكان السلطان و كبار الأمراء هم من يقرر الخطط مثلما فعل قطز قبيل معركة عين جالوت، حيث جمع الأمراء المماليك و استشارهم في أن يتقدم جيشه لملاقاة المغول أم ينتظرهم في مصر، وحتى كانت الشورى في البداية بأن يواجه المغـول أم لا؟ فـأجمعوا رأيهـم علـى مواجهة المغول ، و من تلك الشورى انطلق قطز وبدأ بإعدام رسل المغـول و أرسـل الفـرق الاستطلاعية بقيادة بيبرس ليأتي بأخبار المغول [1] ، كما أن بيبـرس كـان يجمـع الأمـراء و يشاورهم و نضجت مجالس الشورى و اتضحت بشكل أكبر في عهد المنصور قـلاوون، حيـث كان يعقد مجلس شورى مع أمرائه قبل خوض أي حرب مثلما فعل في إحدى استعداداته لحـرب المغول، فقرر مجلس الشورى أن يقاتلوا بالقرب من دمشق لاحتمال عدم النصر، وقد أدلى كـل أمير بدلوه ، فمنهم من اقترح تقسيم الجيش إلى قسمين يتقدم قسم و يتأخر قسم فإن خـذل الأول أردفه الثاني ، فرد أمير أخر أن ذلك خطأ و قال:" إذا أخذنا الجملة وأردنا كسرها لم تنكسر ولا

---

[1] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 101.المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص 428

نلقى الكل إلا بالكل و قال لو أخذنا حزمة نشاب و سللناها سهماً سهماً و كسرناها تكسر[1] ولـم يقتصر مجلس الشورى على أمراء الحرب، بل جمع العلماء و المشايخ حيث كان للشيخ العز بن عبد السلام دور كبير في استعدادات الحروب، كما تم توضيح ذلك خلال البحث ، وإن الخطـط العسكرية المملوكية وضعت نصب أعينها عدة مبادئ اعتمدت عليها في حروبها منها [2]

-التعرف على أخبار العدو قبل المعركة من خلال الفرق الاستطلاعية .

-الخديعة في الحروب.

-الاستعدادات المتعلقة بالجيش المملوكي و تقسيماته.

وكان النظام العسكري المملوكي يسير في خطين متوازيين و يبني خطته بناءً عليهما وهما:

نقاط القوة من خلال ما يملك النظام العسكري المملـوكي مـن مقومـات الجنـدي المملـوكي واستعداداته و تدريباته أو العتاد و الأسلحة بأنواعها الوقائية أو الفردية أو الجماعية و تنظيم ذلك كله .

ونقاط الضعف التي كان يتم تحاشيها من خلال بث الجواسيس في صفوف الأعـداء والحـصول على معلومات متعلقة بمعرفة قدرات العدو .

وبناءً على ما سبق كان المماليك يبنون خطتهم و يستدرجون العدو للمكـان المناسـب و فـي الزمان المناسب ، مثلما كان قطز يفعل حيث أمر بيبرس أن يتقدم مجموعة من العسكر ليتعـرف أخبار العدو [3] و كيف أن بيبرس و قبيل معركة عين جـالوت اسـتطاع اسـتدراج المغـول و ناوشهم و استدرجهم من خلال مهاجمتهم تارة، و بالإحجام تارة أخرى، حتى وافى بهـم إلـى

---

[1] العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص67

[2] شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 88

[3] المقريزي ، ج1 ، ص 43 انظر : عبد المنعم ، صبحي ، الشرق الإسلامي ، ص32.

المكان الذي أراده السلطان قطز فكانت الوقعة [1] و التي حقق فيها النظام العسكري المملوكي نصراً كبيراً .ومما حرص عليه النظام العسكري المملوكي إظهار قوة الجيش لإرهاب العدو، والتأثير على نفسية الأعداء حتى خلال فترات السلم ، فقد حرص السلطان على إظهار جيشه من خلال لبسهم لأفخر الملابس والأسلحة، و العروض عند مجيء أي ضيف من خارج البلاد[2] حتى تتحدث عن ذلك البلاد و العباد فيعرف العدو والصديق قوة المماليك، مما يقرب الأصدقاء بحيث يكونون عوناً للمماليك، و يرعب الأعداء بحيث يكونون جبناء في المعارك .و مما يلفت النظر أن سلاطين المماليك حرصوا على إعطاء المعارك و الحروب الصفة الدينية، لخلق فارس مملوكي معتقد تماماً أن أمامه خياران، إما النصر أو الشهادة .وان أهم ما يقرره النظام العسكري هو أن الإنسان هو العنصر الحاسم في الكفاءة القتالية للقوات العسكرية ، كما حرص المماليك على تعيين القادة و الأمراء من ذوي الكفاءات ، فدائماً هناك قاعدة عسكرية تقول " لا توجد وحدة رديئة ، بل قائد رديء"[3].و كان الجيش المملوكي يدخل المعركة و معه العلماء و الوعاظ الذين يذكرونهم بالشهادة و التضحية [4].ومن خلال كتب العصر المملوكي يتبين مدى الاهتمام بالجهاد كما ورد في كتاب" مشارع الأشواق في فضائل الجهاد " لابن النحاس و كتاب الجهاد للشيخ العز بن عبد السلام ، وعندما تولي قطز السلطة و أعلن الحرب ضد المغول أعلن أنها حرب مقدسة [5] أما بالنسبة لترتيب الجيش المملوكي فإن منها أصول عليها إجماع و منها فروع اختلف فيها ، والأصول كالفروض الواجبة منها أن يعبأ الجيش له قلب وميمنة و ميسرة أما

---

[1] اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ، ص 366

[2] ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص 135

[3] محفوظ ، محمد ، العسكرية الإسلامية ، ص29

[4] ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص 160

[5] سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص255.

الفروع كالأجنحة و الطلائع و الكمائن[1]وقد كان يقسم الجيش المملوكي في معظم معاركه إلــى ثلاث فرق و كان يخصص فرقاً خاصة لتنفيذ مهمات خاصة، مثل تسلق الجبال و فتح الحصون و اختراق الصفوف الأولى للعدو[2].كما استخدم المماليك الوحدات الخاصة، التي كانت تتنكر كما فعلت إحدى مجموعات الجيش المملوكي حينما تنكرت بــزي فرســان الداويــة و الاســبتارية الصليبية [3] ونتج عن هذا الهجوم نجاح المهمة، مما أجبر الصليبيين في عكا بعد هزيمتهم على توقيع اتفاقيات و معاهدات مذلة [4].كما اعتمد سلاطين المماليك على فرق خاصة من المتميــزين في القتال مثلما فعل بيبرس حين أرسل سنة 670هـــ /1271م فرقة من فرسان الجــيش مكونــة من ثلاثة ألاف فارس مجهزين بكامل العدة والعتاد إلى دمشق، ووصلوا خلال اثني عشر يومــاً و تصدوا للمغول و تمكنوا منهم [5] وهي ما يمكن أن نطلق عليه اسم قوات التــدخل الــسريع و هنا يتضح أهمية الفرق الخاصة، حيث إن الجيش المملوكي لا يمكنه الوصول بهذه السرعة مــن مصر إلى دمشق .كما استخدم الجيش المملوكي حيلة التمويه في معظم حروبهم، و اتضح ذلــك قبل معركة عين جالوت، حيث كان هدف الفرقة التي قادها بيبــرس إخفــاء تحركــات الجــيش الرئيسي بقيادة قطز عن أعين المغول [6]

ومن عبقرية بيبرس خلال معاركه مع الصليبيين من بدايتها إلى نهايتهــا حرصــه و قيامــه بتحرير المدن الساحلية على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل المدن: قيــسارية و أرســوف و عتليت و حيفا و يافا و ذلك بهدف قطع الإمدادات العسكرية والبشرية من أوروبا للمدن الصليبية

---

(1) الطرسوسي ، التبصرة ، ص24. المنصوري ، بيبرس ، مختار الأخبار ، ص20
(2) المنصوري ، التحف الملوكية ، ص61
(3) قوم من الفرنج يحبسون أنفسهم لحرب المسلمين و يمنعون أنفسهم من النكاح و غيره ، و لهم أموال و سلاح و يتعاونون القوة و يعالجون السلاح و لا طاعة لأحد عليهم ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص 246
(4) باسم ، الأيوبيون و المماليك ، ص161
(5) المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص73
(6) سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 257

في الشام [1]وكان نظام الجيش المملوكي يقضي بأن يجعل المشاة أمام الفرسان الخيالة ليكونوا له كالحصن المنيع و ينصب أمام كل راجل ستارة[2] تكف عنه شر من يرميهم بسيف أو رمـــح أو سهم و يجعل لكل واحد من اثنين في الراجلة نبالة(قناص) ليرمي سهم حين تسنح له الفرصـــة[3] و كان النظام العسكري المملوكي يقضي بإعلان حالة النفير العام في الحروب الكبرى وخاصـــة في حملات التتار حيث كانت الدولة المملوكية تأمر باستدعاء العساكر من كل أنحاء الدولة و كل من له فرس لمواجهة الغزاة ، و أن يخرج رجال قرى الشام و يجهزوا أنفسهم [4]و مـــن ســـيرة السلطان الظاهر بيبرس يتبين مدى اهتمام النظام العسكري المملوكي بأن يكون الـــسلطان قبـــل الجنود في ميدان المعركة حتى انه عرف عن بيبرس أنه كان يركب الدبابة ذات العجلة و تجري به لتصل إلى سور الأعداء ليرى السلطان السور بعينه، و يرى الثقوب التـــي حفرهـــا مهندســـو الجيش ، ومن مظاهر إقدام السلطان أنه ذات مرة أخذ فرساً وقاتل بنفسه فرجع و في ترسه عدة سهام .و في يوم واحد ، في إحدى المعارك رمى السلطان ثلاثمائة سهم، و كان يهـــدم و يحفـــر الخنادق و يجر المنجنيقات و ينقل الأحجار ليكون قدوة لغيره من المسلمين [5] من خلال ما سبق يتبين مدى اهتمام السلاطين بالجهاد ووضع أنفسهم بنفس مراتب الخطورة على أفراد الجيش مما يجعل الجندي المملوكي و المسلم في وضع نفسي مهيأ لخوض الحروب فهو سيعتقد جازمـــاً أن الجهاد واجب و سيقتدي بسلطانه و قائده، و سيقدم روحه رخيصة في سبيل الله .وتميز الجـــيش المملوكي في معظمه أنه كان يتقن السباحة، كما أن السلطان كان يتقن السباحة، وذات مرة نـــزل

---

(1) المنصوري التحفة الملوكية ، ص 54

(2) الستارة:تقام على أعلى السور لتستر المقاتل من السهام والقذائف وتبنى من الحجارة وتظهر بشكل جلي في قلعة أرواد وهي كالدعامة الصغيرة بارتفاع متر يمكن أن يجلس تحتها ثلاثة أشخاص ولها فتحة للرمي، فهي الواقيات من الإصابة. انظر:دهمان،معجم الألفاظ المملوكية،ص88. ويبدو أن المقصود بالستارة التي تنصب أمام المشاة في الجيش المملوكي نفس الفكرة لكنها تكون متنقلة بحسب تحركات الجيش

(3) الطرسوسي ، التبصرة ، ص24

(4) المنصوري ، مختار الأخبار ، ص51

(5) المقريزي ، السلوك ، ج2، ص 19-20

السلطان بيبرس النهر وجر فرسين داخل النهر أثناء سباحته، مما جعلـه قـدوة بـين جيـشه و مملكته[1]و استخدمت الجيوش المملوكية نظام المفاجأة في حروبها ، ومن ذلك الهجوم على يافـا و تحريرها .ففي سنة 663هـ/1265م سار بيبرس إلى الساحل ونزل على قيـسارية، ونازلهـا بمن معه من العساكر المتكاثرة المتواترة، ونصبوا المجانيق الكثيرة، وأحاطت الخيول بفرسـانها بالمدينة وبدأت بقصف المدينة بالمنجنيقات، وأطبقوا الحصار حتى ضعفت قلوب أهـل قيـسارية من الصليبيين، وقد صنع المسلمون سكك للخيل كالأوتاد، على سور قيسارية وانهالـت الخيـول بفرسانها تقتحم قيسارية من خلال الجسور التي ضربها المسلمون على سور المدينة، وبذلك دخل الوهن والضعف على أهل قيسارية، حتى أذعنوا وسلموا[2]وأحيانا كانت تصل الأمـور بالنظـام العسكري المملوكي أن يدمر المدينة على أصحابها، حتى تظل نفوس الصليبيين تخشى المسلمين ففي سنة 683هـ/1289م.وبعد حصار لطرابلس دام أربعة وثلاثين يوماً تـم إحـراق المدينـة بالكامل، ومن ثم عمرت مدينة غيرها بالقرب منها[3] وكان ذلك في عهد المنصور قلاوون ومن الملاحظ أن النظام العسكري المملوكي كان يحرص على تدمير القلاع الموجودة في المدن بعـد اقتحامها، حتى لا يتحصن فيها الصليبيون إن احتلوا المدينة مرة أخرى [4] ويبدو أن هدم المـدن والقلاع أحيانا يشير إلى طبيعة المكان والسكان، وهو ما يطلق عليه اليوم الوضع الـديمغرافي، حيث إن المناطق التي كان بها الصليبيون لعشرات السنين هجرها العرب من السكان الأصليين، ولم يكن بإمكان النظام العسكري المملوكي أن يبقي على هذه القلاع بدون وجود أغلبية عربيـة تستطيع الحفاظ عليها في حال عدم هدمها، لأن طبيعة الساحل يجعلهـا فـي مهـب عواصـف

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج2،ص 83

[2] المنصوري،التحفة المملوكية،ص53.

[3] القرماني،أخبار الدول،ص274.

[4] بيبرس المنصوري،التحفة الملوكية،ص53.

الحملات الصليبية عبر البحر، لذلك كان قرار الهدم نابعاً من إستراتيجية محددة ولــيس تــصرفاً عبثياً وبعد فتح مدينة قيسارية أرسل بيبرس حملة عسكرية متنكرة ترتدي لبــاس الــصيد إلــى عتليت وحصلت مناوشة بين أهل المدينة والعساكر المملوكية، وفي تلــك الحملــة تــسلل أحــد الفرسان واسمه بكتي وقصد بين البساتين، وقتل أحد أفراد الحامية الصليبية أثناء تــسلله ورجــع بعد أن حصل على المعلومات التي أرادها قائد الفرقة العسكرية المملوكية، فاســتدعاه الــسلطان بيبرس وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم وأعجبه فعله[1] ومن الملاحظ أن الجيش المملوكي كان يحاصر المدن الساحلية ويترك الناحية الغربية على البحر دون حصار بحري، ويبدو ذلــك متعمداً لإفساح المجال لهروب الصليبيين عبر البحر، كما حدث في حصار حيفــا وأرســوف[2] وكان ذلك سنة 663هـ/1265م.

معاملة الأسرى:

إن الإسلام كان قد عمل على إلغاء الرق و تحرير البشرية من استعباد الإنــسان للإنــسان ، فأغلق الإسلام أكثر الطرق التي كانت تؤدي إلى الرق في الأديان و النظم السابقة ، ولكن قفــل باب الرق عن طريق الأسر في الحروب كان يحتاج لموافقة غير المسلمين عليه، حتى لا يسترق المسلمين من غير المسلمين ،ولا يستطيع المسلمون أن يعاملوهم بالمثل،فترك الإسلام هذا البــاب مفتوحاً بعد أن ضيقه ونظمه حتى ترتضي البشرية حكم الله وحكم العقل في قفله تمامــاً[3] ومــن ذلك تميزت معاملة الأسرى في الدول الإسلامية المتعاقبة بالرفق و الرحمة و الإنسانية و التكريم و البر و الإحسان و الإنقاذ و العلاج و صون الكرامة نظرياً وواقعياً، عملاً بوصية النبي للقادة " استوصوا بالأسرى خيراً "

[1] بيبرس المنصوري،التحفة الملوكية،ص54.
[2] المصدر نفسه،ص54.
[3] شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 124

و قوله تعالى: " و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و أسيراً"[1] و مصير الأسرى شرعاً، عادة في الغالب إما المن عليهم، بإطلاق سراحهم بدون مقابل أو مفاداتهم أي تبادل الأسرى و إطلاق سراحهم بمقابل، لقوله تعالى: " فشدوا الوثاق فإما مناً بعد و إما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها "[2].

و لذلك فإن الدولة الإسلامية عبر دورتها التاريخية، أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك بأنها أحسنت معاملة الأسرى و الجرحى و المرضى و القتلى [3].والدولة المملوكية كدولة إسلامية اتبعت الشريعة الإسلامية، و ما تقتضيه من كيفية معاملة الأسرى ، و حسب المصالح التي تقتضيها المرحلة ، وفي تاريخ المماليك كجنود لدى الدولة الأيوبية تمكنوا من أسر الآلاف من الصليبيين في معركة المنصورة، الذين تم الإفراج عنهم و ملكهم لويس التاسع بالفدية [4] ، ولكن منذ تولي المماليك الحكم كانت أول مواجهة حقيقية في عهد قطز حين جاءه رسل المغول برسالة هولاكو الشهيرة ، فاعتبرهم أسرى و نفذ في الأربعة حكم الإعدام و علق رؤوسهم على أبواب القاهرة، و أبقى على الخامس ليصبح من مماليكه [5]، وهنا اقتضت الظروف و المصلحة بفعل ذلك و لولا الظروف الخاصة بطبيعة المرحلة لما قتلهم قطز، لكنه أراد رفع الروح المعنوية لدى الدولة المملوكية كلها بجيشها و أفرادها ، كما أراد تحطيم معنويات المغول الذين لم يعرفوا تلك الطريقة من قبل ، و كان قد أعماهم الغرور و أصابتهم عنجهية انتصاراتهم السابقة على الدويلات الإسلامية و الخلافة ذاتها ، فأراد قطز أن يحطم هذه العنجهية ويحبط هذه المعنويات ، وفعل قطز بتلك الكيفية و تلك المرحلة يذكرنا بأسرى بدر حين سخروا لتعليم المسلمين القراءة

---

[1] سورة الإنسان ، أية رقم 9.
[2] سورة محمد ، أية رقم 4.
[3] الزحيلي ،وهبة، أحكام الحرب في الإسلام ، ص 39. شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص124.
[4] قيل أنه بلغ عدد الأسرى ثلاثين ألف في معركة المنصورة، انظر المقريزي ، السلوك ، ج1،ص 455
[5] المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 429.انظر ، سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 255

و الكتابة.و كان رأي عمر بن الخطاب قتلهم ، فنزل قرآن يتلى إلى يوم الدين يحــث الرســول على قتلهم لأن المسلمين يحتاجون في بداية أمرهم إرهاب عدوهم " ما كان لنبي أن يكــون لـــه أسرى حتى يثخن في الأرض "[1]و من تكريم الإسلام للأسير أنه إذا أسلم وهو رجل حر مكلف عصم دمه، و في مذهب الإمام أحمد أن الأسير إذا أسلم صار رقيقــاً.[2]و هنـــاك أســرى مــن الأعداء لا يجوز التردد في قتلهم على الفور، خاصة إذا كانوا من ذوي الإجــرام الــذين لهــم رهبة في نفوس المسلمين كالداوية و والاسبتارية، وهي فرق خاصة صـــليبية كانــت تقتــل و ترتكب المجازر بحق المسلمين المدنيين، مما أرهب نفوس المسلمين . و لذلك حرص الأيوبيون و المماليك على حد سواء على قتلهم[3] وفي قتل هؤلاء عزة ورفعة للمسلمين ورفعــاً لـــروحهم المعنوية وانتقاماً لمن قتل من المسلمين، وفي نفس الوقت إرهاب تلك العصابات وبث الوهن فـــي قلوبهم، لربما يمتنع الكثير من الانضمام لتلك العصابات من الصليبيين لمعرفتهم ما يحــل بمــن يقبض عليه منهم، وورد عن بيبرس أنه أمر بضرب رقاب خيالة الداوية والاسبتارية علـــى تــل قريب من صفد، وقد كانوا يضربون رقاب المسلمين عليه ولم يسلم منهم أحــد إلا اثنـــان، الأول وهو الرسول الذي كان حضر إلى السلطان، والأخر شفع فيه الأتابك ليخبر الفرنج بما جــرى[4] ويلاحظ هنا مدى اهتمام المماليك بالعامل النفسي، حيث أرادت رفع معنويات المــسلمين وقهــر معنويات الصليبيين من خلال ترك فارس حي ليخبر بما جري لجماعته وبالإضـــافة إلـــى ذلـــك كانت معاملة بالمثل وفي إحدى المرات تمكن المماليك من أسر مجموعات صليبية فتم حملهــم على جمال وأمر بهم أن يمشوا بجوار صفد ليراهم الصليبيون الذين كانوا يسيطرون آنذاك علـــى

---

[1] سورة الأنفال ، الآية رقم 67

[2] ابن النحاس ، مشارع الأشواق ، ص 1046.

[3] ابن الأثير ، الكامل ، ج10، ص176. القلقشندى ، مآثر الانافة ، ج 3 ، ص306. ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص 223.ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 12 ، ص 321،

[4] المنصوري،مختار الأخبار،ص32-33.

صفد وتم المراد، فقد أصيب صليبيي صفد بالذعر والفزع مما جعلهم يهزمون في أول مواجهة مع القوات المملوكية[1] وقد تعامل النظام العسكري المملوكي بحزم مع الأسرى حتى يكسروا شوكتهم ويشفوا صدور جنودهم، كما تم استغلال هؤلاء الأسرى في هدم أسوار المدن التي حررها الجيش المملوكي حتى لا يتحصن فيها الصليبيون [2]و قد أحسن النظام العسكري المملوكي سياسة المفاوضات من أجل الأسرى، و خاصة حينما يأسرون قادة و أفراد من الصليبيين ، حيث استغلوا هذا الأمر جيداً ، فقد تمكن المماليك مقابل أسير واحد و هو ملك سيس " ليتون بن التكفور هيثوم " ، أن يستردوا القلاع التالية " بهنسا – درباك – مزربان – عبان – شبح الحديد" إضافة لذلك تم الإفراج عن سنقر الأشقر أحد أمراء المماليك[3]وبذلك يكون النظام العسكري المملوكي قد استغل الأسرى الصليبيون أحسن استغلال فبدل أن يقتلهم أو أن يتعجل بالإفراج عنهم أو أن يطلب الفدية المالية ،استحسن أن يحرر القلاع والتي كان من الممكن أن تكون وسيلة لانطلاق الصليبيون منها وتمكنهم من احتلال مدن أخرى أو أسر مسلمين ، فكل هذه الإنجازات التي سبق ذكرها كانت مبادلة بأسير واحد، ومما سبق يتضح مدى استغلال النظام العسكري المملوكي للأسرى، خاصة إن كانوا من أمراء الصليبيين وممن لهم وضع خاص، كما شدد النظام العسكري المملوكي على مراقبة السجون التي سجن فيها الصليبيون و التتار حتى لا يتم تهريبهم ، فقد اعتبرتهم الدولة المملوكية فرصة لتحرير أسرى المسلمين أو القلاع أو فرصة للاستفادة منهم[4] و قد عرف سجن الكرك من أكثر السجون إحكاما حيث اختصه المماليك لإبقاء الأسرى الصليبيين فيه و كانت الكرك معروفة أنها من أحصن المدن [5]

---

[1] المنصوري، التحفة المملوكية،ص57.
[2] المقريزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 21
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 21
[4] العسقلاني ، شافع، الفضل المأثور ، ص 119
[5] المنصوري و التحفة الملوكية . ص 54

و كانت الدولة المملوكية تخصص وحدة طبية لفحص السجناء الأسرى، ليتم الحفاظ على حياتهم و علاجهم من أي جروح أو أمراض[1]و مما يلفت الانتباه أن بعض سلاطين المماليك استخدموا أسرى صليبيين كدروع بشرية في تنقلاتهم [2] ويمكن تفسير ذلك بعـدة احتمـالات وهـي إمـا استخدامهم كأدلاء للطرق خاصة وإن المناطق الشامية كثيراً ما كانت في يد الـصليبيين، وإمـا للتهديد بقتلهم إن تعرض موكب السلطان المملوكي لهجمات غادرة، وإما لاستغلالهم مـن قبـل السلطان في إرسال البعثات والسفارات للإمارات الصليبية فيكونوا ضمن المبادلات وعلـى كـل الأحوال فان اصطحاب موكب السلطان لبعض الأسرى يدلل على أهميـة الأسـرى الـصليبيين بالنسبة للقيادة المملوكية. و حين يتباطأ الصليبيون بالمبادلة كانت الدولة المملوكية تستغل هـؤلاء الأسرى في العمل و البناء، مثلما فعل المماليك حينما أرسلوا أسرى صليبيين لدمشق لاستعمالهم في العمائر [3]. و في بعض الأحيان كان الصليبيون يرسلون هدايا لسلاطين المماليـك كبـادرة حسن نية و لتجنب الحملات المملوكية على الإمارات المحتلة، لكن السلطان المملوكي لم يعاملهم بالمثل في تلك المسألة [4] ففي عهد الظاهر بيبرس أرسل بعض الأمراء الصليبيون هـدايا مـن ضمنها أسرى مسلمين لكسب ود الظاهر بيبرس، الذي لم يأبه كثيراً لذلك ولـم يبـادلهم نفـس الأسلوب و يعتبر ذلك منطقيا حيث لم يكن متفقاً على صفقة تبادل أسرى فلماذا يتبـرع بـإطلاق سراحهم ، كما أن حرص الصليبيين على رضا بيبرس لا يعني بالضرورة تبادل ذلك الحرص ، فالسلطان بيبرس هو الطرف الأقوى فهو غير مضطر لإرضاء الصليبيين، بالإضـافة إلـى أن الصليبيين هم المعتدون و هم المحتلون فلا يعتبر ذلك هدية منهم إنما جزء من الحق المسلوب.

---

[1] العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 129

[2] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص 14

[3] المنصوري ، مختار الأخبار ، ص 20

[4] عطا الله ، محمود خليل ، نيابة غزة في العهد المملوكي ، ص 189

و من الجدير بالذكر أن بعض أسرى التتار كان يرجع أصلهم إلى التركمان هم ذوو صلة مـع المماليك ، ولذلك نجد أن الدولة المملوكية استخدمت بعض التركمان في جيشها بعد إسـلامهم و منهم من وصل إلى مراتب عليا في الجيش [1]مثل كاتبغا الذي تم الحديث عنه وممـا يمكـن أن يذكر هنا أن للقرابة بين المماليك والتتار دور كبير في إنهاء الصراع وحسمه لـصالح المماليـك المسلمين، من خلال أول انتصار في عين جالوت، حيث تلاشت قـوة التتـار أمـام المماليـك المسلمين الذين يجمعهم أصل واحد، فكان إسلام التتار جزء من تغير المفـاهيم والقـيم وقناعـة التتار بأفضلية المماليك المسلمين، فالانتصار ليس بالسيف فقط إنما انتصار عين جـالوت كـان انتصاراً للقيم الإسلامية التي تربى عليها المماليك، فالحضارة الإسلامية قادرة فـي كـل وقـت وحين أن تستوعب أي نوع من الأجناس لأن الإسلام جاء للناس كافة "وما أرسلناك إلا رحمـة للعالمين"[2]

المعاهدات و الاتفاقيات:

إن مصطلح استراحة المقاتل يتبادر إلى الذهن حينما نبدأ بهذا الموضوع ، فأي نظـام عـسكري في العالم قديماً أو حديثاً، يحتاج إلى الراحة و ترتيب أوراقه و مراجعة عملياته و قواته ، وفـي الإسلام الأمان نوعان مؤقت ودائم ، و الأمان المؤقت قسمان خاص و عام .

فالأمان المؤقت الخاص يمكن أن يقوم به جندي مسلم إذا استسلم له أحد جنود العدو، و طلب منه الأمان أو إذا استسلمت جماعة من جنود العدو إلى جماعة من جنود المـسلمين، ففـي هـاتين الحالتين يجوز للجندي المسلم أو لقائد جماعة من المسلمين أن يمنحوا الأمان إذا رأوا مـصلحة المسلمين كالحصول على أسلحة أو أسرى أو الحفـاظ علـى عتـاد المـسلمين و أرواحهـم .

[1] ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ، ص 461-462

[2] الانبياء،آية107.

أما الأمان المؤقت العام فلا يبذله إلا الإمام أو نائبه و يكون لكل الجيش و هـو جـائز، مـا دام الإمام قد رأى فيه مصلحة المسلمين و هو الذي يسمى الهدنة ، مثل الهدنة التـي وافـق عليهـا الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية [1]

وقد كانت معاهدات الصلح بين الصليبيين و المماليك تشمل الحدود الجغرافية و المدة الزمنيـة و الأملاك الخاصة، و أملاك المناصفات و بناء التحصينات و المياه و المـزارع ،و الـضرائب و الرسوم و حرية الملاحة و محاربة القراصنة و حرية تنقل الأفراد و حرية التجارة بين الطرفين براً و بحراً، و مقاومة الأخطار الأوروبية و التترية و حرية العبـادة، و التعـاون فـي مجـال القضاء على الجريمة [2].

و المعاهدات المبرمة بين المسلمين و الصليبيين كانت تدل على مدى توازن القوة، حيث أجبـر الطرفان على تلك المعاهدات ، ولو استطاع أحدهم التغلب على الآخر لما اتفق و عاهد و لكـن المماليك كانوا يحددون تلك المعاهدات بزمن معين، ريثما يستعدوا بشكل أفـضل ، كمـا فعـل بيبرس سنة 665هـ/1266م، حينما كان في دمشق وحين عاود الهجوم على صفد حيث حـضر إلى أبوابه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فأجابهم وكتب لهم الهدنة إلى عشر سنين [3].

و من خلال تتبع المعاهدات و الاتفاقيات التي أبرمها المماليك مع الصليبيين من جهة، و التتـار من جهة أخرى، ومن خلال بنود تلك الاتفاقيات يتبين أن المماليك كانوا الطرف الأقـوى ، وأن معظم المعاهدات كانت لصالح المماليك المسلمين، حيث كان المماليك يوافقون على الهدنة حين تكون في مصلحتهم مثل الهدنة التي وقعها المماليك مع الصليبيين سنة 661هـ/1262م[4]

---

[1] شلبي ، احمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 124

[2] غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص 131

[3] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 60

[4] المنصوري،مختار الاخبار،ص26.

وفي عهد الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس طلب الفرنج الهدنة وتردد المماليك في قبول الطلب ثم وافقوا مقابل أن يطلق الصليبيون سراح أسرى المسلمين[1] ، و في معظم الحالات كانت الممالك الصليبية و الجيوش المغولية هي التي تطلب الصلح، مثل الرسالة التي أرسلها أبغا بن هولاكو ملك التتار لبيبرس، يطلب فيها الصلح فرفض بيبرس[2] و كان ذلك نتيجة للضربات الموجعة التي وجهتها لهم القوات المملوكية، وأيضاً في عهد المنصور قلاوون أجاب الفرنج إلى الهدنة التي طلبوها منه، وكان ذلك الطلب الصليبي بناءً على النصر الذي حققه قلاوون على التتار[3]، ومن الملاحظ أن المعاهدات في العصر المملوكي كانت على الأغلب بطلب من الأعداء الصليبيين و المغول، وخاصة أثناء فترات قوة المماليك وانتصاراتهم.

فنجد صاحب عكا يطلب الصلح من قلاوون سنة 680هـ/1281م فأجابه و حدد شروطه [4] وقد تضمنت شروط المماليك كل الجوانب من النواحي الاقتصادية و الأمنية و العسكرية و الجغرافية و المدة الزمنية و التحالفات، إلا أن هذه الاتفاقيات لم تشمل التطبيع الثقافي [5]وفي ذلك مراعاة لمصالح المسلمين وخاصة أن المنطقة وسكانها يحتاجون إلى الأمن في حال الحصاد فحياتهم تتطلب وقتاً من الأمان كي يجمعون ما يعينهم خلال العام كله، فلايمكن لأي امة أو شعب الاستمرار في القتال بدون اقتصاد قوي وتوفير الأمن الغذائي، ففي سنة 661هـ/1262م طلب الصليبيون هدنة إلى أيام الحصاد فأجابهم المماليك [6]و في سنة 665هـ/1266م أرسل الصليبيون يطلبون الصلح، فاستجاب بيبرس بالهدنة لمدة عشر سنوات فقط[7] كما سبق ذكره و

---

[1] المنصوري، التحفة المملوكية،ص96.
[2] ابن الجيعان،القول المستظرف،ص105. العسقلاني ، علي بن شافع ، الفضل المأثور ، ص 93
[3] المنصوري، التحفة المملوكيةنص106.
[4] المصدر نفسه، ص 105
[5] غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص 131
[6] المنصوري ، مختار الأخيار ، ص 26
[7] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 60

يظهر من نصوص معاهدات الصلح مدى قوة المماليك و ضــعف الــصليبيين، ممــا يــدلل أن المماليك كانوا يشترطون علــى الــصليبيين أن يقــسموا فــي المعاهــدة و كــان الــصليبيون يقسمون[1]وفي عهد الملك السعيد بن الظاهر بيبرس سنة679هــ/1279م طلب الفرنج الهدنـــة و اشترط المماليك لموافقتهم على عقد هدنة إطلاق سراح أسرى المسلمين، فوافــق الــصليبيون و تمت الهدنة[2] و قد استفاد المماليك من عقد الهدن مع الصليبيين كثيــراً مــن حيــث اســتقرار الأوضاع و تجهيز أنفسهم و انتعاش التجارة و ازدهارها و تبادل التجارة و مسير القوافــل بــين المدن الإسلامية ،و توفر المحصول و مسير الفلاحين بمزروعاتهم، وخاصة في فلسطين وكــان ذلك نتيجة للهدنة التي عقدها السلطان قلاوون مع الصليبيين سنة688هــ/1289م [3] و بعد هــذه الهدنة لجأ السلطان قلاوون إلى الفقهاء لاستفتائهم في قضية نقض الهدنة، حتى لا يخالف الشرع وهذا دليل على التزام القادة المماليك بأحكام الشريعة الإسلامية، و جرت مناظرة صــدر بعــدها الإفتاء الشرعي الذي يسمح للسلطان بنقض الهدنة ، لما تكررت اعتــداءات الــصليبيين علــى المسلمين وأخذ قلاوون بالاستعداد للحرب لكنه أحاط على هذه الاستعدادات ستاراً مــن الــسرية حتى تجهز بجيشه [4]كما أن السلطان قلاوون بعد هدنة قبرص عقد هدنة أخرى مع عكــا، كمــا عقد هدنة مع طرابلس[5].ومن خلال تتبع سيرة قلاوون في إبرام الهدن نلحظ شيئاً مهمــاً، وهــو أنه كان يعقد الاتفاقيات مع كل إمارة صليبية على حدة، ليسهل حرب غيرها مــن الإمــارات ، وحين يحاربها نفسها لا يدافع عنها غيرها، وهي سياسة قديمة حديثة " فرق تسد ".و كانت الهدنة

---

[1] غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص164-165
[2] المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 96
[3] العسلي ، بسام ، الظاهر بيبرس ، ص 102
[4] المرجع السابق ، ص 104
[5] العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 143

التي عقدها قلاوون إنما هي نتيجة لانتصاراته الساحقة على المغول، حيث انتبه الصليبيون لقوته فارتأو تجنبها من خلال عقد الاتفاقيات معه[1]

تعيين القادة والرتب العسكرية:

حرص المماليك على تنظيم أنفسهم من خلال الترقيات، فلابد لأي نظام هيكلة أفـراده كـي تسهل عملية الإدارة، وقد كانت الإمرة لجيش المماليك من حق أي مملوك من خلال التدرج فـي الترقي[2] ومن خلال البحث نجد أن نظام الترقية في دولة المماليك لم يخـضع لقاعـدة معينـة ويستفاد من أحداث الترقية لأغلب المماليك على أن هناك طريقتين للترقيـة، أحـدها بـالطريق العادي المألوف وهو التدرج الطبيعي من رتبة إلى ما فوقها والثاني طريقة الطفرة[3] علـى حـد تعبير الكاتب[4] وتحيط بها الشبهات والتساؤلات، وحين نعـرف أن سـلاطين المماليـك كـانوا ينعمون على بعض المماليك بإمرة مائة[5] أو ألف حسب رضي السلطان عن المملـوك[6] نفهـم تلك المسألة من مزاجية السلطان في ترقية الجند، وتلك مسألة تستحق الدراسة ووضع علامـات استفهام كثيرة، من شأنها أن تكون سمة من سمات العصر المملوكي، ولو أنه من الممكن تجاوز ذلك حين نتمعن في التربية والتنشئة للمماليك منذ كانوا أطفالا، فكل مملوك كان قائداً في حد ذاته نتيجة لكيفية تدريبه وتربيته، وكان قد تم الحديث عن تربية المملوك منذ أن يتم شـراءه وحتـى وصوله، إلى أن يصبح فارساً مهيباً، له من الشجاعة والقوة ما لا يوجد بغيره ،فـالمملوك ومنـذ نعومة أظافره يمارس الفروسية والقوة والتربية النفسية والجسدية، وتبقى المفاضلة بيـنهم بيـد

---

[1] المنصوري ، التحفة الملوكية، ص106
[2] المقريزي، الخطط،ج2،ص220.
[3] الطفرة: هي ترقية الجندي من درجة إلى أعلى بناء على رغبة السلطان دون إتباع أسلوب محدد وهو ما يطلق عليه في عصرنا الحالي المحسوبية.
[4] طرخان،النظم الإقطاعية،ص163.
[5] أمير مائة: هو الأمير المقدم وهو أعلى منصب بعد الأتابك في الجيش المملوكي يخدمه مئة مملوك وفي أمرته ألف جندي.دهمان،معجم الألفاظ المملوكية،ص22.
[6] السخاوي، الضوء اللامع،ج3،ص286.

السلطان، ففي عهد المنصور قلاوون كان يمكن للجندي البسيط الانتقال بأمر من السلطان إلى الطبلخاناة[1] أي أن يكون أميرا لأربعين، ومن ثم يمكن لأمير الطبلخاناة أن يصبح أمير سلاح ليقود فرقة كاملة من الجيش كالميمنة أو الميسرة، أو على مستوى الجيش المملوكي كله[2] ولابد من تفهم ذلك وهو أن السلطان بالدرجة الأولى قائد عسكري وله دراية بكل جندي، بمدى شجاعته وقدراته وكفاءته، ولا غرابة في أن يتخذ السلطان أمرا بترقية جندي ، والسلطان المملوكي كان يدقق في اختيار الأمراء ، من هنا نستطيع أن ندرك فهمه لمسألة الترقيات فقد كان السلطان يأمر بمرسوم سلطاني بتأمير النائب أو المقدم بناء على مراقبة مستفيضة للذي يتم اختياره، فقد ورد أن الذي يتم اختياره يكون من أفضل القادة وخاصة في المناصب الهامة كنائب الثغور[3] لأن الثغور هي بوابة المواجهة مع الأعداء، ومن خلال رواتب الجيش حسب الرتب يمكن فهم مدى أهمية المنصب نفسه فالنفقات كانت للأتابكي 4000ديناراً، ولكل من الأمراء المقدمين 3000 ديناراً، ولكل من الأمراء الطبلخانات 500ديناراً، وللأمراء العشرات لكل واحد 200 ديناراً، ولكل جندي 100ديناراً، والأتابك هو القائد للجيش المملوكي كله والأمير المقدم(أمير مئة) أعلى منصب بعد الأتابك في الجيش المملوكي، وتحت إمرته مائة مملوك كخدم وألف جندي[4]ويليه أمير الطبلخاناة، ومن ثم الأمراء العشرات وهم الأمراء الصغار في الجيش المملوكي ويكون تحت أمرة الواحد منهم عشرة جنود[5].

[1] المقريزي،الخطط،ج2،ص315.وانظر دهمان،معجم الألفاظ،ص22.
[2] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج2،ص16.
[3] القلقشندى، صبح الأعشى،ج11،ص400-401.
[4] ابن أجا، العراك،ص38-39.
[5] المصدر نفسه،ص38-39

وقد حرص السلطان بالإغداق على جيشه كلٍ حسب مكانته ورتبته في كل شئ ، في الألبسة والسيوف المميزة[1] ومما يحسب للسلطان المملوكي متابعته للعلاقات داخل المؤسسة العسكرية الملوكية بنفسه، وتأكيده دوما على عدم الإهمال والتفريط أو المحاباة أو تغلب قوي على ضعيف أو أمير على جندي، وساوى بينهم كل على قدره ولم يبخل عليهم بحسب أعطياتهم[2] وبعد الجندي كان يأتي في العلو أمير خمسة، وهو مسئول عن خمس جنود وكان أحيانا من يأتمر خمسة بناء على مكانة أبيه من قبله [3] وتلاحظ مسألة هامة هنا انه كان يتم اختيار أمير الخمسة من أكابر الناس أو المماليك، وهي رتبة بسيطة لكنها كانت تقدير لجهود بعض الأمراء من خلال مكافأة أبنائهم، ومن بين الرتب المعروفة في العصر المملوكي أمير الحج وهي مرتبة حربية خاصة بأرباب السيوف، وتقرن عادة بلقب مقدم ألف فيقال أمير مئة مقدم ألف والمقصود بتلك التسمية المركبة وظيفة واحدة أن يكون في حوزة هذا الأمير مائة مملوك، وهو في نفس الوقت مقدم في الحرب على ألف جندي[4] وكأي نظام في العالم يصيبه المرض بعد فترة زمنيه فقد أصبح النظام العسكري المملوكي متدهوراً نتيجة للبذل والبرطلة أي الرشوة، فقد روى السخاوي أن أحد أمراء المماليك صار بالبذل أحد المقدمين ووظيفة أمير سلاح صارت تمنح بالهدايا والأموال[5].

الرتب العسكرية في الدولة المملوكية

أتابك العسكر	أمير مائة مقدم ألوف	أمير مائة مقدم ألف	أمير طبلخاناة	أمير أربعين	أمير عشرة	أمير خمسة

(1) القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص54-55.
(2) العسقلاني،الفضل المأثور،ص124-125.
(3) المقريزي، الخطط،ج2،ص220.
(4) المصدر نفسه،ج2،ص215.
(5) الضوء اللامع،ج3،ص44. انظر: عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك،ص53.

أسلحة الجيش المملوكي أنواعها وصناعتها:

إن البحث في أسلحة أي نظام عسكري مهم جدا، لأنه يعكس الوضع الميـداني لهـذا النظـام ويعكس مدى قوته، ومدى تقدمه، فقد ارتبط الانتصار بقـدرة الجـيش علـى التـصنيع، ومـن المعروف أن التصنيع يخضع لمدى توفر المواد الخام اللازمة لذلك، وقد توفر للمماليك ما مـن شأنه أن تصبح دولة صناعية، وخاصة في مجال الأسلحة، فالمماليك هم أصـلا مـن الـشرق الآسيوي في معظمهم وبالتالي لديهم رصيد معرفي بتقنية تلك المنطقة في صناعة الأسلحة، ومن المشهور عن الشرق الآسيوي أنهم أصحاب خبرة في صهر المعادن وتصنيع السلاح[1] وبالتـالي فضمنية الاستفادة من ذلك واردة، كما أن المماليك ورثوا دولة محاربة، وهي الدولـة الأيوبيـة وبالتالي ورثوا تقنية صناعة الأسلحة وخاصة أن صلاح الدين الأيوبي قرر أن تكـون غابـات مصر ملكاً للدولة[2] ولا سيما الغابات الممتلئة بالأشجار ذات الأخشاب التـي تـصلح لـصناعة المنجنيقات والأساطيل، كما أن الإسلام لم يبيح إقطاع الأرض ذات المعادن والثروات، فهي ملك للدولة فلا يجوز إقطاعها لأي فرد مهما كان، لأن مصلحة الدولة الإسلامية أهم، فكل البقاع التي أودعها الله تعالى جواهر الأرض سواء باطنة أو ظاهرة هي للدولة لا يجوز إقطاعهـا[3] ومـن المعروف أن جميع الصناعات الحربية هي من موارد الأرض، سواء ما يصنع مـن الأخـشاب كالمنجنيقات والأساطيل الحربية، أو ما يصنع من الحديد كالسيوف والرماح والـدروع، أو مـا يستخدم في القذائف النارية كالنفط. ومن خلال العروض العسكرية التي كان ينظمهـا المماليـك يتضح مدى العتاد الحربي المملوكي، ويبدو أن تلك العروض كانت مـن بـاب إرهـاب العـدو وتطبيقاً للآية

---

[1] القنوجي،أبجد العلوم،ج1،ص343.
[2] المقريزي، الخطط،ج2،ص193.
[3] الماوردي،الأحكام السلطانية،ص217.

القرآنية الكريمة" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"[1]، وقد ينبهر كل من يشاهد العروض العسكرية فهي عرض للزى العسكري الباهر والخيول وحركات العساكر واستعراضاتهم، ورميهم ودقته وكانت تلك العروض تنظم في المناسبات أو حين يأتي ضيوف ورسل من دول أخرى، وكان يقال لهؤلاء الرسل أن هذا العرض فقط لعسكر مصر من غير المناطق الأخرى أو الثغور[2] ليبلغ هؤلاء الرسل ملوكهم وشعوبهم بأن النظام العسكري المملوكي يمتلك العدد والعدة الكبيرة، مما يجعل الأعداء يحسبون ألف حساب قبل أن يقدموا على مهاجمة أي ثغر يتبع المماليك، وبهذه العروض العسكرية حقق النظام العسكري المملوكي انتصاراً مسبقاً للحروب القادمة، وهي انتصارات الرعب ومن الواضح أن تلك العروض لم تكن على حساب الحذر، حيث كانت النيابيات الأخرى في الشام وثغور مصر كالإسكندرية ودمياط ورشيد مجهزة برجالها وعتادها ولم تستدع للعروض العسكرية[3] وهذا الأمر يؤكد مدى قدرات النظام العسكري المملوكي، وقد كان السلطان المملوكي يتابع بنفسه خزائن السلاح [4] و كانت أولويات نفقات الدولة للأسلحة حتى في وقت السلم، كما أن السلطان المملوكي كان يتابع بنفسه صناعة آلاته العسكرية، وكانت صناعتها تتم في أرض المعركة أحيانا، وخاصة الآلات الثقيلة مثل المنجنيقات[5] كما حدث بجوار قيسارية حيث نزل السلطان بيبرس بنفسه ورأى أخشاب المنجنيقات بواسطة زردخاناة[6] فصنع في يوم واحد أربع منجنيقات كبار سوى الصغار، إضافة إلى استدعاء الحجارين والذين كانت مهمتهم

---

(1) سورة الأنفال، آية رقم(60)
(2) المقريزي،السلوك،ج2،ص12.
(3) المصدر نفسه،ج2،ص12.
(4) العسقلاني، الفضل المأثور،ص134.
(5) انظر:الأشكال رقم(6-7-8-9)في الملاحق ص185-186.
(6) الزردخانات: بيت السلاح ومخازنه وهي بمعنى الأسلحة وهي كلمة فارسية. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج10،ص219.الحموي، تاريخ المنصوري،ج1،ص167. ابن أجا، العراك، ص79. و يبدو هنا أن المقصود فيها زردكاش أو المسئول عن صنع السلاح وصيانته. انظر: دهمان معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص86.

تجهيز الحجارة بشكل يمكن قذفها[1] ومن شدة حرص الدولة المملوكية وسلطانها على الاهتمام بالأسلحة، كان نقيب المماليك يأمر بسجن أو ضرب كل من يتهاون في تجهيز الزردخانات أي بيت السلاح، حيث أنه ضرب نقيب القلعة ثلاثين عصا على رجليه لما وقع من تفريطه في تجهيز الزردخانات[2]، وقد حرصت الدولة المملوكية على التسليح الشعبي، حيث أباحت امتلاك السلاح لكل من أراد من أفراد الشعب، ولم تحتكره لجنودها فقط وما أدل على ذلك من أسواق السلاح التي كانت منتشرة بالقاهرة[3]، ومن خلال الحديث عن السلاح في عصر المماليك يتم تناول الموضوع من خلال تصنيف الأسلحة وتقسيمها إلى مجموعات، لكي تتضح الأمور لنقف على مدى تطور الأسلحة عند المماليك ونوعيتها وصناعتها واستخداماتها، ويمكن تقسيم الأسلحة إلى أسلحة فردية وأسلحة جماعية (ثقيلة) وأسلحة وقائية ومتفرقات مساعدة، أما الفردية هي ما اقتصرت على استخدام الجندي الواحد كالسيف والرمح، والجماعية هي ما يستخدم من خلال تعاون أكثر من جندي كالمنجنيقات، والوقائية ما كان الجنود أو المجموعات يتحصنون فيه ومن خلالها يتفادون ضربات الأعداء كالدبابات[4] والدروع. وأول ما يمكن الحديث عنه هو الأسلحة الفردية حيث إن النظام العسكري المملوكي اهتم بالفرد وتدريبه من خلال اهتمام الإسلام بالجندي، حيث اهتم بتدريب الجندي تدريبا لائقاً مثل اللياقة البدنية والقوة الجسمية لأنها ذات أهمية كبيرة في حياة الجيوش لهذا أبرزت معالمها ورسمت الخطط المؤدية إلى تحصيلها، فأمر بتعليم الرمي وحذرت من إهماله أو نسيانه، وحثت على ركوب الخيل وتعلم السباحة وإقامة مهارات السباق بين الجنود مشاة وركباناً، وأما الرمي فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" من

---

(1) المقريزي، السلوك،ج2،ص18.
(2) ابن أجا، العراك،ص79.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج8،ص48.
(4) انظر : الشكل رقم 10في الملحق ص 187.

تعلم الرمي ثم تركه فليس منا"[1] وفي رواية فقد عصاني، ومر صلى الله عليه وسلم علـــى نفــر ينتضلون(يتسابقون في الرمي) فقال ارموا بني إسماعيل فان أباكم كان رامياً[2]، ولما نزلت الآية الكريمة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" صـــعد الرسول المنبر وتلا الآية ثم قال:" ألا إن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي ألا إن القوة الرمـــي"[3] ولا شك أن الرمي يقتضي من الرامي أن يكون حاد البصر حتى يستطيع تحديـد أهدافـه قـوى الساعد حتى يمكنه تسديد رميه، شجاعاً حتى يستطيع مواجهة أعداءه وبهذا يكون تعلـم الرمـي تدريباً لجميع أعضاء الجسم وتقوية لعضلاته[4] وللرمي منفعة عظيمـة لأنـه يقاتـل القاصـي والداني، ومن القلاع والحصون مع سلامة الرامي ولا يتأتى ذلك في الـسيف والـسنان، وقـال صلى الله عليه وسلم:" إذا قربوا منكم فارموهم بالنبل ولا تسلموا السيوف حتى يغشوكم"[5] وقـد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً:" إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفـر فـي الجنـة صانعه، يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبله، وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلـى الله من أن تركبوا وليس اللهو إلا في ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه ونبله ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفر بها"[6] وان النشاب كان من أهم ما كـان يتعلمه المماليك وكانوا بجزيرة الفيل بناحية بولاق يتعلمون الرماية[7].

---

[1] ابن ماجة،السنن،باب الجهاد،2804.
[2] البخاري،صحيح،باب الجهاد والسير،2684.
[3] ابن داوود،في السنن،باب الجهاد،1253. ابن ماجة،السنن،2803.الدارمي،السنن،2297.
[4] الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام،ج1،ص149-150.
[5] أبو داود ، السنن ، باب الجهاد ، 2290. العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله،ص41.
[6] النساني،السنن،3522.أبي داوود،السنن،باب الجهاد،2152.الدارمي،السنن،2298.
[7] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج13،ص110. ج9،ص183-186.

1- الأسلحة الفردية:

وأولها السيف وهو مأخوذ من قول ساف إذا هلك لأنه به يقع الهلاك، وأصل الحديد الذي يصنع منه السيف صاعقة تنزل إلى الأرض فتصير حديداً ويحفر وتخرج فتطبع سيوفاً[1]، ومن السيف ما يصنع في المغرب والأندلس، ومنها ما يصنع في الهند والصين ومن أقوى السيوف ما يصنع من الفولاذ، والسيف يصنع من الحديد المضاف عليه بعض المواد حتى لا ينكسر[2]، والسيف متعدد الأشكال منه الطويل والقصير والعريض والدقيق، وكان جنود المماليك يعلقونه في الجنب كما استخدم المماليك الخنجر والطبر[3] والبلطة والفأس في حروبهم كما استخدموا الدبوس[4] وهو آلة حادة من الحديد[5] وبالنسبة للقوس فقد استخدمه المماليك في إطلاق السهام على الأعداء عن بعد وكانوا يسمونه المقبض والنشاب[6] أيضا من أنواعه قيس الزيار(وهو نوع من أنواع الخشب)، وكان المماليك يصنعونه بأنفسهم ومن فوائد القوس أنه يجعل الجندي بمأمن من أعدائه واحتمال موته أقل مما لو كان على صدام مباشر مع عدوه. وقد حمل كل جندي رمحاً كسلاح احتياطي[7] والرمح هو آلة الطعن، وهو ضربان، الأول ويصنع من القنا وهو قصب مسدود الداخل ينبت في بلاد الهند، والثاني يتخذ من الخشب كالزان ونحوه ويسمى الذابل ويقال للحديد في أعلى الرمح سنان، وللذي في أسفله الزج والعقب، ويلقب الرمح بالأسمر والعسال وباللدن والسمهري[8] كما كان الجندي المملوكي يحمل الكنانة، وهي الجعبة التي يضع فيها السهام

---

(1) القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص149. لمشاهدة صورة للسيف انظر:الشكل رقم2الملحق ص180.
(2) الطرسوسي،التبصرة أرباب الألباب،ص4-5.
(3)الطبر: لفظ فارسي معناه الفأس . دهمان،الألفاظ المملوكية،ص45.
(4) الطرسوسي، التبصرة،ص15. لمشاهدة البلطة والدبوس انظر: الشكل رقم 3 في الملحق ص181.
(5) القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص151.
(6) المصدر نفسه،ج2،ص151. لمشاهدة القوس انظر: الملحق ص182-183.
(7) الطرسوسي، التبصرة،ص6-11.لمشاهدة صورة للرمح انظر: الشكل رقم 5 الملحق ص184.
(8) القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص149.

وتكون من جلد أو خشب[1] ومما تميز به الجندي المملوكي قدرته الفائقة على استخدام النـــشاب وإصابة هدفه بدقة[2]

2- الأسلحة الجماعية:

ويقصد بها تلك الآلات والأسلحة التي يديرها أكثر من شخص واحد نظرا لثقلها وصعوبة نقلهـــا وأولها المنجنيق(3) وهو آلة من الخشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبـــه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ثـــم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه وما أصاب شيئاً إلا أهلكه(4) و المنجنيقـــات أنواع منها العربي المبين، وهو أتقن مصنوعاتها وأوثق معمولاتها ومنه التركي وهو أقلها كلفـــة وأحصرها مئونة ومنها الفرنجي أو الرومي، وأفضل الأخشاب لصناعة المنجنيـــق مـــن خـــشب القراصيا فان لم يتوفر بحثوا عن خشب قريب العقد متوسط كالأرز وما شاكله(5) وذكر نـــوع آخر هو المنجنيق المغربي والذي تعلم المماليك صناعته (6) . ومن أهم ما يلاحظ في اســـتخدام المنجنيقات، هو أن النظام العسكري المملوكي اعتمد عليها بشكل كبير خاصة في حروبهم ضـــد الصليبيين، لأن فترة المماليك كانت تحرير المدن المحتلة من قبل الـــصليبيين معظمهـــا كانـــت محصنة مما يجعل للمنجنيقات دوراً كبيراً في اقتلاع جذور الصليبيين من أرض الشام، فلا يكـــاد أي حصار لأي مدينة صليبية في العهد المملوكي إلا ودكت المنجنيقـــات، حتـــى أن الـــسلاطين

---

(1) القلقشندى،صبح الأعشى،ج2،ص151.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج،ص28.1

(3) المنجنيق: بفتح الميم أو كسرها وهو القذاف الذي ترمى به الحجارة دخيل أعجمي معرب وأصله بالفارسية من جي نيك أي ما اجودني وهي مؤنثة. انظر ابن منظور،لسان العرب،ج10،ص338.وودر في البداية والنهاية أن أول من صنع المنجنيق هو رجل من الأكراد يقال له هزن. ابن كثير، البداية والنهاية،ج1،ص146. انظر الأشكال 06-7-8-9)في الملاحق ص185-186.

(4) القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص152. وقد ذكر القلقشندى قصة أول استخدام للمنجنيق بان قوم سيدنا إبراهيم حينما أشعلوا ناراً كثيفة صعب عليهم الاقتراب منها وإلقاء سيدنا إبراهيم فيها فتمثل لهم إبليس برجل وأشار عليهم بفكرة المنجنيق وورد في وفيات الأعيان أن أول من وضع المنجنيق هو جذيمة الأبرش ملك العرب وبلد الحيرة وذكر قصة أن إبليس هو صاحب فكرته حين أرادوا إحراق سيدنا إبراهيم، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج7،ص45-46.

(5) الطرسوسي، التبصرة،ص16.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص329.

المماليك كانوا يتابعون صناعة المنجنيقات الكبيرة حول المدن المحاصرة بأنفسهم[1]، وقد كانت المنجنيقات ذات غرضين سواء في الهجوم أو الدفاع، ففي حصار المدن نصبت بشكل كبير لدرجة أنه كان ينصب عشرات المجانيق لتدك المدن المحاصرة،ففي حصار البيرة نصبت سبعة عشر منجنيق[2] وفي ثغر الإسكندرية نصب مئة منجنيق لحمايتها[3] والمنجنيق تحتاج صناعته إلى خشب من نوع خاص ليتحمل الضغط وإلى لوالب وحبال يجذب بها وحجارة بأشكال محددة لتقذف، وبحسب مهارة الصناع يكون قوة المنجنيق[4]، كما أن المنجنيقات كانت تستخدم أيضا بالإضافة إلى قذف الحجارة كانت تقذف النار، وصنع منها ما يشبه المدفع بعد ذلك حتى أنه في سنة 840هـ ،1349م كان لدى الجيش المملوكي المكاحل التي تجرها العجلات، ويقصد بها المدافع[5] وكانت تسمى مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى فيها بالنفط ويصنع المدفع من نحاس ورصاص ويصل مداه بعيداً[6]أما عن مؤثرات ظهور البارود واستخدامه على الإستراتيجية للنظام العسكري المملوكي فإننا نجد انه كانت هناك جذور عميقة لهذا الاستخدام كما أوضح الكثير من المؤرخين بحيث كان نقطة تحول هامة في حروب المماليك وبالنسبة للعالم كله من حيث تطويرها، ومن الثابت تاريخياً أن أول من استخدم المدافع البارودية هم المماليك في معركة المنصورة [7] وفي ذكر النفوط كانت له قوة إحراق هائلة، وكان يصنع داخل الدولة المملوكية، وهو يصنع على نار هادئة ويقطر ويوضع عليه كبريت لتزيد في اشتعاله وكانت الإسكندرية مكاناً لاستخراجه وتصنيعه، كما كانت تصنع المقذوفات بأحجام مختلفة منها ما يرمى

---

[1] المقريزي، السلوك،ج2،ص19-20.
[2] المنصوري، مختارا لأخبار،ص29.
[3] المقريزي، السلوك،ج2،ص83.
[4] القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص153.
[5] ابن أجا، العراك،ص88.
[6] القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص153.
[7] نسيم،جوزيف، العدوان الصليبي على مصر،ص157.

بالمنجنيق ومنها ما يرمى بالنشاب، كما صنع المماليك نفط يمشي على المــاء، يــصلح لحــرق المراكب ولا ينطفئ[1] ومن الأسلحة الوقائية الدبابات والأبراج والستائر وهي آلات تستخدم فـــي ثقب الأسوار وما شابهها، وهي سترة للرجال يمكنها أن تحمي الرجال مـــن حجـــارة المنجنيـــق المعادي حين يتقدمون لاختراق المسافة بين المكان الذي يقفون فيه للحـــصار وأســـوار المـــدن المحاصرة ليدمروها[2] وقد وصل بيبرس ذات مرة إلى سور مدينة قيسارية وهي محاصرة مـــن خلال دخوله في الدبابة لتقيه مقذوفات الأعداء[3] ويوجد الترسان(الدرع) وتكون كالحصن المانع من النبال لا يؤثر فيه شئ من السلاح وهناك ترس في باطنه قوس وبيد حامله ســيف فيخـــرج سهم من نفس الترس فيقتل الخصم[4] والترس آلة يتقي بها الجندي الــضرب والرمـــي وتـــسمى مجنة بضم الميم ويمكن أن تكون من خشب أو حديد[5] وأما الدروع والجواشن فهـــي زرديـــات يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها، تمنع وتكسر السيوف، وأما الجواشن فتؤخذ مـــن جلـــود الإبـــل وتنقع في اللبن إلى أن يتقشر شعرها ويبيض لونها[6] كما وجد الدرع وهـــو جبـــة مـــن الـــزرد المنسوج يلبسها المقاتل لوقاية نفسه من السيوف والسهام (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحـــصنكم من بأسكم)[7] كما استخدم المماليك المثلثات، وهي قطع حديدية دفاعية تلقى في طريق الأعـــداء وتكون بمثابة ألغام، ووصفها الطرسوسي بأنها مختلفة الصفات والضروب وبها تأمن العـــساكر إذا تكشكشت، أي تأخر عنها المدد من الطلب وتمتنع بمكرها من التتبع والهرب، وهـــي ســـريعة النكاية بالأعداء فهي تسقط الخيول بمن عليها وتهلك من أصابها وهي تلقى علـــى الأرض التـــي

---

(1) الطرسوسي ، التبصرة،ص20-21.
(2) المصدر نفسه،ص18.
(3) المقريزي، السلوك،ج2،ص18-20.
(4) الطرسوسي، التبصرة، ص12-13.
(5) القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص152.
(6) الطرسوسي، التبصرة،ص14
(7) سورة الأنبياء،آية80.

يسير عليها الأعداء، فتدخل في قدم الفرس فيقلب وراكبه الذي سيقع على أحد المثلثـــات الملقـــى على الأرض، وهي كيفما تلقيها على الأرض تؤدي الغرض لأنها كيفما وقعت تظـــل شـــوكاتها لأعلى لأنها من جميع الجهات مدببة وشوكية[1]

الخيل:

الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، والمقصود هنا الغزو والجهاد لأن الخيل هـــي الوسيلة المتوفرة والسريعة للوصول إلى الأعداء وقهرهم ونشر الإسلام والدفاع عن الثغور، وما ينتج عن ذلك من غنيمة[2] ومنفعة الخيل عظيمة لأن الجهاد لا يقوم ولا يقوى صاحبه إلا به كما أنه لا يمكن تغافل طرق مواصلات الجيش المملوكي وهي تعتبر من العتـــاد الحربـــي وأهمهـــا الخيول وما يتعلق بها وهي النشاهير[3] والبرلسم[4] والمروات[5] والأطلسي الخطابي[6] وقد كـــان المملوك يجهز الفرس بالسابق ليمتطيه، وحتى أثناء السلم كانوا يجهزون خيـــولهم ويتـــسابقون[7] وبالطبع فان ذلك لكي يبقى الجندي الملوكي متمرساً ذا قدرة على خوض الحـــرب بـــأي لحظـــة وبأي ظرف،ومما استخدم أيضا كمستلزمات حربية للفرس الكنبوش[8] ويمكـــن أن يكـــون مـــن الذهب الزركشي أو من المخايش وهي الفضة الملبسة بالذهب أو من الصوف المرقوم[9] وأيـــضا استخدموا المهماز وهو آلة من الحديد في رجل الفارس فوق كعبه فوق الخف ومـــؤخره إصـــبع محدد الرأس، إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في المشي، ويمكن أن تكون من الذهب

---

(1) الطر سوسي، التبصرة،ص19-20.
(2) العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله،ص57. أبجد العلوم،ج2،ص135.
(3) النشاهير: هي الأشرطة التي توضع حول صدر الحصان. انظر المقريزي، السلوك،ج2،ص12
(4) البر لسم: هي السروج الحربية. انظر المقريزي، السلوك،ج2،ص12
(5) المروات: هي قطع المعدن الذي يزان بها سرج الحصان. انظر المقريزي، السلوك،ج2،ص12
(6) الأطلس: هو نوع من أنواع الحرير يصنع في تبريز. انظر المقريزي، السلوك،ج2،ص12
(7) المقريزي السلوك،ج2،ص12.
(8) الكنبوش: تم تعريفها ص69حاشية رقم7.
(9) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

المحض أو من الفضة أو من الحديد المطلي بالذهب[1] وقد حرص السلطان على اختيار أفـضل وأجود أنواع الخيول، وألا يحضر منها العجفاء والعاجزة[2] وحتى جند الجيش المملوكي كـانوا يركبون الخيل المرتفعة الأثمان[3]

وأنواع الخيل ثلاثة:

النوع الأول: العراب وهي أفضلها وأعلاها قيمة وأغلاها ثمناً وتوجد في البلاد العربية

النوع الثاني: العجميات تجلب من بلاد الأتراك ومن بلاد الروم وتمتاز بالصبر علـى المـشي والسير.

النوع الثالث: المولد بين العراب والعجميات وهي متوسطة بينهم[4]

واشتهرت خيول قبيلة مهنا في الشام فقد بلغ سعر الفرس عندهم ستين وسبعين ألف درهم ومنهـا ما وصل مائة ألف درهم وكانت أكثر الخيول رغبة لقوتها[5] وقد جرت عادة سلطان المماليـك على أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة، المرة الأولى عند خروجه عنـد مـرابط خيوله في أواخر ربيعها فينعم على مماليكه من الخيول على قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمة وخيول أمراء الطبلخانات غير مسرجة، و من غير قماش والمـرة الثانيـة عند لعبة الكرة بالميدان وتكون خيول أمراء المقدمين الطبلخانات مسرجة ملجمة بفضة يـسيرة، وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل واحد بحسبه ليس لأمراء العشرات في ذلك حـظ إلا ما يتفقدهم به على سبيل الإنعام، وحتى إن أكل الخيول الخاصة بالأمراء كان على حساب الدولة

---

[1] القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص144.
[2] العسقلاني،الفضل المأثور،ص121.
[3] البيومي،النظم المالية،ص55.
[4] القلقشندى، صبح الأعشى،ج2،ص17.
[5] المقريزي، السلوك،ج3،ص304.

فيرسل إليهم البرسيم و الشعير[1] وقد كانت الخيول سبباً في بعض الانتصارات أو الهزائم إن لم تتوفر، حيث أثرت غياب الخيول على الناصر حسن أحد سلاطين المماليك بالهزيمة سنة 762هـ/1361م أمام مملوكه يلبغا العمري، لأن الأخير حجز بين السلطان وخيوله في مراعيها[2] وقد ظهرت إبداعات الجيش المملوكي في قيادة الخيول وخاصة في الحروب حيث كان الجندي المملوكي يلبس ما يحميه من الحرق ويلبس فرسه ما يحميها من الحرق، حيث كانت تطلى الملابس بمادة غير قابلة للاشتعال ثم يدخل الفارس بفرسه داخل جموع الأعداء حاملاً النيران والنفوط المشتعلة ليضرم النيران في أمتعة وملابس الأعداء فيحرقهم ولا يتأثر هو مما يجعل ليل الأعداء رعب ليس بعده رعب وكانت تلك الاقتحامات تحدث ليلاً في الظلام ليشتد اثر إرهابها[3]

القلاع والخطط الدفاعية:

ليس فقط منوط بأي نظام عسكري الهجوم على الأعداء أو الرد على أي اعتداء خارجي، وإنما الوقاية مطلب هام يقع على عاتق أي نظام عسكري ناجح، ومن هنا كان أهم ما يميز الدولة المملوكية ونظامها العسكري أنظمة الحماية التي من شأنها إفشال أي هجوم بحيث لا يكون مفاجئاً ويفشل من حيث بدأ، وقد كانت الدولة المملوكية حريصة في هذا الشأن فاهتمت ببناء القلاع العالية والحصينة[4] والسلطان المملوكي بنفسه كان يتابع الثغور وتحصينها ومراقبة جهة البحر على الخصوص ويعاقب المقصرين والمهملين عقاباً عسيراً وكان من أولويات التجنيد

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى،ج4،ص56.
[2] القرماني، أخبار الدولنم2،ص288.
[3] الطرسوسي، التبصرة،ص22. ويمكن تشبيه استخدامهم للخيول بهذه الصورة بطائرة القصف F 16 في العصر الحديث.
[4] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية،ص19. لمشاهدة القلاع انظر الصور في الأشكال رقم(12-13-14-15-16-17-18) في ملاحق الصفحات188-189.

ما يخص الثغور بأمر من السلطان[1] وقد ذكر سلطان العلماء العز بن عبد السلام الذي كان من وجهة نظر الباحث المرجع الديني للنظام العسكري المملوكي منذ بداياته قول رسول الله صـــلى الله عليه وسلم" طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه فغبر قدما إن كـــان فـــي الحراسة وان كان في الساقة" وقال إن الحراسة في سبيل الله ضرب من الجهاد ثوابها على قدر نفعها وجدواها وطولها وقصرها، ولا يخفي ما للحراسة والرباط من نفع للمسلمين[2] وجاء ذلـــك التأكيد ليبين أن للمرابطين فضل رباطهم حتى لا يعتقدون أنهـــم لا يجاهـــدون، أو أنهـــم مـــع القاعدين فالكثير من يعتقد أن الجهاد داخل أرض المعركة فقط والعز بن عبد السلام يؤكد هنا أن الرباط له فوائد متعددة وربما يفوق جهاد أرض المعركة لأن الربـــاط يحمـــي أرض المـــسلمين ونفوسهم من الاعتداء المفاجئ، الذي يمكن أن يؤدي إلى خسارة بشرية فادحـــة وصـــعوبة فـــي تحرير الأرض خاصة إن احتلها الأعداء على حين غفلة وحصنوا أنفسهم فيهـــا وكثيـــرة هـــي شواهد التاريخ التي خسر فيها المسلمون أرواحا وأرضا بسبب عدم مراقبة ثغورها منذ البدايـــة، وإن عملية التحصينات والقلاع لم يخترعها المماليك وإنما هي عرف عسكري منذ القدم حـــرص عليه كل من خشي على أرضه ونفسه وقد سبق النظام العسكري المملوكي نظاما عسكرياً لا يقل استعداداً في الدفاع عن أرض المسلمين، حيث ورث المماليك العديد من القلاع والحصون التـــي شيدها الأيوبيون[3] وكان المماليك يعتبرون تعمير القلاع التي يخربها المغول وخاصة في الـــشام من أولوياتهم وأولويات نفقات الدولة من خلال ديوان الجيش والإقطاع والغنائم[4]

---

(1) العسقلاني، الفضل المأثور،ص122.
(2) البخاري،صحيحه،باب الجهاد والسير،2673. العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد،ص40.
(3) سالم، سحر، دراسات في تاريخ مصر،ص220.
(4) المنصوري، مختار الأخبار،ص23-24.

وكان أول ما يبدأ من تقسيم الغنائم بإخراج مؤونة الحفاظ على الثغور[1]. ومن القلاع التي خربها المغول وعمرها المماليك قلعة دمشق والسلط وعجلون وصرخد وبعلبك وشيزر والصبية وقلعة شميس وحمص فعمروها كلها ونظفوا خنادقها ووسعوا أبراجها وشحنوها بالعتاد وعمروها بالأجناد وخزنوا بها الغلات والأزواد[2] وهناك عدة قلاع أخرى عما سبق ذكره، مثل بهنسا وإياس واللاذقية وأذنة وطرسوس وصفد والقدس والرحبة والبيرة والرها وعين تاب وحلب[3]أما طرابلس وحماة فلم يكن بهما قلعة[4] ومن القلاع التي اكتسبت أهمية كبيرة لدى المماليك والسلطان نفسه، قلعة دمشق التي كانت تعتبر قلعة رئيسة في الشام وكان السلاطين يشرفون على تعميرها بأنفسهم[5] وقد اشتهرت عدة قلاع أخرى إضافة إلى قلعة دمشق بأنها رفيعة القدر مثل قلعة صفد وقلعة حلب[6] وقد اشتهر حصن الكرك[7] من بين أشهر الحصون وأعجبها وامنعها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف بحصن الكرك من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزيه كذلك، وبهذا الحصن كان يتحصن الملوك واليه يلجأون في النوائب، وله لجأ الملك الناصر لأنه ولي الملك وهو صغير السن حتى اشتدت قوته ورجع إلى ملكه[8] حيث أن بيبرس الجاشنكير أراد قتل الناصر محمد لينفرد بالحكم دون منازع ،لكن هروب الناصر محمد إلى الكرك ومناعة هذه القلعة سمح للأخير بتجميع قواه وعودته إلى مصر، وبذلك استرد الحكم وقبض على سلار شريك بيبرس الجاشنكير في الحكم

---

(1) ابن النحاس، مشارع الأشواق،ص1036.
(2) المنصوري، مختار الأخبار،ص23-24. انظر عبد المنعم صبحين الشرق الإسلامي زمن المماليك،ص35.
(3) القلقشندى، صبح الأعشى،ج9،ص254.
(4) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
(5) القرماني، أخبار الدول،م2،ص271.
(6) القلقشندى، صبح الأعشى،ج9،ص253.
(7) انظر الشكل رقم17 في الملحق ص 188.
(8) ابن بطوطة،ج1،ص129.

وحبسه في بئر حتى مات وقتل بيبرس الجاشنكير، وبذلك يمكن القول أن الكرك كانت منيعة لمن لجأ إليها[1] وممن اشتهر من السلاطين بإصلاح القلاع وبناء الجديد منها السلطان برقوق[2] ومن القلاع التي بناها السلطان برقوق قلعة في خانيونس سميت باسمه* حيث جعل لهـا سـورا وعمل داخلها بئر ماء ومخازن وإسطبلات ومنازل وثكنات، وكان برقوق قد كلف أمير جيوشـه يونس النوروزي دوادار ببنائها[3] واشترك في بناء قلاع دولة المماليك كل طبقات الدولـة مـن الجيوش والمهرة، وحتى أسرى الحرب من الأعداء، كما كانت النساء تشترك في بنائها[4] ومـن الجدير بالذكر قيام المماليك بتحصين قلاعها بكامل العتاد وبعض القلاع كـان يـتم تحـصينها بعشرات المنجنيقات وخاصة في المدن التي تقع على الثغـور[5] وكانـت الحـصون والقـلاع الثغورية تحظى بزيارات دورية للسلاطين المماليك، الذين أولوهـا اهتمـامهم وزودهـا بكـل الإمكانات الدفاعية ووفروا فيها الأمن الغذائي والأموال اللازمة لذلك، ومن المدن التي اهتم فيها سلاطين المماليك بيت المقدس والخليل في فلسطين ودمياط والإسكندرية ورشيد بمـصر لأنهـا مدن ثغورية[6] ومن حصانة القلاع في العهد المملوكي أنها ذات أسوار عالية منيعة ولها أبـواب ذات مفاتيح تفتح بالنهار وتغلق بالليل وتسلم المفاتيح لإدارة القلعة ولا تفتح إلا وقت الضرورة أو لضيف كبير المقام[7] وكان سكان المدن في الشام لهم دور كبير في الدفاع عن قلاعهم بشكل لا

---

(1) ابن بطوطة،ج1،ص129.

(2) السلطان برقوق: هو برقوق بن انس بن عبد الله الجركسي العثماني أحضره الخواجا عثمان من بلاد الجركس وباعه إلى يلبغا الكبير فسماه برقوق لنتوء عينيه وبالأصل كان اسم برقوق الطنبغا. ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،ج4،ص6.

* انظر:صورة القلعة الشكل رقم14 في الملحق ص188.

(3) الطباع، عثمان،إتحاف الأعزة في تاريخ غزة،ص334-35-35.

(4) زنيد،المنشآت التجارية في دمشق في العصر المملوكي،ص37-39.

(5) المقريزي، السلوك،ج2،ص83.

(6) العيد روسي، النور السافر،ص17.

(7) العسقلاني، الفضل المأثور،ص128.

يقل عن الجيش، وخاصة سكان دمشق حيث فاق دفاع أهلها عنها دفاع الجيش المملوكي نفسه[1] وكانت الحصانة تتطلب بناء سور عال ضخم واستغلال البيئة الطبيعية المحيطة بالمكان من بحر أو انهر أو جبال، والمناطق المفتوحة كان يحفر فيها خندق حول المدينة[2] وكان أسلوب حراسة القلاع له نظام صارم يكلف به جنود ملتزمون، ويمنع الإخلال بالحراسة لأي سبب كان سواء داخل القلعة أو على أبوابها أو على أسوارها ومتابعة السجون داخل كل قلعة كان له أهمية بالغة خوفاً من هروب السجناء أو استغلالهم من قبل الأعداء في فتح أبواب القلعة كما وكان ينتشر داخل كل قلعة دوريات راجلة لمراقبة الأسوار والشوارع[3] وربما كانت القلعة برجالها وعتادها لا تستطيع مواجهة العدوان الخارجي، ولكنه في النظام العسكري المملوكي لا يطالب القلعة بالانتصار وإنما يطالبها بالصمود ريثما تصل القوات المساندة من الجيش المملوكي ويرد المعتدين، وكان على القلعة أن تصمد ضد أي عدوان خارجي مدة زمنية تساوي المدة الزمنية التي ستصل فيها القوات المساندة ويمكن تقدير هذا الزمن بما يساوي تجهيز الجيش من مصر وانطلاقه ووصوله وربما يستغرق ذلك مدة أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

---

[1] السيد حكيم، قيام دولة المماليك ص136.
[2] المنصوري، مختار الأخبار،ص23-24.
[3] العسقلاني، الفضل المأثور،نص119.

الفصل الرابع

أهم المعارك التي خاضها الجيش المملوكي

أولاً: معركة عين جالوت

- المغول
- قطز
- أرض المعركة وزمانها
- مقدمات المعركة والفرق الاستطلاعية
- أحداث المعركة
- نتائج المعركة
- مطاردة فلول المغول

ثانياً: حروب المماليك مع الصليبيين

- الحرب في عهد بيبرس
- الحرب في عهد أسرة قلاوون

أولاً : معركة عين جالوت

يصادف الباحث عقبات عسيرة عند محاولته دراسة تاريخ المغول، حيث إن سيرة القبائل البدوية تبدو كأنها حكايات غير منظمة وغير متناسقة لأن تاريخها مضطرب، مما يجعل من المستحيل التماس خيط واحد يضم هذه القبائل بأسرها[1] ، فالأحداث الداخلية والحروب التي نشبت بين القبائل كانت من العوامل المضللة لأي باحث، أضف إلى ذلك ما أحاط بالتاريخ المبكر للمغول من الغموض والاختلاط بالأساطير ، فضلاً عن الافتقار إلى السجلات والوثائق التي تبين الحقائق عن المغول [2]، ولذلك من الصعب إيجاد حقيقة ثابتة عن المغول قبل ظهور جنكيز خان [3] فلم يظهر قبل جنكيز خان شخصيات بارزة أو زعماء مشهورون ولذلك يعتبر جنكيز خان هو البداية الواضحة التي من خلالها سيتم البحث عن المغول وعلاقاتهم بالغزو للعالم الإسلامي حتى غزو بلاد الشام خاصة إذا ما عرفنا أن طبيعة الحياة الاجتماعية والأسرية للتتار تختلف في كثير من الخصائص عن باقي الشعوب والمجتمعات ، فالتتار لا يعيشون في أرض واحدة ففي الشتاء يتنقلون إلى السهول الدافئة لكي يجدوا مراعي لمواشيهم وفي الصيف يرتحلون إلى الجبال الباردة لتوافر الماء والخضرة[4]والواحد منهم يتزوج الكثير من النساء مما يجعل نسلهم كثير والنساء اللاتي يرتبطن برجل واحد تسود بينهن المحبة والوئام ولا غيرة بينهن وهن مخلصات لأزواجهن ولا توجد الفاحشة التي تعتبر جريمة كبرى بين المجتمعات المغولية،

---

[1] السيد الباز العريني،المغول،ص21.

[2] المرجع السابق،ص21-22.

[3] جنكيز خان: هو ابن بيسوكي بن بهادر بن تومان بن برتيل خان بن توهنيه بن بادسنقر بن تيدوان ديوم ابن بغابن الان قوا وهي امرأة من قبيلة التتر وحملت بثلاث ذكور بعد وفاة زوجها بينهم جد جنكيز خان ولما أرادوا قتلها ادعت أن نوراً من السماء دخل فرجها فصدقوها ولذلك أطلقوا عليهم النورانيين ويبدو انها اخترعت تلك الخرافة لإنقاذ نفسها من الموت. انظر القلقشندى،صبح الأعشى،ج4،ص310.
وهو أول من وحد المغول بجيش منظم وكانت وفاته سنة 624هـ-1226م وظل ملكه خاليا لمدة سنتين إلى أن تولى ملكاً غيره،
انظر:الهمداني،جامع التواريخ.ص28 وجنكيز خان اسمه تيموجين وكانت ذا سطوة ومهابة وحزم ودهاء وخبرة في الحروب وكان كريماً محباً لعلوم الأوائل، انظر الحنبلي،شذرات الذهب،ج3،ص316. ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية،ج1،ص230.
انظر الشكل رقم22في الملحق ص191.

[4] الهمداني،جامع التواريخ،ص33.ماركوبلو،رحلات،ص137.

والنساء لهن دور كبير في الأعمال، فهن مطالبات بتوفير احتياجـات الحيـاة مـع زوجهـا لأن الرجال منشغلون بالحروب والصيد، وللزوجة الأولى المكانة الكبرى ولأولادها أيضا حيث يرث الولد الأكبر من الزوجة الأولى نساء أبيه ما عدا أمه[1] والمغول يؤمنون بإله له طبيعة سـماوية ويحرقون له البخور ولهذا الإله زوجة وأبناء ويصنعون تمثالا في بيـوتهم لإلههـم المزعـوم، ويذكر أنهم يجيدون استخدام القوس أكثر شئ في سلاحهم ويرتدون دروعاً من جلود الجـاموس وهم شجعان في المعارك لا يخافون الموت، وهم قساة القلوب ولا يفوتهم شـعب علـى وجـه البسيطة في التحمل والجلد على الشدائد ويمكن أن يبقى الواحد منهم على فرسه يومين كاملين لا ينام خلالها[2] ومن قوانينهم أنهم يعاقبون السارق بالجلد، أما إذا استطاع تسديد تـسعة أضـعاف المسروقات يعفى عنه، وهم يحبون بعضهم كثيراً لدرجة أنهم يزوجون أبناءهم وبناتهم المتـوفين ويحرقون عقد الزواج وبعض الهدايا لتتطاير كالدخان لتصل لأرواح المتوفين، ويصبح بعد ذلك آباء وأمهات المتوفين مصاهرين ويزورون بعضهم بعضا كأن أبناءهم على قيد الحياة[3] وهـم لا يحملون في حروبهم المؤن إنما يعتمدون على لبن الجمال والخيـول وأحيانـا يمـصون دمـاء الخيول من أوردتها ويجففون اللبن بعد نزع الزبدة منه وخلال حروبهم يضعوا المجفف في قربة ماء صغيرة ويتغذون عليه[4]، ويستخدمون في حروبهم الخديعة فهم لا يواجهوا أعداءهم مباشرة إنما يحومون حولهم ويطلقون عليهم السهام ويتظاهروا بالهروب وحين يلحـق بهـم أعـداءهم يضربون عليهم السهام أثناء هروبهم، حتى يظن أعداءهم أن التتار هزموا ثم يهاجمون أعـدائهم

---

(1) ماركوبلو، رحلات ،ج1،ص138-140.

(2) المصدر نفسه، ج1،ص142-143. يبدو أن ماركوبلو قد تأثر بعلاقاته الطيبة مع التتار لما كان بينه وبينهم من الود فانعكس ذلك على أن يصبح مسوق وإعلامي بارع لصالح المغول لأن كلامه يبدو عليه الكثير من المبالغة ،فهو رحالة ايطالي رافق الحملات المغولية المهاجمة لدول العالم الإسلامي وظهر تعاطفه مع المغول وحقدة على الدول الإسلامية حيث يصف احد الوزراء العرب (بالقوي المنحرف) انظر:ماركوبلو،رحلات،ج2،ص222.

(3) المصدر نفسه،ج1،ص146-147.

(4) المصدر نفسه،ج1،ص144.انظر الشكل رقم23في الملحق ص191.

بعدما ينهكوه بسهامهم ويتخذوهم أسرى وبهذه المناورات حققوا انتصارات كثيـرة، وكانـت أي حملة عسكرية للمغول تتضمن مائة ألف جندي منظمة بحيث يكون لكل عشرة جنود ضابط ولكل عشرة ضباط ضابط وهكذا، وبذلك فالجيش كله منضبط ومرتب[1] ومن أهم مـواطنهم الـصين وأطرافها، ومنهم من يسجد للشمس عند طلوعها وهم لا يحرمون شـيئا ولا يحـصون كثـرة[2] وكان جنكيز خان بعد أن ثبت ملكه في الداخل وقضى على مناوئيه من التتـار واخـضع بـلاد الصين يرغب في التوجه غربا نحو بلاد الإسلام ليضمها إلى مملكته وعجل بتحقيق هذه الرغبـة قيام علاء الدين خوارزم شاه[3] بقتل جماعة من تجار التتار وغزو بلادهم[4] وكانـت العلاقـات بين الدولة الخوارزمية والمغول علاقة سلمية ومهادنة حتى وقت حادثة مقتـل التجـار المغـول وحينها أرسل ملك المغول يطلب من الخوارزميين تسليم القتلة لكن الخوارزميين رفضوا ذلك [5] وعلى الرغم من أن بين خوارزم شاه وبلاد التتر مسيرة سنة، لأنهم كانوا يسكنون في صـحاري برية وأودية داخل الصين، إلا أنه في سنة خمسة عشرة وستمائة خرج السلطان خوارزم شاه في جيش ضخم لا يحصى، واستغل انشغال جنكيز خان بحروبه واستطاع سبي نساء التتار[6] فرجع المغول ليدافعوا عن بلادهم واشتد القتال، فقتل من الفريقين خلق كثير، حتى أن الخيـول كانـت تنزلق في الدماء وكانت جملة من قتل من المسلمين عشرين ألفا ومن التتار أضعاف ذلـك، ثـم انسحب الخوارزميين وحصنوا المدن الإسلامية وكان من سوء تدبير السلطان الخـوارزمي أنـه

---

(1) ماركوبلو ،رحلات،ج1،ص143.

(2) ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،ج3،ص65.ابن كثير،البداية والنهاية،ج13،ص83.

(3) علاء الدين خوارزم شاه: هو السلطان الأعظم للمسلمين محمد بن تكش وكان ملكاه واسعا عظمت هيبته بين المسلمين وأذعنت له العباد وقهر الناس كلهم وكان فاضلا كريما حليما وكان له عشرة آلاف مملوك كل منهم يصلح للملك وكانت عساكره عدد الجيش لا يعرف اولها من آخرها فتجبر وطغى. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج1،ص330. بعد هزيمته على يد التتار هرب فاسروا زوجته وبناته وظل المغول يطاردونه من مدينة لأخرى إلى أن هرب إلى قلعة حصينة في جزيرة في بحر طبرستان وظل بها حتى مات. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج1،ص338.

(4) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار،ص30.

(5) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج3،ص61.

(6) الحموي، التاريخ المنصوري،ص83.

فرق عساكره في الأقاليم ، مما جعل جيوشه في كل مكان، مما يصعب جمعهم لاتساع البلاد فاستطاع بذلك التتار إلحاق الهزيمة بالمسلمين مرة تلو المرة، واستغلوا في ذلك تشتت الجيش الخوارزمي في المدن مما جعلهم هدفاً سهلاً للجيش المغولي[1] ونتيجة لتلك الحروب استطاع التتار أن يقتلوا من المسلمين في قزوين[2] وحدها أربعين ألفا وفي مرو[3] سبعمائة ألف مسلم[4] ناهيك عن قتلى المسلمين في البلاد والمدن الأخرى، حتى وصل الأمر إلى أن قضوا على الدول الإسلامية في الشرق كله ووصلوا بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وكانوا سببا في زوالها وقتل ثمانمائة ألف مسلم في بغداد وحدها، وفي حلب بعد ذلك خمسين ألف مسلم[5] وقد عرف عن الجيش المغولي أنهم كثيرو العدد يصبروا على الجلد وشجعان ويقتنعون باللبس الذي لا يستر العورة وبالأكل الذي لا يشبع، ويصبرون على العطش والحر والبرد ويقاتلون مهما كان أعداءهم أقوياء[6] وهذا ما جعل منهم جيشاً له مهابة في نفوس المسلمين، مما كان سببا في الهزائم المتلاحقة التي مني فيها المسلمون، بل أنهم كانوا يطيعون قائدهم طاعة العباد لطاعة رب العالمين[7]مع فارق التشبيه، وحتى أن جيش المغول حين يجوعون يأكلون لحم البشر وأي نوع من أنواع الحيوانات بل ويأكلون العلف الجاف[8]

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج1،ص334-338.

(2) قزوين:هو أول ما يوالي الصين والمسلمون بها أعزة وحاكمها كافر. رحلة ابن بطوطة،ج2،ص649. هي مدينة حسنة وهي ثغر لبلاد الجبل وبينها وبين الري 90 ميل.الإدريسي،نزهة المشتاق،ج2،ص678.

(3) مرو: هي مجموعة بلاد مثلكشيمن وباشان وبها نهر كبير وهي قريبة من خوارزم.الإدريسي،نزهة المشتاق،ج2،ص695.هي مدينة كبيرة في مستوى من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها فسيحة كثيرة الرمل وأبنيتها من الطين وفيها ثلاثة مساجد ولها قصبة بها مياه كثيرة ونهر عظيم هو نهر مرغاب.الإدريسي،نزهة المشتاق،ج1،ص476.

(4) الذهبي،الأمصار ذوات الآثار،ص31-34.

(5) المصدر نفسه،37-38. الجبرتي، عجائب الآثار،ج1،ص29.

(6) العسقلاني، الفضل المأثور،ص92.

(7) السبكي، طبقات الشافعية،ج1،ص330.

(8) الهمداني،جامع التواريخ،ص37.

وقد التزم المغول بقوانين ودستور وضعه لهم ملكهم جنكيز خان، فكان بمثابة الشرع والدين وكان اسمه الياسا[1] يرجعون له في كل أمور حياتهم[2] ومن قوانين الياسا أن من زني يقتل، ولم يفرق بين محصن وغير محصن ومن لاط قتل، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس أو دخل بين اثنين يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال على الماء أو على الرماد قتل، ومن مر على قوم يأكلون ولم يجعلوه يأكل معهم قتلوا جميعاً، ومن لم يساعد زميله في إعطائه سلاحه إذا وقع منه في أرض المعركة قتل الذي لم يساعد، كما جاء في الياسا ضرورة احترام آل البيت وأهل العلم والفقهاء والأطباء وتعظيم الملل ومنع تعصب ملة على أخرى، وأن الأشياء طاهرة ولا يغسل الثياب حتى يبلى، وأن يحمل الجندي كل ما يلزمه، وعلى نساء العسكر القيام بأعمال أزواجهن نيابة عنهم لأنهم مشغولون في الحروب وكل التتر متساوون لا ألقاب بينهم حتى كبيرهم وملكهم وكان التزامهم بالياسا كالتزام المسلمين بالقرآن[3] مع الفارق وكان الجيش المغولي لا يأبه بأي معيقات أو صعوبات مهما كانت ، فذات مرة لم يجدوا سفناً لتحملهم عبر نهر جيحون[4] فصنعوا أحواضا يحملون عليها الأسلحة فكان أحدهم يرسل فرسه في النهر ويأخذ بذنبها فتجره الفرس في الماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر[5] وكان يتم اختيار الجيش من الأشداء والأكثر صلابة والأكثر طاعة والأحرص على النصر، واستخدموا البريد السريع وكانوا يستخدمون أسرى الحرب كدروع بشرية، وفي إحدى معاركهم كان جيش المغول عشرين ألفا والأسرى خمسين ألفاً ويجعلونهم بالمقدمة ليتلقوا السهام

---

(1) الياسا: كلمة مغولية تعني السياسة وهي كتاب جمع به قوانين ليسير عليها المغول وضعها لهم جنكيز خان. القلقشندى، صبح الأعشى،ج4،ص314.

(2) السبكي، طبقات الشافعية،ج1،ص330.

(3) المقريزي، الخطط،ج2،ص220-221.القلقشندى،،صبح الأعشى،ج4،ص314-315.

(4) نهر جيحون: هو احد انهار الجنة الأربعة وهو يجمد في أوان البرد ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جموده خمسة أشهر.رحلة ابن بطوطة،ج1،ص401.يمكن لأي جيش أن يعبر فوق هذا الماء خلال الخمسة أشهر دون مراكب وهي الفترة التي يكون فيها البحر ذا سطح صلب

(5) السبكي،طبقات الشافعية،ج337،1-338. الصياد،المغول،ص366. يذكر أن الصياد هو مترجم كتاب جامع التواريخ من الفارسية إلى العربية.

وكانوا يستغلونهم لحفر الخنادق[1] وقد كان هناك عشرة آلاف فارس من الجيش التتري عرفــوا بالحذر واليقظة وشدة البأس، الواحد منهم يكون على مرتبة قائد الألف رجل في الفرق الأخــرى وهؤلاء هم الحرس الخاص، وقد وصل اعتناء المغول بالجيش أن كان التجنيد الإجباري من سن أربعة عشر سنة إلى ستين عاما، وكان أساس الترقية هي الكفاءة والطاعة وكان المغول يقسمون الجنود إلى قلب وجناحين أيسر وأيمن وقوات الوسط من فرق أمامية وأخرى خلفية ولأن الفــرق الأمامية تتعرض للهجوم كان جنودها يلبسون دروعاً كاملة ويحملون القــوس والنــشاب ، وأي جندي يغير مكانه يقتل ويعاقب من ساعده على تغيير مكانه[2] ومما سبق يتــضح مــدى كفــاءة وخطورة الجيش المغولي أنه ليس من السهل التصدي لهم وصدهم،خاصة إذا علمنا ما آل إليــه حال المسلمين من تفرق وضعف وهوان على الناس، فبعد تمكن المغول من البلاد الإســلامية ، حتى أنهم وصلوا إلى بلاد الشام بعد القضاء على مركز الخلافة العباسية، بــدأت العلاقــة بــين المغول والنظام العسكري المملوكي.

---

[1] ابن الأثير،الكامل،ج9،ص337.الصياد،المغول،ص366.
[2] الصياد،المغول،ص360-361.

قطز:

في عام 658هـ/1260م وصلت رسالة التهديد المغولي من قبل هولاكو ونـصها " إلى المظفر سيف الدين قطز المعزي، الذي هو من جنس الترك الذين هربوا من سـيوفنا.. إننـا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، فسلموا إلينا تسلموا من قبل أن تندموا وقـد سـمعتم أننـا خربنا البلاد وقتلنا العباد فلكم الهرب ولنا منكم الطلب فمن طلـب حربنـا نـدم............"[1] وكان آنذاك قد استطاع قطز اعتلاء السلطنة، والذي كان أكثر الأمراء جدارة بهذا المنصب ففيه من الصفات وله من الانجازات والنجاحات ما يؤهله لاعتلاء العرش[2] وهو ثالث ملوك التـرك بمصر تولى يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة[3]وقد كـان سياسياً حكيماً وقائداً بارعاً تولى الحكم في ظروف قاسية إذ كان مطلوب منه أن يوحـد الـداخل ليواجه أقوى هجمة وهو بالأصل من خوارزم[4] والاسم الحقيقي لقطز هو محمود بـن ممـدود، وأمه أخت السلطان جلال الدين سلطان خوارزم شاه، وقد وقع قطز في الأسر وهو لم يتجـاوز بعد السادسة من عمره، وذلك بعد سقوط دولة خوارزم شاه بيد التتار ومنذ ذلك الحـين أصـبح قطز من الرقيق يباع ويشترى في أسواق النخاسة، وظل كذلك حتى اشتد ساعده عند أحد التجار بدمشق[5] وعرف عن قطز ، المواظبة على الصلاة والشجاعة والوقوف عند محارم الله[6] وقـد عمل قطز أميراً في عساكر المماليك وكان رئيس المماليك المعزية واشترك في قتل أقطاي أحد

---

(1) القرماني،أخبار الدول،م2،ص269.
(2) المنصوري، التحفة الملوكية،ص41.
(3) المقريزي،السلوك،ج1،ص507.
(4) خوارزم:إقليم يقع في المجرى الأسفل لنهر جيحون ويكون دلتا خصبة. انظر: ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص63.
(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص78. اليونيني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص368. الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص200-201.
(6) المقريزي،السلوك،ج1،ص520.اليافعي، مرآة الجنان،ج4،ص149. أبو شامة ،تراجم رجال القرنين،ص210.

أمراء المماليك المنافسين لأيبك مما جعل أيبك يقربه منه ويعينـه بمنـصب هـام، هـو أتابـك العسكر[1] وكان قطز قد قتل أقطاي بعد أن استدرجه للقصر السلطاني لكثرة إفساده وبغيه علـى الناس[2] وتولى الحكم في مصر بعد خلع المنصور ابن أستاذه وكان صبياً والوقت صعب ولابـد من وجود رجل شجاع ينتصب للجهاد، فتسلطن قطز ولقب بالمظفر وكان التتار آنذاك قد قطعوا الفرات ووصلوا حلب ودمشق[3]فلما وصلت رسالة المغول المشار إليها إلى قطز، وكان بصحبة الرسالة خمسة من رسل المغول أمر قطز بقتل أربعة منهم وعلق رؤوسهم على أبواب القاهرة[4] ثم جهز جيش المماليك واستعان بالشيخ العز بن عبد السلام في شحذ الهمم، وقد أخبـره الـشيخ بأن يجمع ما في أيدي الأمراء المماليك، ومن ثم يجمع من العامة ما يعينه على تجهيـز الجـيش من أموال، فوافق قطز ونجح في تجهيز الجيش وانتصر في معركة عين جالوت على التتـار[5] كما سيتضح ذلك لاحقاً وتنتهي حياة هذا السلطان أثناء عودته إلى مصر بعد الانتصار، فقد وثب عليه بعض الأمراء وعلى رأسهم بيبرس وقتلوه في الصالحية في السادس عشر من ذي القعـدة سنة ثمان وخمسين وستمائة[6] وحقيقة أنه من الصعب معارضة هذا الرأي بأن بيبرس هو قاتـل قطز لأن الكثير من المؤرخين كما سبق الإشارة ذكروا قصة قتل قطز وإن لم يكن بيبرس قاتلـه فمن الذي قتله؟ ولماذا لم يبحث عن قاتليه؟ وعلى الرغم من أن المسلمين لا يرغبـون فـي أن يكون بيبرس قاتله إلا أن التاريخ يحكم على الأمور بما هو مثبت في مصادر التاريخ.

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج23،ص200-201. المقريزي، السلوك،ج1،ص515.
[2] المقريزي،السلوك،ج1،ص483.
[3] المنصوري، مختار الأخبار،ص11.
[4] القرماني، أخبار الدول،م2،ص269-270.
[5] الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج23،ص201. السيوطي، تاريخ الخلفاء،ج1،ص475.
[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج23،ص200-201. اليويني، ذيل مرآة الزمان،م1،ص370-371. المقريزي، السلوك،ج1،ص519.

أرض المعركة وزمانها:

لقد واجهت قطز بعد توليه السلطة عدة معضلات منها غياب ظل الخلافة العباسية، الــذي كان يمكن أن يجمع كلمة المسلمين لجهاد التتار تحت قيادته، كما واجهت قطــز قــضية تفــرق الإمارات الإسلامية، وأيضاً عدم رضا بعض الأمراء المماليك أنفسهم على توليه السلطة حيــث إنهم كانوا لا يرغبون في تولي قطز عليهم لأنه ليس الأكبر أو الأجدر مــن وجهــة نظــرهم، ولذلك نجده قد استغل فرصة خروج الأمراء إلى الصيد لخلع الطفل المنصور ابن عــز الــدين أيبك[1] كما تم ذكره آنفا وتجدر الإشارة هنا إلى أن قطز كــان قــد استــشار بعــض الأمــراء المخلصين[2] ولم يكن قراراً فردياً وقد كان القرار بوقت كانت الأمور في غاية الخطورة، حيــث إن المغول قد اقتربوا من مصر آخر معاقل المسلمين القويــة علــى وجــه الأرض، وبالنــسبة للمعضلة الأولى فقد تمكن قطز من تجاوزها من خلال إحلال دور العلماء بــدلاً مــن الخلافــة وتمثل ذلك باستعانته بشيخ العلماء العز بن عبد السلام الذي لم يتأخر في إظهار المساندة لقطــز، حيث إنه جعل المؤسسة الدينية آنذاك التي قد حظيت بثقة المسلمين مرافقة للقرار السياسي ولــم يتردد في الطلب من قطز أن يأمر جنود وأمراء دولته بوضع أملاكهم وذهبهم وثرواتهم تحــت إمرة تصرف بيت المال قبل أن يقوم قطز بجمع المال اللازم لتجهيز الجيش من النــاس، ففعــل قطز وجعله أمرا نافذا[3] مما كان له الأثر البالغ في نجاح النظام العسكري المملوكي في إعــداد العدة للحرب الفاصلة، أما بالنسبة للمعضلة الثانية وهي تجميع الأمراء وخاصة الهــاربين مــن مصر بعد مقتل أقطاي، خاصة بيبرس فقد استطاع قطز التعامل معهم من خلال مــسامحته لهــم وسماحه لهم بالعودة إلى مصر، بل وأقطعهم الإقطاعات وحلف لهم بأنه لن يمسهم بسوء فــدخل

---

(1) القرماني،أخبار الدول،م2،ص268-269.
(2) المصدر نفسه،نفس الجزء والصفحة.
(3) السبكي،طبقات الشافعية الكبرى،ج8،ص215.

بيبرس إلى القاهرة يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيــع الأول ســنة ثمــان وخمــسين وستمائة، فركب قطز للقائه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قصبة قليوب[1]وبالفعل كــان قطــز على قدر كبير من الكفاءة والحكمة وكان لديه من رجاحة العقل والحنكة السياسية ما مكنه مــن تجميع الأمراء حوله واستغلال كل ما يمكن استغلاله، وقبل وصول الجيش الإسلامي المملوكي أرض المعركة استطاع قطز التعامل مع المسالة الصليبية، حيث كانوا آنذاك يــسيطرون علــى معظم مدن الساحل ، وكان قطز يدرك مدى ما يمكن أن يشكله الصليبيون من خطــورة خاصــة وأن جيشه سيتحرك بجوار المدن المحتلة من قبلهم، فاستطاع قطز استغلال ما حدث في صــيدا على يد المغول حيث قام المغول بارتكاب مجازر ضد صليبي صيدا ولذلك أدرك الــصليبيون أن التتار وبعد أن يتمكنوا من المسلمين لن يرحموهم، فمصيرهم مرتبط بنتائج المعركة الفاصلة بين التتار والمسلمين وبالنسبة للصليبيين فقد تعودوا على حروب المــسلمين واســتمر بقــاءهم فــي الساحل ، وفي حال انتصار التتار على المسلمين، فإن مصير الصليبيين لن يكون أفــضل حــالاً فإن الفرصة سانحة للمصالح المشتركة ولذلك فقد أرسل قطز سفارة إلى عكا لتتفق مع الصليبيين للسماح للجيش الإسلامي بالمرور من تلك النواحي التي يسيطر عليها الصليبيون وعدم التعرض لها فوافق الصليبيون ، بل وعرضوا مساعدتهم لقطز الذي اكتفى بقبول الاتفاق بعــدم التعــرض لجيشه أثناء مروره بمناطق النفوذ الصليبي [2] وكان قطز في ذلك محقاً، حيث لا يمكــن لقائــد مسلم أن يركن لأعدائه المتربصين في معركة فاصلة وحاسمة حيث كانوا أعداء الأمس وحتــى أن كثيراً من صليبي الساحل انضموا إلى جيش التتار في معركة عين جالوت[3] وبالفعــل كــان للاتفاقية مع الصليبيين دور كبير في تامين الجيش الإسلامي، ومن المهارات التي تحلى بها قطز

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص101.
[2] ابن دقماق، النفحة المسكية،ص50..
[3] المنصوري، التحفة الملوكية،ص43.

أنه استطاع تحويل النظام العسكري المملوكي من مجرد جيش بعتاد إلى جيش يتحلى بالإيمـــان، فكانت حرباً مقدسة بالنسبة للمسلمين[1] ومن خلال الاستعانة بالعلماء أمثال الشيخ العز بن عبـــد السلام كان له عظيم الأثر في نفوس الجنود، فقد استطاع قطـــز أن يلهـــب مـــشاعر المقـــاتلين وروحهم بكلامه الصادق، مما جعل لدى الجنود والأمراء قناعة بأهمية القتال حتـــى أن جنـــوده كانوا يبكون من شدة تأثرهم بخطب قطز [2] ومما سبق يتضح مدى الصعاب التي واجهت قطـــز قبيل اللقاء الفاصل، وخاصة قوة المغول نتيجة للإرهاب المغولي الذي وصـــلت ذروتـــه بقتـــل مئات الآلاف في بغداد وإسقاطها، وهي عاصمة أكبر وأطول خلافة في تاريخ الدولـــة العربيـــة الإسلامية حتى وصل المغول إلى دمشق وبعض البلدان الشامية ومن ثم وصلوا إلـــى غـــزة[3]؛ حتى أن هولاكو حينما وصل إلى دمشق سنة 658هـــ/1260م ليلة الاثنين التاســـع عـــشر مـــن صفر ومن ثم توجه إلى حلب وسيطر عليها وقام بقتل الكثير من سكانها[4] وقد تم الإشارة إلـــى قوة المغول وإمكاناتهم، ومما يذكر في تلك المرحلة الأحداث الداخلية التي ألمت بـــالمغول مـــن فتن ونزاع على السلطة بين الحكام المغول، مما أوقع بينهم العداوة[5] وكان لذلك أثر في ضـــعف معنويات المغول وخاصة بعد رجوع هولاكو إلى عاصمته وترك الجيش تحت قيـــادة كاتبغـــا [6] وقد خطا قطز خطوة إستراتيجية بما فعله برسل المغول الذين جاءوا برسالة[7] تحمل في طياتهـــا الكثير من الترهيب والتقزيم بالمسلمين وذكر أفعال المغول بالمسلمين وقوتهم وجبروتهم، وبالفعل

---

(1) المنصوري،التحفة الملوكية، ص43.

(2) المقريزي، السلوك،ج1،ص516.

(3) اليونيني، ذيل مرآة الزمان،م1،ص351. السبكي، طبقات الشافعية،ج8،ص215. المقريزي، السلوك،ج1،ص508-511. انظر: عبد المنعم ، الشرق الإسلامي،ص31

(4) الصفدي،تحفة ذوي الألباب،ص161. ابن كثير، البداية والنهاية،ج13،ص220-221.

(5) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار،ص39-40.

(6) كاتبغا:أحد قادة المغول قتل في معركة عين جالوت حيث قتله الأمير جمال الدين اقوش.ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج7،ص344. وقد كان كاتبغا يعتمد في حروبه ضد المسلمين أشياء لم يسبقه فيها احد إليها فكان إذا فتح بلد ساق مقاتلة هدا البلد من الأسرى للبلد الذي يليه ويطلب من آهل تلك البلد أن يؤوا هؤلاء الأسرى حتى يزيد أعباءهم من الطعام والشراب ويزيد ضائقتهم فتقصر مدة الحصار.ابن كثير، البداية والنهايةنج13،ص226.

(7) لقراءة نص الرسالة انظر المقريزي، السلوك،ج1،ص514. القرماني،أخبار الدول،م2،ص269-270. ابن دقماق، النفحة المسكية،ص48.

فإن من يقرأ الرسالة يجد فيها ما تقشعر له الأبدان. وكانت إستراتيجية قطز تنم عن قدرته وشجاعته، التي كان من شأنها تقوية نفوس المسلمين، حيث قام بإعدام الرسل فأعدمهم على أبواب القاهرة فأعدم الأول بسوق الخيل والثاني بباب زويلة والثالث بباب النصر والرابع بالريدانية[1] وأبقى على أصغر هؤلاء الرسل واتخذه مملوكاً له[2] وكان إبقاء الصبي خطأً فادحاً، لأن هذا الصبي حاول اغتيال قطز فيما بعد خلال معركة عين جالوت، حيث أطلق سهماً على قطز فأخطأه وأصاب فرس قطز فقتله[3] ومن المهم ذكر المكان والزمان الذي حددهما قطز للّقاء الفاصل، حيث تلخصت الإستراتيجية العسكرية المملوكية في اختيار أسلوب جديد في المواجهة، وهو لقاء العدو في غير المألوف فالمغول لم يتعودوا أن يخرج لهم المسلمين قبل ذلك، وإنما كان المسلمون يتحصنون في مدنهم ليواجهوا المغول مما كان له أثرا بالغاً في هزيمتهم كل مرة، وأما قطز فقد قرر التوجه بجيشه للقاء المغول في المناطق التي كانوا فيها فكان اللقاء في شمال فلسطين بعين جالوت[4] وهي أرض ذات طبيعة سهلية وتحيط به الجبال التي يمكن استغلاها، كما أن قطز حدد الزمان،الذي أيضا كان فيه من العبقرية العسكرية ما يفيد بان المغول أصلا من أراضي شرق آسيا التي تتصف بالبرودة الشديدة، وأما أرض فلسطين فإنها ذات حرارة عالية في شهر أغسطس من كل عام[5]

كما أن قطز اختار العشر الأواخر من رمضان المبارك الذي يكون فيه المسلمين في أقصى درجات الإيمان [6] وربما كان قطز يقصد ذلك الموعد، فقد أراد لقاء التتار وهو الذي بادر وكان بإمكانه أن ينتظر إلى وقت آخر، لكن خروجه لشمال فلسطين يدلل أنه قصد أن يكون اللقاء في

---

[1] ابن دقماق، النفحة المسكية ،ص49. القرماني، أخبار الدول،م2،ص269-270.
[2] المقريزي، السلوك،ج1،ص516.
[3] المصدر نفسه،ج1،ص516.
[4] الذهبي، العبر،ج5،ص243.
[5] ابن كثير، البداية و النهاية،ج13،ص220.
[6] المصدر السابق،ج13،ص220-221.

العشر الأواخر ،بل وفي السابع والعشرين أي في ليلة القدر، وبذلك فقد وضع قطز الإستراتيجية العبقرية التي مكنت المسلمين من سحق المغول، لأول مرة بعد انتصاراتهم المتتالية.

مقدمات المعركة والفرق الاستطلاعية:

فبعد استيعاب الجيش المملوكي للقائد بيبرس أحسن استغلاله، فكلفه بالمهمة الصعبة التي تعتبر أهم ركيزة من الركائز التي ستعتمد عليها المعركة كلها، فمهمة بيبرس تتلخص في الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو وإمكاناته وتحديد واستكشاف أرض المعركة واستنزاف العدو من خلال المناوشات، التي من خلالها يمكن وضع تصور كامل للحالة العسكرية للعدو وللمكان في نفس الوقت فبعد عودة بيبرس إلى مصر أدرج بمقدمة الجيش المملوكي لتحسس أخبار العدو وناوشهم بالقتال في غزة وتمكن من الانتصار عليهم واسترداد غزة منهم[1] وظل يناوشهم حتى استدرجهم للمنطقة التي حددها القائد العام قطز وهي منطقة عين جالوت[2] ومن المهم هنا تسجيل نقطة هامة، هي الارتباك في صفوف الجيش المغولي حيث استطاع النظام العسكري المملوكي أن يستكشف الأرض وكان صاحب المبادرة، بعكس المغول الذين كانوا في غفلة من أمرهم حتى أنهم اعتقدوا أن الفرقة التي كان يقودها بيبرس هي الموجودة فقط، وأنها كل الجيش المملوكي في حين كان يتحرك قطز بين الأحراش ويخطط بباقي الجيش ليستدرج جيش المغول إلى أرض المعركة عين جالوت، وهذا ما لم يكن بحسبان الجيش المغولي[3]

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص101. المقريزي، السلوك ج1،ص515.
[2] اليونيني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص366.
[3] اليونيني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص366. ابن تغري بردين النجوم الزاهرة،ج7،ص101. انظر : عاشور، الظاهر بيبرس،ص32. العسلي، المظفر قطز،ص123-125. صالح، الطريق إلى القدس، ص147.فوزي،الوسيط،ص220.

أحداث المعركة:

بعد إعدام رسل المغول في مصر وإعلان النفير العام خرجت طلائع الجيش المملوكي بقيادة بيبرس إلى غزة، وتمكنت من تحريرها وطاردت الجيش المغولي حتى وصلوا إلى كاتبغا الذي لم يهتم كثيرا لتلك الهزيمة لثقته الزائدة بجيشه الذي لم يهزم من قبل، أما بالنسبة للمسلمين فقد كانت دفعة معنوية كبيرة، وفي الجانب الآخر كان قطز يعرف ما يريد لكنه آثر أن يتخذ قرار المواجهة من أفواه الأمراء لكي يكونوا أكثر حماساً، فعقد اجتماع لمجلس الحرب المكون من الأمراء وبعد المداولات أشار بعض الأمراء بعدم المواجهة لما للمغول من قوة يصعب صدها وأن مواجهتهم تعتبر انتحاراً عسكرياً[1] وتكلم قطز عن احتمالات المواجهة وعدم المواجهة وبين أن المواجهة لها احتمالان، إما النصر أو الهزيمة بشرف، وأن الفرار هو هزيمة بدون شرف فأيد رأيه بعض الأمراء وخالفه البعض وهنا اتخذ قرار الحرب والمواجهة وقال " وأنا القي التتار بنفسي"[2] وأعدت الخطة العسكرية الأولية التي اعتمدت على خروج الفرقة الخاصة بقيادة بيبرس للاستطلاع والمناوشة واستدراج الجيش المغولي إلى الأرض التي ستقع عليها المعركة الفاصلة، وتقدم قطز بباقي الجيش وكان جيش قطز يبلغ عشرة آلاف فارس وهم خليط من مصر والشام والأكراد وسائر العربان[3] و من نقاط ضعف المغول أنهم لا يجيدون قتال الرماح بالمطاعنة، وإنه لا حيلة لهم إلا النشاب، وأيضا التتار يقاتلون كردوساً واحداً ويضموا كل فرقهم ويحملون على جانب واحد من جيش المسلمين[4]

---

(1) السيوطي تاريخ الخلفاء،ج1،ص475.
(2) المقريزي، السلوك،ج1،ص515.
(3) العسقلاني الفضل المأثور،ص80.
(4) العسقلاني، الفضل المأثور،ص72.

ومن هنا فقد أرسل لهم قطز فرقة بيبرس التي كانت الطعم للجيش المغولي بأكمله فلحقوا بفرقة بيبرس معتقدين أنها الجيش المملوكي كله[1] وفي الجانب الآخر كان المغول مترددين ما إذا كانوا سيواجهون أم لا؟ حيث أن كاتبغا استشار الأمراء الأيوبيين المتعاونين مع المغول وهم بدورهم أشاروا عليه بعدم المواجهة حتى يرجع هولاكو فأبى إلا أن يواجه [2] وفي بداية المعركة انكسرت ميمنة المسلمين [3] لكن الجيش المسلم استطاع قتل كاتبغا نائب هولاكو وقائد الجيش المغولي في المعركة ورد الله المعتدين[4] وبعد المعركة ومطاردة فلول المغول أسر بعض قيادات المغول كما تم أسر العملاء والمتعاونين من المسلمين منهم الملك السعيد[5] صاحب الصبية وبانياس [6] ليلقى جزاءه [7]وبعد المعركة تم الإفراج عن أسرى المسلمين لدى المغول[7] وانتصر الإسلام حيث أن النصارى كانوا قد ألزموا المسلمين الوقوف للصليب في دمشق بعدما أخذها التتار[8] وكان لقطز داخل المعركة فضل كبير حين انكسرت ميمنة الجيش، وكاد الجيش كله ينسحب إلا أن قطز خلع خوذته وصرخ بأعلى صوته " وا إسلاماه " فسمع صرخته معظم جيشه فرجعوا وكانت النصرة[9] وأيضاً لبيبرس دور كبير سواء قبل المعركة أو بعدها حين تابع المغول إلى حمص وقتل وأسر منهم الكثير [10] وورد أن كاتبغا نائب هولاكو أسر في تلك المعركة ودارت بينه وبين قطز مناقشة حادة، وبعدها قام قطز بقتله[11] لكنه ومن

---

[1] اليونيني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص366.
[2] ابن كثير، البداية و النهاية، ج13،ص220-221.
[3] المقريزي، السلوك،ج1،ص516.
[4] القلقشندى، مآثر الإنافة،ج2،ص105.
[5] الملك السعيد: هو الملك السعيد حسن بن عبد العزيز ابن العادل أبي بكر بن أيوب . ابن كثير ، البداية والنهاية،ج13،ص225.
[6] بانياس: هي ثغر بلاد المسلمين وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر حررها نور الدين من الفرنج. ابن بطوطة،رحلة،ج1،ص209-210.
[7] اليويني، ذيل مرآة الزمان،م1،ص366.
[7] اليافعي،مرآة الجنان،ج4،ص162.
[8] المصدر نفسه،ج4،ص149.
[9] المقريزي،السلوك،ج1،ص516.
[10] اليويني،ذيل مرآة الزمانًم1،ص366.
[11] الخالدي،المغول ،ص118.

خلال البحث نخرج بحقيقة، هي أن كاتبغا قتل أثناء معركة عين جالوت وكان ذلـــك ســـبباً فـــي هزيمة المغول وتشتتهم وهروبهم من أرض المعركة، وأن من أسر هو ابن كاتبغا[1]

نتائج المعركة:

لقد كانت معركة عين جالوت إحدى أكبر المعارك الحاسمة في التاريخ الإســـلامي، تلـــك المعركة التي انتصر فيها المسلمون المماليك بقيادة قطز على التتار المغول بقيادة كاتبغا، كانـــت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمانية وخمسون للهجـــرة[2] الموافـــق السادس من سبتمبر لسنة ألف ومائتين وستون ميلادية على الرغم من تـــوفر عوامـــل النـــصر للمغول علمياً ومنطقياً، إذ تفوق المغول على الجيش الإسلامي[3] المملوكي في عناصر عدة :

*الكفاءة والخبرة الواسعة نتيجة الحروب الكثيرة التي خاضوها قيادة وجنداً .

* المعنويات العالية جدا لأنهم لم يهزموا من قبل.

*التفوق الكبير في العدة والعتاد والأعداد.

*الكفاءة العالية لسلاح الفرسان الذي تميز بكثرته وسرعة حركته وقدرته على تطبيـــق حـــرب الصاعقة والتي كانت إحدى السمات البارزة عند المغول.

*التفوق الإداري للجيش المغولي حيث يمتلك قواعد قريبة وطرق إمداداته أقصر.

بيد أن المغول افتقروا في تلك المعركة إلى الكشافة وعناصر الاستطلاع، كما أن شعور الـــسكان كان مناوئاً لهم فهم احتلال غريب، فقد خدعوا في معرفـــة الموقـــف الـــصحيح مـــن الناحيـــة الطبوغرافية ومن الناحية الديمغرافية أيضا، ولم يستطع المغول تحديد وقياس قوة وعدد الجـــيش المملوكي، في حين كان قطز يضع مخططه بإحكام للإيقاع بجيش المغول بكامله، وبـــذلك فـــإن

---

[1] اليونيني، ذيل مرآة الزمان،م1،ص366.

[2] ابن العماد ، شذرات الذهب،ج3،ص291.

[3] صالح، الطريق إلى القدس،ص147.

معركة عين جالوت تعتبر من الناحية العسكرية نموذجاً لكمين كبير يقوم به جيش ضـــد جـــيش آخر[1] وبذلك استطاع المماليك الانتصار على المغول الذين ولوا الأدبار وبعد تلك المعركة لـــم تقم قائمة للمغول بعد أن ملكوا معظم المعمورة من الأرض، وقهـــروا الملـــوك وقتلـــوا العبـــاد وخرّبوا البلاد، وبعد أفعالهم الشنيعة تمكن قطز بعد الانتصار من دخول دمشق بعـــد أن هـــرب المغول منها، وفي تلك اللحظات فرح المسلمون وانتقموا من النصارى الـــذين ســـاندوا المغـــول وتمردوا على المسلمين[2] وبعد أن اطمئن قطز للأوضاع الميدانية وتطهير البلاد مـــن المغـــول عزم على العودة إلى مصر للمشاركة في الاحتفالات بالنصر العظيم في عين جالوت حيـــث إن القاهرة تهيأت لاستقبال الملك المظفر قطز وجيشه المملوكي صاحب الانجـــاز التـــاريخي الهـــام ولكن بيبرس وبعض الأمراء اغتالوا قطز وهم بطريقهم للعودة إلى مصر[3] وبموت المظفر قطز تولى بيبرس السلطنة وكان من نتائج تولي بيبرس إحياء الخلافة العباســـية بالقـــاهرة[4] وعلـــى الرغم من أن مقتل قطز وضع احتمالات الانقسام في صفوف الجيش المملوكي لأن قطز صاحب الفضل في انتصار عين جالوت، إلا أن ذلك لم يحدث وبقيت الأمور على عكس التوقعات وكـــان بيبرس ذا قدرة عالية على ضبط الأمور وتقوية الدولة داخلياً وخارجياً، فقد استطاع بيبرس تقوية الجيش المملوكي، الذي استطاع أن يبني تحالفات غير اعتيادية مع أمراء مـــن المغـــول، حيـــث تحالف مع بركة[5] ضد هولاكو[6] وكان بركة خان قد أسلم وتحالف مع بيبرس لمقاتلة هولاكو[7] وكان في كتابه لبيبرس قد أكد على محاربة هولاكو[8]

---

(1) العسلي، المظفر قطز،ص123-125.

(2) اليونيني،ذيل مرآة الزمان،م1،ص362. ابن العماد ،شذرات الذهب،ج3،ص291.

(3) المنصوري، التحفة الملوكية،ص45. ابن العماد، شذرات الذهب،ج3،ص291.

(4) السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص47.

(5) بركة: هو ابن باطخوان كان إسلامه سنة 662هـ أرسل كتاباً إلى بيبرس مخبراً بإسلامه. انظر: المنصوري، التحفة الملوكية،ص52.

(6) المقريزي، السلوك،ج1،ص560.

(7) المصدر نفسه،ج1،ص539.

(8) المنصوري،التحفة الملوكية،ص52.ابن كثير،البداية والنهاية،ج13،ص242.

وحتى كيخيتو ابن هولاكو[1] كان له ميل نحو المسلمين[2] وكان لبيبرس مواقــف إســتراتجية، حيث أنه استطاع كسب ود هؤلاء الذين أسلموا فقد أرسل لهم الهدايا وأكرم رسلهم وشجعهم على جهاد الكفار في الشرق[3] وكان إسلام قادة المغول مثل بركة خان كيخيتو وأغا تكدار[4] لــه دور كبير في إسلام العامة من المغول طوعاً أو كرهاً[5] وقد عمل قادة المغول على نشر الإسلام بين صفوف رعيتهم، وقد حملت دعواتهم الكثير من المفاهيم الإسلامية التــي تحــث علــى العــدل والمساواة وضرورة القضاء على الظالمين والمفسدين[6] وقد كان إســلام المغــول أمــرا غيــر مستغربا في ظل عدم وجود دين سماوي بينهم، حيث إن من كان منهم على النــصرانية مكــروا للأمراء المغول الذين أسلموا حتى أنهم اغتالوا أحمد بن هولاكو لأنه أسلم[7] أما عامة المغول فقد كانوا بلا دين مما ساعد على اقتناعهم بالإسلام.

كما أن من نتائج معركة عين جالوت وتأثيراتها الانهيار المعنوي، ومن ثم الــواقعي للوجــود الصليبي في الشام وسواحله، حيث استطاع النظام العسكري المملوكي ابتداءً من بيبرس وحتــى الأشرف خليل بن قلاوون أن يحرروا كافة المدن الإسلامية من الصليبيين، ففي عهــد بيبــرس استطاع أن يحرر معظم المدن الساحلية[8] واستمرت الفتوحات في عهد قلاوون الذي حرر ما لم يستطع تحريره صلاح الدين الأيوبي نفسه[9] إلى أن جاء التحرير الكامــل وانقطــاع الإفــرنج وزوال ملكهم حيث طرد آخر صليبي من عكا على يد الأشرف خليل بن قلاوون[10]

---

(1) كيخيتو: لم يعثر على تعريف بهذه الشخصية ويعتقد انه احمد وقد غير اسمه بعد إسلامه حسبما ورد سابقا.

(2) الصفدي، أعيان العصر،ص1864.الذهبي،تاريخ الإسلام،ص191.

(3) المنصوري، التحفة الملوكية،ص71.

(4) اغا تكدار: تسمى بأحمد وهو ابن هولاكو حفيد جنكيز خان وقام بتغيير الياسة وراسل المسلمين حتى يصالحهم. ابن الفرات،ج8،ص3-4

(5) ابن الفرات،ج8،ص3-4.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام،ص75-76. المنصوري، التحفة الملوكية،ص36. الذهبي،الأمصار ذوات الآثار،ص40.

(7) ابن الفرات،ج8،ص3-4.

(8) المنصوري، التحفة الملوكية،ص61-62. ابن دقماق، النفحة المسكية، ص67. القرماني، أخبار الدول،م2،ص270.ابن الوكيل، تحفة الأحباب،ص61. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4،ص155.

(9) ابن الفرات،ج8،ص17-18.

(10) العليمي،الأنس الجليل،ج3،ص393.

مطاردة فلول المغول:

صد هجمات مغولية عبر العصر المملوكي:

بعد معركة عين جالوت تفرق المغول في بعض المدن الشامية ، فكان بيبرس لهم بالمرصاد حيث لحق بهم في كل مكان ، فتوجه إلى حلب و طهّرها منهم ، وكان قطز قد وعده بها ولما لم يف بوعده بها أضمر له الشر[1] فالتتار الذين نجوا من عين جالوت والذين كانوا بالجزيرة تجمعوا وأغاروا على حلب ثم توجهوا إلى حمص لمّا بلغهم مصرع الملك المظفر قطز فصادفوا على حمص ألف وأربعمائة من الجيش المملوكي وكان التتار ستة آلاف فالتقوهم وحمل المسلمون حملة صادقة فكان النصر حليف المسلمين ووضعوا السيف في الكفار قتلاً حتى أبادوا أكثرهم وهرب مقدمهم بأسوأ حال ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد[2] ويبدو أن التتار اعتقدوا أنه بمقتل قطز دبت الفتنة بين المسلمين، لكن الواقع أن هزيمة عين جالوت كان لها الأثر البالغ في رفع الروح المعنوية لدى المسلمين وانكسارها لدى التتار، ومما لا شك فيه أن إسلام بعض قادة المغول كما تم ذكره كان له أثر بالغ في ضعف المغول بشكل عام، حيث بقيت الهجمات المغولية مستمرة لكنها كانت تبوء بالفشل وتنهزم أمام المسلمين ففي عهد الملك المنصور قلاوون تقدم التتار سنة 680هـ/1281م لحرب المسلمين في حمص واستطاع قلاوون قتل معظم رجال المغول وشرد الباقين ولم يتقدم على التتار هزيمة أشد من هذه[3] وقد كان هناك بعض الهزائم للمسلمين المماليك وخاصة أمام هجمة تيمورلنك[4] حيث بعدما سمع

---

(1) ابن العماد، شذرات الذهب،ج3،ص291. الذهبي،الأمصار ذوات الآثار،ص39.

(2) ابن العماد،شذرات الذهب،ج3،ص296.

(3) الذهبي ، الأمصار ذوات الآثار،ص40.

(4) تيمورلنك:حكم سمرقند وما والاها وبلاد الدشت وكان ذا دهاء ومكر وهو من ذرية جنجز خان . ابن تغري، النجوم الزاهرة،ج11،ص209. وكان تيمورلنك يعمل لدى السلطان حسين الذي أحبه وانعم عليه حتى صار من جملة الأمراء وتزوج بأخت السلطان حسين ولما عايرته في إحدى مشاكلهم قتلها وهرب وكون جيشاً واستولى على بلاد ما وراء النهر. ابن تغري، النجوم،ج12،ص256.

المسلمون أن أسيرين من المسلمين شواهم التتار كالغنم، والثالث أطلقوا سراحه ليتحدث بما شاهد فذعر المنصور وهرب هو وجيشه إلى مصر من دمشق،فواجه أهل دمــشق لوحــدهم الجــيش التتري ولم يستطيعوا دخول دمشق إلا بالحيلة، حيث أن تيمورلنك أرسل لعلماء المــسلمين فــي دمشق أنه يحترم الإسلام وأنها أرض الأنبياء فخــدعوا وســلموا لــه دمــشق[1] وفــي ســنة 702هــ/1303م عاد التتار إلى الشام وفرّ الناس والتقى الجيش المملوكي بقيــادة الناصــر فــي شقحب[2] واستبسل المسلمون وصبروا حتى انتصروا وانهزم المغول، لكنهم سرعان ما وجهــوا حملة كبيرة بقيادة غازان[3] فالتقوا مع الناصر وأوقع بهم الهزيمة وقتل منهم مقتلــة عظيمــة لا تدخل تحت الحصر، والتتار الفارين أهلكهم الجوع والغرق ومات قائدهم غازان كمداً علــى مــا حل بجنده[4] وفي سنة 699هــ / 1300م انهزم الجيش المملوكي في عهد الــسلطان الناصــر محمد في حكمه الثاني ووقعت المعركة بالقرب من دمشق على يد المغول بقيادة قــازان، ولمــا رجع الناصر منهزماً أعاد ترتيب صفوفه وعاودا الكرة وهزم المغول وعاد منتصراً[5] وقد كانت هزيمة المماليك مدوية وكانت كسرتهم خلال هروبهم أكثر وأعظم أثرا من كسرتهم من التتــار، حيث كان العربان يتخطفونهم ويسرقونهم أثناء عودتهم إلى مصر[6] ففي عهد الملــك الناصــر وقعت حروب كثيرة مع المغول وكانت النصرة للملك الناصر محمد عليهم خلال فترات حكمه

---

[1] القرماني،أخبار الدول،م2،ص300.

[2] شقحب: لم يعثر على تعريف لها.لكنها إحدى المدن الشامية القريبة من حلب وكان بها قلعة ووقعت بها معركة بين التتار والمسلمين وانتصر فيها المسلمين.ابن العماد،شذرات الذهب،ج6،ص135.ابن خلدون،العبر،ج5،ص565.ابن كثير،ج14،ص23. وقد ورد أن معركة شقحب كان قادتها من العلماء وفي مقدمتهم الشيخ ابن تيمية.

[3] غازان: احد قادة المغول كان مسلماً على المذهب السني وجاء بعده أخوه خربندة الذي ترفض بعدما ان كان سنياً. انظر الذهبي، الأمصار ذوات الآثار،ص41.

[4] الذهبي، الأمصار ذوات الآثار،ص41.

[5] القرماني، أخبار الدول، م2،ص280.

[6] المنصوري،مختار الأخبار،ص111-112.

الثلاث[1] وفي سنة 798هـ/1395م ظهر تيمورلنك الذي وحد التتار وخرب ديار المسلمين حتى وصل البلاد الشامية، لكنه سرعان ما عاد خوفاً من الملك الظاهر سيف الدين برقوق الذي رابط بجنده عند حلب، وبعد موت برقوق زحف تيمورلنك مرة أخرى وتقابل مع المسلمين الذين فروا من أمامه وقتل منهم الكثير سنة 803هـ/1400م، ثم التقى مع جيش المماليك بقيادة فرج بن برقوق[2] الذي تحصن في جيشه بدمشق، ورجع هو إلى مصر لأنه سمع أن أميراً استولى على ملكه، ولحصانة دمشق لم يستطع المغول النيل منها لكن تيمورلنك ادعى الإسلام وعرض الصلح على أهل دمشق ثم قتل أهلها[3]

[1] كانت فترة حكمه ثلاث وأربعون سنة ونصف على ثلاث فترات، المرة الأولى سنة وثلاث شهور والثانية عشر سنوات والثالثة اثنان وثلاثون سنة. أنظر: ابن الوكيل، تحفة الأحباب،ص63.

[2] فرج بن برقوق: هو ثاني ملوك الجراكسة تولى بعد وفاة أبيه يوم الجمعة منتصف شوال سنة 801هـ. المكي، سمط النجوم العوالي،ج4،ص42.

[3] الذهبي، الأمصار ذوات الآثار،ص43-45.

فيما يتعلق بالصليبيين: (**الحرب في عهد بيبرس**):

لقد كان العداء بين المسلمين والصليبيين منذ بداية حملاتهم العسكرية على بلاد المسلمين سنة 492هـ/1096م وقد تصدى لهم المسلمون السلاجقة[1] في بداية الأمر ثم تصدت لهم الدولة الزنكية التي نشأ في كيانها البيت الأيوبي، حيث استطاع صلاح الدين الأيوبي تأسيس دولته في مصر بعد أن تصدى للصليبيين فيها، ومن ثم استطاع صلاح الدين تحقيق الانتصار الكبير في معركة حطين سنة 583هـ /1187م، وحرر الكثير من البلدان وعلى رأسها بيت المقدس من أيدي الصليبيين وظل الصراع محتدماً بين نصر وهزيمة خلال العصر الأيوبي إلى أن جاءت الحملة الصليبية السابعة، وقد تم الحديث عنها، وهي التي تصدى لها الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر السلاطين الأيوبيين الأقوياء في مصر على يد مماليكه وعلى رأسهم الظاهر بيبرس، الذي كان له الدور الكبير في معركة المنصورة كما تم ذكره سابقا، ومن هنا ظل بيبرس يدرك نوايا الصليبيين وأطماعهم في بلاد المسلمين ولذلك ظل هدفه غير المعلن القضاء التام على الوجود الصليبي، لكن انشغاله في بداية الأمر بالخطر المغولي جعله يرجئ حربه ضدهم للوقت المناسب، ولابد قبل الخوض في فتوحات بيبرس ودوره في محاربة الصليبيين أن نتعرف عليه فهو تركي الجنس حكم سنة 658هـ/1260م، ومدة حكمه ثمان عشرة سنة وشهرين وكان بالأصل مملوكاً للأمير علاء الدين ايديكين البندقداري الصالحي[2] وحينما قام الصالح نجم الدين أيوب بالقبض على علاء الدين أخذ مماليكه وكان من ضمنهم الظاهر بيبرس[3]

---

[1] السلاجقة: مؤسسهم هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك وهو أول ملوكهم كان مصلياً يصوم الاثنين والخميس ملك أيام الأمير مسعود بن محمود عامة خراسان وقد استدعاه الخليفة إلى بغداد للتخلص من البويهيين. ابن كثير، البداية والنهاية،ج12،ص90.

[2] علاء الدين: هو احد مماليك الصالح نجم الدين أيوب اشترى بيبرس حين كان سجيناً ولقبه البندقداري نسبة الى البندق وهي كرات صغيرة تستخدم في صيد الطيور وتصنع من الحجارة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7،ص940.

[3] النعيمي،الدارس،ج1،ص264.

فهو أحد مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وهو الذي قام باغتيال تورانشاه ابن الــصالح نجم الدين أيوب، حين أراد استئصال شأفة المماليك، وكان ذا دهاء وحيلة وعزيمة وحزم وكــان عادلاً[1] وكان بيبرس خليقاً بالملك، له أيام بيضاء في الجهاد وفتح كثيراً من البلاد وهو الرابــع من ملوك الترك[2] وكان شجاعاً مقداماً كثير التنكــر وهــو الــذي خــرج علــى رأس الفرقــة الاستطلاعية قبيل عين جالوت وأخرج المغول من غزة[3]وقيل في كثرة تخفيه وعلو همته شعراً:

بينما تراه في الحجاز إذا به ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ في الشام للحج الشريف يقدس

وتراه في حلب يدبر أمرها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتراه في مصر يذب ويحرس

وتراه في حج عليه عباءة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتراه في غزو عليه الأطلس[4]

وكانت وفاته في دمشق في الثامن عشر من محرم سنة676هــ/1277م وعمره سبع وخمــسون عاماً ودفن في دمشق، كان له ثلاث أولاد وسبع بنات[5] وورد أن بيبرس أراد اغتيال بعض بني أيوب، فأمر خادمه بوضع السم في الكأس لهم، فغفل الساقي ثم ملأ تلك الكأس وقد بقي فيها أثــر السم وناولها للسلطان بيبرس فشربه من غير علم منه ولا من ساقيه، فكان فيه منيته و مــرض لذلك أياماً قلائل يشكوا انطلاق النار في جوفه إلى أن مات[6] وقد حرص بيبــرس علــى فــتح جبهتين في نفس الوقت، الأولى ضد التتار والثانية ضد الصليبيين، حيث لم يرى في زمانه ملكــاً في عزمه وهمته وسعادته في تحرير حصون الفرنج من ساحل فلسطين إلى حدود بلاد الروم[7] وكان الصليبيون قد استولوا على معظم المدن الساحلية التي حررها صلاح الدين من قبل

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص94. القرماني، أخبار الدول،م2،ص272. المنصوري، مختار الأخبار،ص12.
(2) ابن تغري بردين النجوم الزاهرة، ج7،ص86. السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص105.
(3) المقريزي، السلوك،ج1،ص515-520. أبي شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين،ص210. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج1،ص155.
(4) المنصوري، التحفة الملوكية،ص67.
(5) القرماني،أخبار الدول،م2،ص272. المنصوري، مختار الأخبار،ص12.
(6) العسقلاني، الفضل المأثور،ص36. المنصوري، التحفة الملوكية،ص86.
(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج4،ص155.

فاستطاع بيبرس استعادتها وحرر البيرة[1] والكرك[2] وحمص وقيسارية وأرسوف وصفد ويافا والشقيف[3] وأنطاكيه وحصن الأكراد[4] وعكا وقلاعاً من بلاد سيس[5] ففي سنة 663هـ/1265م سار الظاهر بيبرس إلى الساحل ونزل قيسارية وحررها وقد كانت حصينة لكن بيبرس استخدم كل الوسائل وكل أنواع الأسلحة[6] ثم توجه إلى أرسوف واستعادها في سنة 664هـ/1266م واستعاد صفد ثم استعاد يافا واتفق مع الصليبيين على تقاسم صيدا[7] كما استطاع سنة 666هـ/1268م فتح أنطاكية وهي من أهم المدن الصليبية[8] كما أنه تمكن من استعاد عكا وأدنة[9] والمصيصة[10] وغيرها[11] كما حرر صور[12]

---

[1] البيرة: بلد من ثغور الروم بقرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة .الحموي،معجم البلدان،ج1،ص526.
[2] الكرك: هو من أعجب الحصون وامنعها وأشهرها ويسمى حصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه من الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك ويهذا الحصن يتحن الملوك واليه يلجأون. رحلة ابن بطوطة،ج1،ص129.
[3] الشقيف: شقيف أرنون وهي قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من ارض دمشق.الحموي،معجم البلدان،ج3،ص356.
[4] حصن الأكراد: يبعد عن مدينة حمص أميال يسيرة وهو كاشف لحمص ويطولها بالرمي والنيران. رحلة ابن جبير،ج1،ص182.
[5] القلقشندى، مآثر الانافة،ج2،ص106-107. القرماني، أخبار الدوال،م2،ص270. ابن الوكيل،تحفة الأحباب،ص61. ابن العماد، شذرات الذهب،ج3،ص312. بلاد سيس هي أعظم مدن الثغور الشامية.الحموي،معجم البلدان،ج3،ص297-298.
[6] المنصوري، التحفة الملوكية،ص53.
[7] المنصوري،مختار الأخبار،ص29-31. ابن العماد، شذرات الذهب،ج3،ص321.
[8] المقريزي، السلوك،ج1،ص537. المنصوري، مختار الأخبار،ص36.
[9] أدنة: تبعد عن طرسوس يوم واحد وفيها جسر بناه الوليد بن يزيد بن عبد الملك.الحموي،معجم البلدان،ج2،ص79.
[10] المصيصة:تبعد عن الاسكندرونة أربعون ميلاً واسمها بالرومية مامسترا وهي مدينتان على نهر جيحان وبينهما قنطرة من حجارة وفيها بساتين وزروع متصلة وبينها وبين البحر 12 ميل. الإدريسي، نزهة المشتاق،ج2،ص646.
[11] ابن دقماق، النفحة المسكية،ص67.
[12] المنصوري،التحفة الملوكية،ص61-62.

الحرب في عهد أسرة قلاوون:

" لقد أجمع الناس قاطبة ممن عاصروا المنصور قلاوون أنه لم يرد البلاد في جلبات التجار أحسن منه ولا أكمل منه ولا أبهى ولا أجمل ولا أتم خلقة ولا خلقاً ولا أصوب صمتاً ولا نطقاً ولهذا ازدحمت عليه عند وصوله وهو ابن أربعة عشر سنة أرباب الرغبات وبذلت فيه الألوف من الذهب فكان الألفي عامة والألفي قيمة وأنه لأعلى وأغلى والبدري صورة والبدري سعراً وأن محله لأعلى، كان عظيم الوجه والجهة مزهر اللون غليظ المنكبين تام القامة مهاب الشخص لا يرى المتتبع في تمام خلق الله فيه من نقص" هكذا وصفه مؤرخ عصره [1] وإن كان في ذلك الكلام مبالغة، لكنه إنما يعبر عن مدى ما اتصف به المنصور قلاوون الذي سينعكس على أدائه حينما يصبح سلطاناً للدولة المملوكية، والسلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي النجمي تولى السلطنة في اثني عشر من رجب لعام 678هـ/1279م، وكان مدة حكمه أحد عشر سنة وثلاث شهور[2] وله فتوحات مشهورة نصر بها الإسلام[3] ومن أشهر فتوحاته طرابلس التي استعصت عليه حتى استطاع فتحها[4] كما استطاع فتح المرقب[5] وجبلة[6] واللاذقية[7] سنة 688هـ/1289م [8] وحصن المرقب هذا الذي لم يستطع صلاح الدين فتحه ولا الظاهر بيبرس وكان هذا الحصن لا يصل إليه النشاب ولا حجارة المنجنيق، وكان فيه من الضرر على المسلمين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، استطاع الملك المنصور قلاوون فتحه بعد

---

(1) العسقلاني، الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور،ص25.
(2) القرماني، أخبار الدول،م2،ص274.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص271.
(4) العسقلاني، الفضل المأثور،ص149.
(5) المرقب:هو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وبناءه على جبل شامخ وخارجه ربض ينزله الغرباء ولا يدخلون قلعته وافتتحه من يد الروم الملك المنصور قلاوون وعليه ولد الناصر ابن المنصور قلاوون. رحلة ابن بطوطة،ج1،ص99.
(6) جبلة: هي ذات انهار مطردة وأشجار وتبعد عن البحر نحو ميل واحد وبها قبر الإمام إبراهيم ابن ادهم وبها نخل وزرع وفواكه. رحلة ابن بطوطةج1،ص95.
(7) اللاذقية: هي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي ذكر في القران انه يأخذ كل سفينة غصباً. رحلة ابن بطوطة،ج1،ص98. وهي مدينة عامرة آهلة كثيرة الخصب والخيرات ولها ميناء. الإدريسي، نزهة المشتاق،ج2،ص645.
(8) ابن دقماق ن النفحة المسكية نص86.

محاصرته ثمان وثلاثون يوما وكان ذلك سنة 684هـ/1285م[1] وقد توفي المنصور قلاوون في ست من ذي القعدة 689هـ/1290م ودفن بالمنصورة[2] كما كان لابن الملك المنصور قلاوون الناصر محمد الذي كان مهيباً شجاعاً فتوحات جليلة، فقد كان حريصاً على شراء المماليك لتقوية الجيش والخيول الأصيلة، حتى أنه اشترى خيلاً بمائتي ألف درهم دفعة واحدة واشترى المملوك الواحد بمائة ألف درهم حتى يقوي جيشه[3] وقد اشتهر من أبناء قلاوون الأشرف خليل الذي كان له الشرف في القضاء على آخر معاقل الصليبيين في الشام حيث حاصر عكا واشتد القتال وقام جيشه المملوكي بردم الثغر والخنادق، حتى صارت طريقاً يسلكها الراجل والفارس حتى انتصر المسلمون وغنموا وأسروا وسبوا الحلائل وكان عدد الأسرى ثلاثة آلاف والقتلى لا يحصوا، وبعد تحرير عكا تمكن من تحرير صور وعتليت وصيدا وبيروت وحيفا[4] وقيل في ذلك أنه تم انقطاع الإفرنج وزوال دولتهم من بلاد الإسلام[5] وكان المنصور قلاوون هو الذي أوصى ابنه الأشرف خليل بفتح عكا[6] كما استمر الجهاد متواصلاً في عهد الناصر حسن سنة 761هـ /1359م، حيث استعاد سيس وأذنة بالأمان وطرسوس[7] عنوة وحرر المصيصة وقلاعاً أخرى[8] ومن بعده استمر الأشرف شعبان[9] بالجهاد حيث أخذ الفرنج

---

[1] ابن الفرات، ج8،ص17-18.
[2] القرماني،أخبار الدول،م2،ص274.
[3] المقريزي، السلوك،ج3،ص322. القلقشندى، مآثر الانافة،ج2،ص146. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج7،ص269.
[4] المنصوري، مختار الأخبار،ص92.ابن دقماق، النفحة المسكية،ص91.
[5] العليمي، الأنس الجليلنج3،ص393.
[6] العسقلاني، الفضل المأثور،ص149.
[7] طرسوس: مدينة كبيرة بها سوران من حجارة وهي كثيرة المتاجر والعمارة والخصب الزائد بينها وبين الروم جبال متشعبة وتبعد عن البحر 12 ميل وبها حصن. الإدريسي، نزهة المشتاق،ج2،ص647.
[8] القرماني، اخبرا الدول،م2،ص287.
[9] الأشرف شعبان: بويع يوم الثلاثاء خامس عشر من شعبان سنة 764هـ بعد الملك المنصور المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان عمره 20 سنة. ابن كثير، البداية والنهايةنج14،ص302.

الإسكندرية 767هـ/1365م وأسروا العديد من المسلمين، فخرج لهم السلطان برقوق فهزم الفرنج وقام السلطان بتجديد سور الإسكندرية وما تهدم منه سنة 775هـ/1393م[1]

ومما سبق يتضح مدى حرص السلاطين المماليك على تطهير الأراضي الإسلامية من الصليبيين إضافة إلى حرصهم على صد الغزو المغولي من أجل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للأرض والإنسان ، ومن هنا يمكننا أن نخرج بدلالات واضحة حول النظام العسكري الذي اعتمده المماليك في حربهم وجهادهم ضد أعدائهم من خلال اعتمادهم إستراتيجية الردع والحرب الاستباقية، وهي تعد من أحدث النظريات العسكرية في الوقت الحالي .

[1] القرماني، أخبار الدول،م2،ص289.

الخاتمة ..

بتوفيق من الله عز وجل انتهت هذه الدراسة عن النظام العسكري المملوكي، بدءاً بنشأة المماليك وأصلهم، إلى التطبيقات الحربية لنظامهم العسكري، حيث أن هذا النظام كان بمثابة جبهة الإنقاذ للعالم الإسلامي بعد أن سقطت عاصمة الخلافة بغداد على يد هولاكو، كما استطاع هذا النظام إنهاء الوجود الصليبي تماما من خلال طرد آخر صليبي من عكا على يد الأشرف خليل بن قلاوون، وعلي أية حال فإن النظام العسكري المملوكي استطاع أن يحافظ على الحضارة الإسلامية، ولم يكن نظاماً عسكرياً فقط، بل تعدى ذلك بأنه كان نظاماً دينياً حضارياً اجتماعياً اقتصادياً وهذا ما مكن دولة المماليك من البقاء فترة طويلة من الزمن وقد ظهر خلال هذا النظام عدد من القيادات التاريخية المحسوبة على التاريخ الإسلامي أمثال سيف الدين قطز والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون الذين كانوا استمراراً للقادة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، على أن هناك نتائج وصل إليها الباحث من خلال هذا البحث أهمها:

1- أن الجيش المملوكي تميز بكفاءة قتالية عالية بسبب تمرسهم وتدريبهم على القتال والعسكرية منذ نعومة أظافرهم وقد ارتبط التدريب العسكري بالنشأة الدينية الإسلامية بصورة كبيرة.

2- ظهر بشكل واضح انحياز السلاطين المماليك لأبناء جنسهم بشكل عنصري فقد انعموا عليهم بالغالي والنفيس واعتبروهم الطبقة الأولى في المجتمع فكان ذلك سبباً في أبعاد العرب وأهل البلاد الأصليين عن مركز القرار السياسي والعسكري وهذا ما ظهرت إرهاصاته في الوطن العربي على الخصوص بعد ذلك وحتى يومنا هذا.

3- لوحظ اعتناء المماليك بالملبس والتزين والأبهة حتى وقت الحروب ويبدو ذلك نتيجة لشعورهم بأن ذلك عوضاً عما كانوا فيه من عبودية في نشأتهم.

4- ارتبطت قوة النظام العسكري المملوكي بقوة السلطان نفسه خلال العصر المملوكي.

5- على مر العصر المملوكي حكم السلاطين الأقوياء من خلال الانقلابات العسكرية واغتيال السلاطين ولم يكن حكماً وراثياً مستقراً ويبدو ذلك لأسباب منطقية وهي انه لا يوجد من هو أحق من الآخر بالملك فكلهم تم شراءهم من أسواق النخاسة وبالتالي فكل منهم يعتبر نفسه أحق بالملك إذا كان الأقوى.كما لوحظ من خلال فترة الحكم المملوكي ومعاركهم أن النصر مرتبط بدرجة كبيرة بجانبين الأول مرافقة الوازع الديني للجندي ووجود قائد قادر على إدارة المعركة.وارتبط التطور للنظام العسكري المملوكي بوجود الحروب فهي الدافع للتطور وفي حال الهدوء كان النظام العسكري يركن ويضعف.وكانت بداية القوة للنظام العسكري المملوكي كانت في عهد قطز وزادت القوة في عهد بيبرس ووصلت الذروة في عهد قلاوون وأبناءه وبدأت بالانحدار في عصر المماليك الجراكسة.وأن ظروف نشأة المماليك كان لها دور كبير في شدة بأسهم وخشونتهم.

6- يسجل للمماليك تقنيات عسكرية فريدة من نوعها ومتطورة لم يستطع العرب حتى الآن اخذ العبر منها مثل إعداد الجندي المحارب حيث أن المماليك اهتموا بخلق الجندي منذ طفولته وتعلميه وتدريبه وتثقيفه وهذا ما لم يلاحظ في العصر الحديث عند بعض المسلمين.

7- استخدم المماليك استراتجيات متعددة في الحروب لم تستخدمها الجيوش الأخرى حيث كان لدى النظام العسكري المملوكي مهارات قتالية متنوعة سواء من التراث الإسلامي الذي سبقهم أو التراث المغولي الذي عاصروه من خلال مناطقهم الأصلية أو ما أخذوه عن الصليبيين وهذا ما كان له دور كبير في تحقيق الانتصارات على الجانبين المغولي والصليبي.

8- كان لقيادة النظام العسكري المملوكي دور كبير في تقسيم الجيش وترتيبه وإعداده مهنياً ودينياً وإيجاد فرق متعددة المهمات مثل الفرق الاستكشافية والعيون والفرق الموسيقية واهتموا بتصنيف الجيش وعدم العبث بالفرق المختلفة وتحمل أعباء التكاليف من اجل إبقاء الفرق ذات المهمات المحددة من خلال تخصيص ميزانيات وأماكن خاصة للفرق المتعددة.

9- إن العرب كان لهم دور كبير في معارك النظام العسكري المملوكي مـن خـلال المتطـوعين ولكن السلطة المملوكية حرمتهم من حقوقهم وامتيازاتهم، بيد أن العرب واصلوا تقـديم العمـل العسكري التطوعي لفهمهم أن الجهاد واجب حتى ولم يجني العرب ثمار ذلك الجهاد.

10- عرف النظام العسكري المملوكي قيمة الأسطول البحري فمعـاركهم مـع الـصليبيين بحريـة بالأساس ولذلك قاموا بإنشاء أسطول بحري ضخم أدى المهام المنوطة به.

11- كان للنظام العسكري المملوكي اهتمام مميز بالبريد ومحطاته عبر منـاطق النفـوذ لإدراكهـم بقيمة البريد ووصول الأخبار أولا بأول.

12- كان تعامل المماليك في الحروب والمعاهدات مبنياً على الشرع الإسلامي ولم يتجـاوزوه بـاي حال من الأحوال وظهر ذلك جليا في معاملتهم لأسراهم من المغول والصليبيين.

13- أن من أسباب دخول التتار في الإسلام هو انهيار النفس داخل الإنـسان التتـري أمـام أبنـاء جنسهم من المماليك فكانوا قدوة للتتار فذابت شخصية التتار وهويتهم أمـام الإسـلام بعكـس الصليبيين الذين كان لديهم هوية وخصوصية لم يستطع المسلمين التأثير فيها .

14- أن من أسباب ضعف المماليك انتشار المحسوبية والتمييـز العنـصري الـذي اتبعتـه الإدارة المملوكية في كثير من الأحيان ضد العرب.

15- أتقن النظام العسكري المملوكي لعبة المفاوضات بين الفينة والأخرى مع أعداءهم واسـتطاعوا إبرام الكثير من المعاهدات التي كان من شانها مصلحة المسلمين والتي كان لها دور كبير فـي توالي الانتصارات وتحاشي الهزائم في الأوقات غير المناسبة للنظام العسكري المملوكي.

لقد استطاع النظام العسكري المملوكي التوفيق بين المؤسسة العسكرية وأمراء الحـرب مـن جهـة والمؤسسة الدينية المتمثلة بالعلماء من جهة أخرى واستطاعوا توظيف المؤسسة الدينية.

وان الباحث في هذا الموضوع يخرج بعدة حقائق منها:

- أن الحرب على المغول والصليبيين كانت حربا إسلامية ولم تكن قومية أو إقليمية.

- أن الجهاد والمقاومة هما السبيل الوحيد لتحرير فلسطين وأن السلام لا يسمن ولا يغني من جوع وما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.
- أن القيادات والسلاطين الذين حرروا البلاد والعباد كانوا من المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ولم يكونوا زعماء بلا هوية دينية وأن لكل فرد في المجتمع سواء من العامة أو العلماء أو المثقفين دور في صياغة مشروع التحرر.وإن تحرير أي أرض إسلامية لا يمكن أ ن يتم بمعزل عن الأمة الإسلامية ،ويحتاج إلى وقت طويل وإمكانات متنوعة وكافية.كما انه يجب بث الوعي في الشعوب بعدم الرضوخ أو التنازل مهما كانت الظروف ومهما كانت قوة الأعداء،ويلاحظ أن من يحتل فلسطين من الأعداء على مر العصور ليسوا دولة واحدة وإنما تحالف لقوى الشر ويكون عنوانهم المشترك حربا مقدسة على الإسلام.
- ضرورة تربية الأبناء على حب الجهاد منذ صغرهم والقيام بإجراءات عملية لتدريبهم وليس مجرد ثقافة كلامية،ووجوب استمرار المقاومة والجهاد وبث روح الجهاد في نفوس الشعوب وعدم الركون إلى أي سلام وضرورة دعم الحركات المقاتلة لكي تبقى الشعلة وان لم ينشغل المقاومون بأعدائهم انشغلوا بأنفسهم.وفي النهاية يمكن أن يوصي الباحث بضرورة البحث في مجال علم الاجتماع للدور السلبي للمجتمع في العصر المملوكي من خلال وجود حوادث الاغتيال ومبرراته ولماذا لم يستنكر المجتمع تلك الحوادث، ، وأيضاً يمكن تناول قضية اغتيال قطز أو العلاقة بين بيبرس وقطز .

وفي النهاية لا يسعني إلا أن استغفر الله وأتوب إليه وما كان من صواب فمن الله وأما الخطأ فمن نفسي.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

الباحث

الملاحق

خريطة توضح حدود الدولة المملوكية



شكل رقم (1)

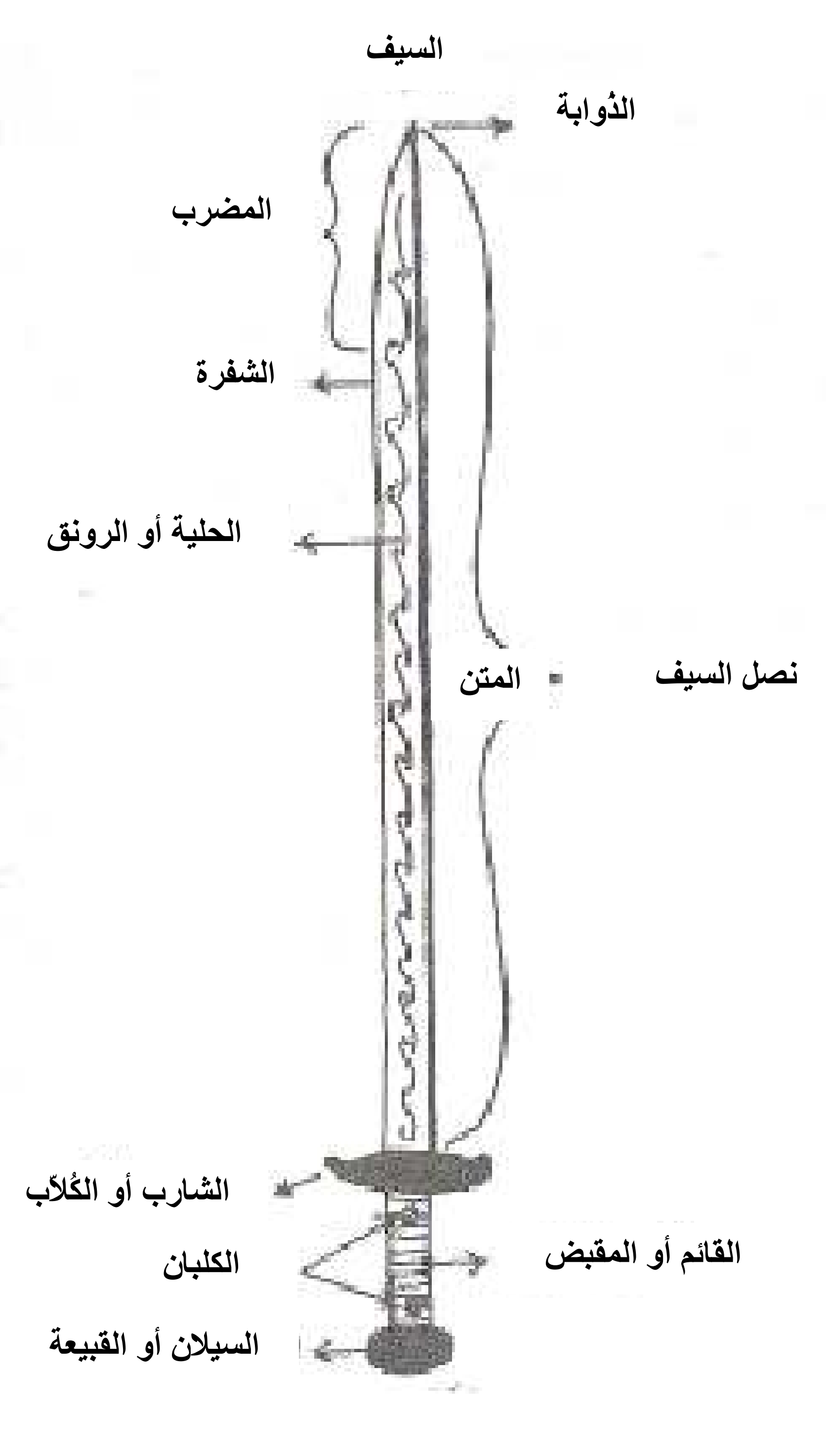
www.alwanis.com

المماليك البحرية

الحكم	الحاكم	
1257-1250	المعز عز الدين أيبك	1
1259-1257	المنصور نور الدين علي بن أيبك	2
1260-1259	المظفر سيف الدين قطز	3
1277-1260	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	4
1279-1277	السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة خان بن بيبرس	5
1279-1279	العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس	6
1290-1279	المنصور سيف الدين قلاوون الألفى	7
1293-1290	الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	8
1294-1293	الناصر محمد بن قلاوون	9
1296-1294	العادل زين الدين كتبغا المنصور	10
1298-1296	المنصور حسام الدين لاجين	11
1308-1298	الناصر محمد بن قلاوون	2-9
1309-1308	المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	12
1340-1309	الناصر محمد بن قلاوون	3-9
1341-1340	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون	13
1342-1341	الأشرف علاء الدين كوجك بن الناصر محمد	14
1342-1342	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	15
1345-1342	الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	16
1346-1345	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	17
1347-1346	المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	18
1351-1347	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد	19
1354-1351	الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	20
1361-1354	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد	2-19
1363-1361	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي بن قلاوون	21
1376-1363	الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون	22
1381-1376	المنصور علاء الدين علي بن شعبان	23
1382-1381	الصالح زين الدين حاجى	24

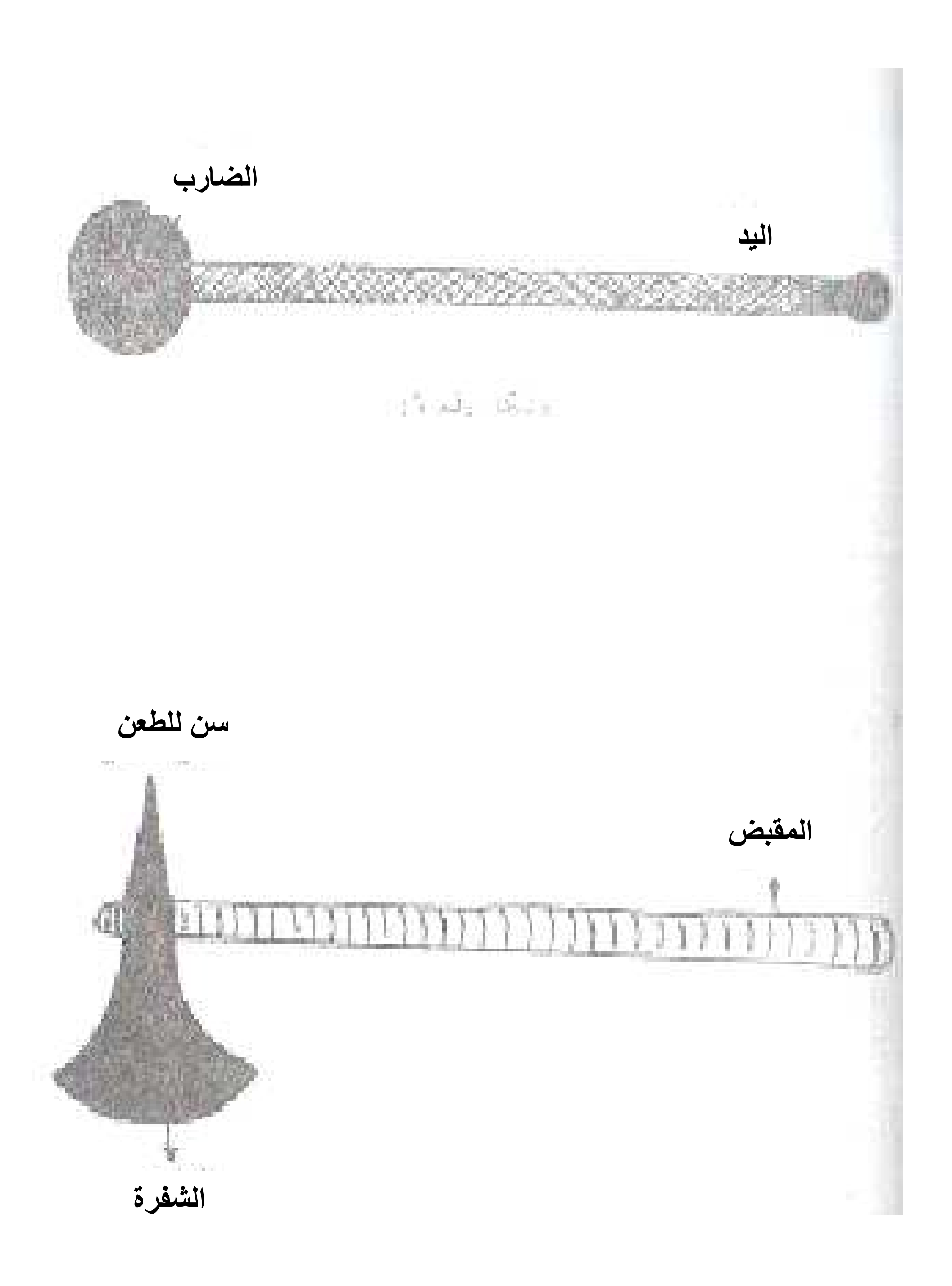
المماليك البرجية

	الحاكم	الحكم
1	الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس اليبغاوى	1399-1382
2	الناصر فرج بن برقوق	1405-1399
3	المنصور عبد العزيز بن برقوق	1405-1405
2-2	الناصر فرج بن برقوق	1412-1405
	المستعين بالله أبو الفضل العباسي	1412-1412
4	المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	1421-1412
5	المظفر أحمد بن الشيخ	1421-1421
6	الظاهر سيف الدين ططر	1421-1421
7	الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	1422-1421
8	الأشرف سيف الدين برسباي	1438-1422
9	العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	1438-1438
10	الظاهر سيف الدين جقمق	1453-1438
11	المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	1453-1453
12	الأشرف سيف الدين إينال العلائي	1460-1453
13	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال	1460-1460
14	الظاهر سيف الدين خُشقدم	1467-1460
15	الظاهر سيف الدين بلباي المؤيدي	1468-1467
16	الظاهر تمر بغا الرومي	1468-1468
17	الأشرف سيف الدين قايتباي	1496-1468
18	الناصر محمد بن قايتباي	1497-1496
19	الظاهر قانصوه	1497-1497
18-2	الناصر محمد بن قايتباي	1498-1497
20	الظاهر قانصوه الأشرفي	1500-1498
21	الأشرف جنبلاط	1501-1500
22	العادل طومان باي	1501-1501
23	الأشرف قانصوه الغوري	1516-1501
22-2	العادل طومان باي	1517-1516



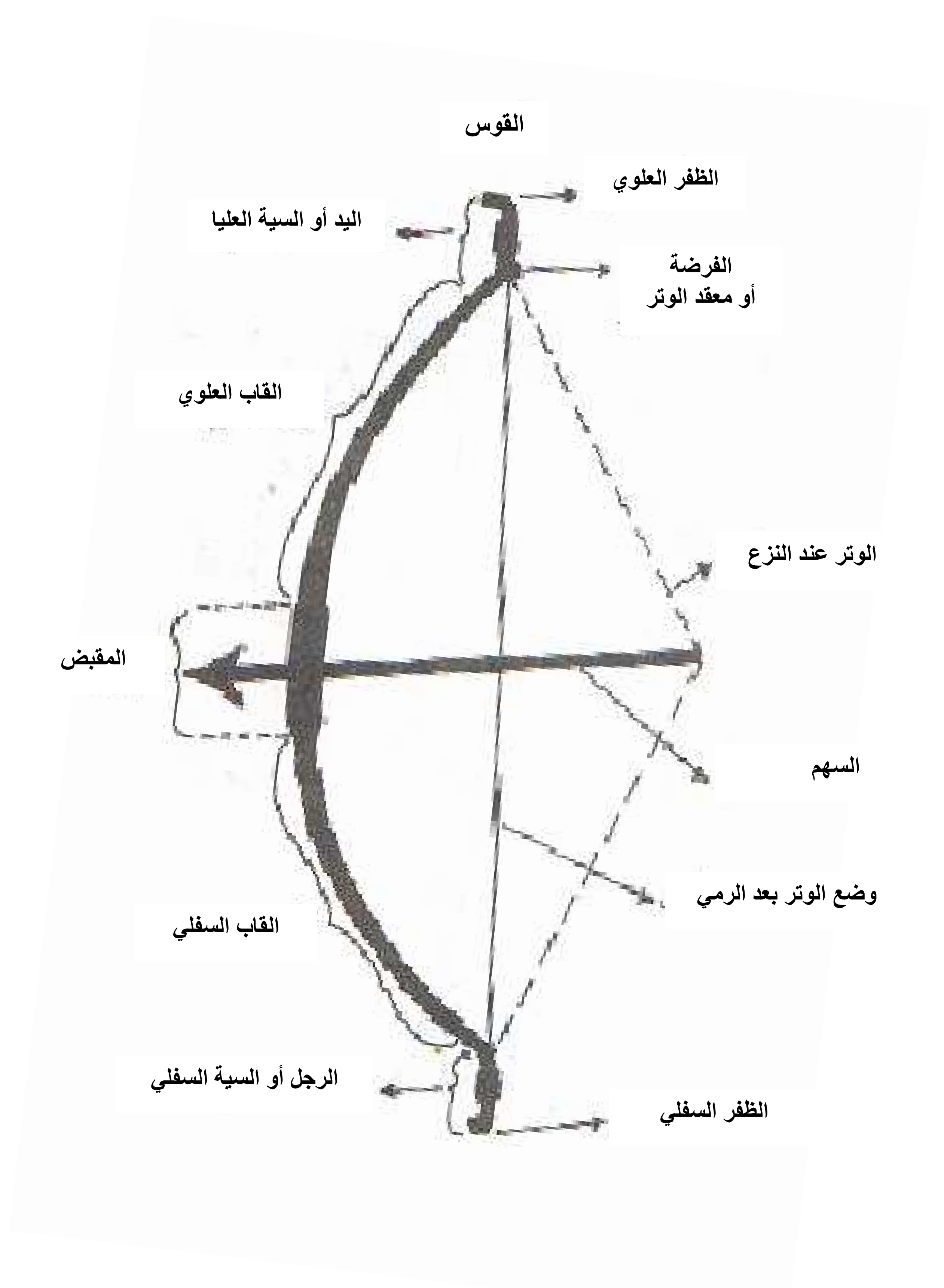
شكل رقم (2)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 116



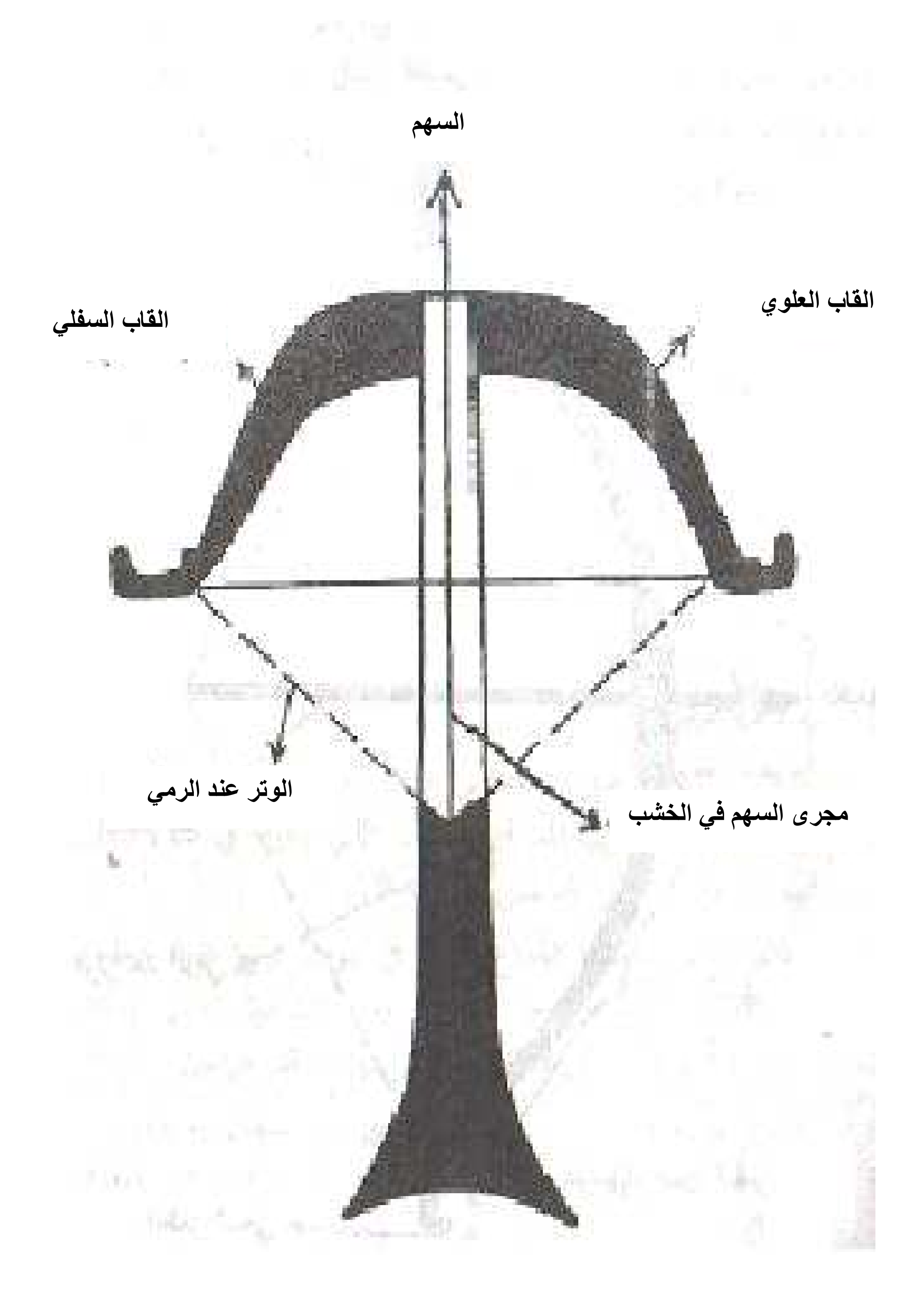
شكل رقم (3)
دبوس وبلطة

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 119



شكل رقم (3)

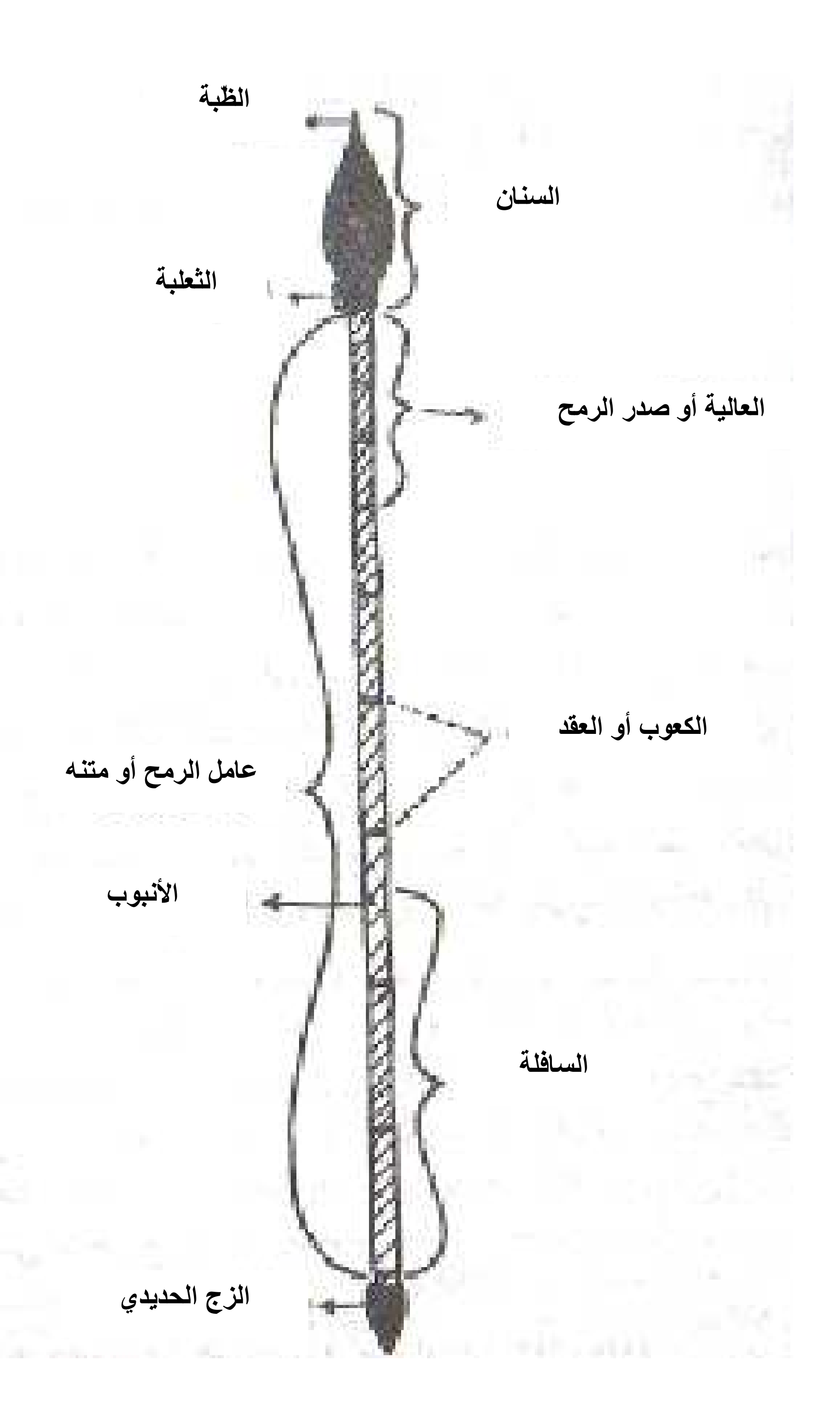
خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 109



شكل رقم (4)

قوس

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 110

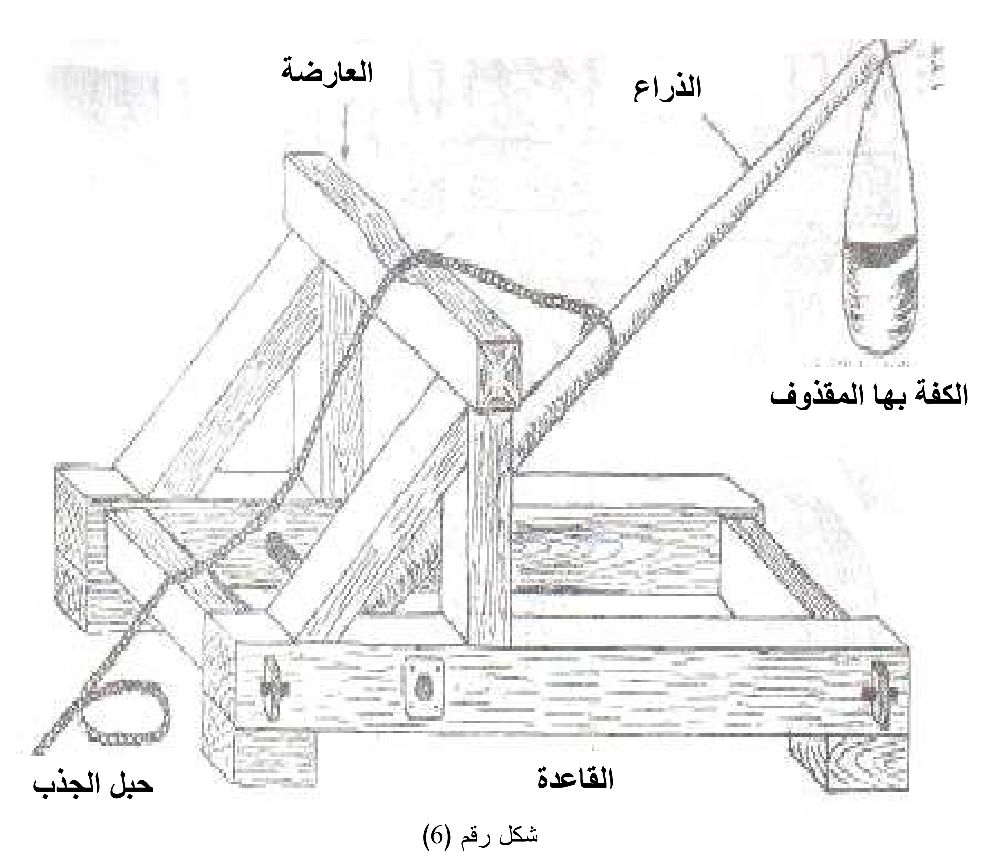


رمح

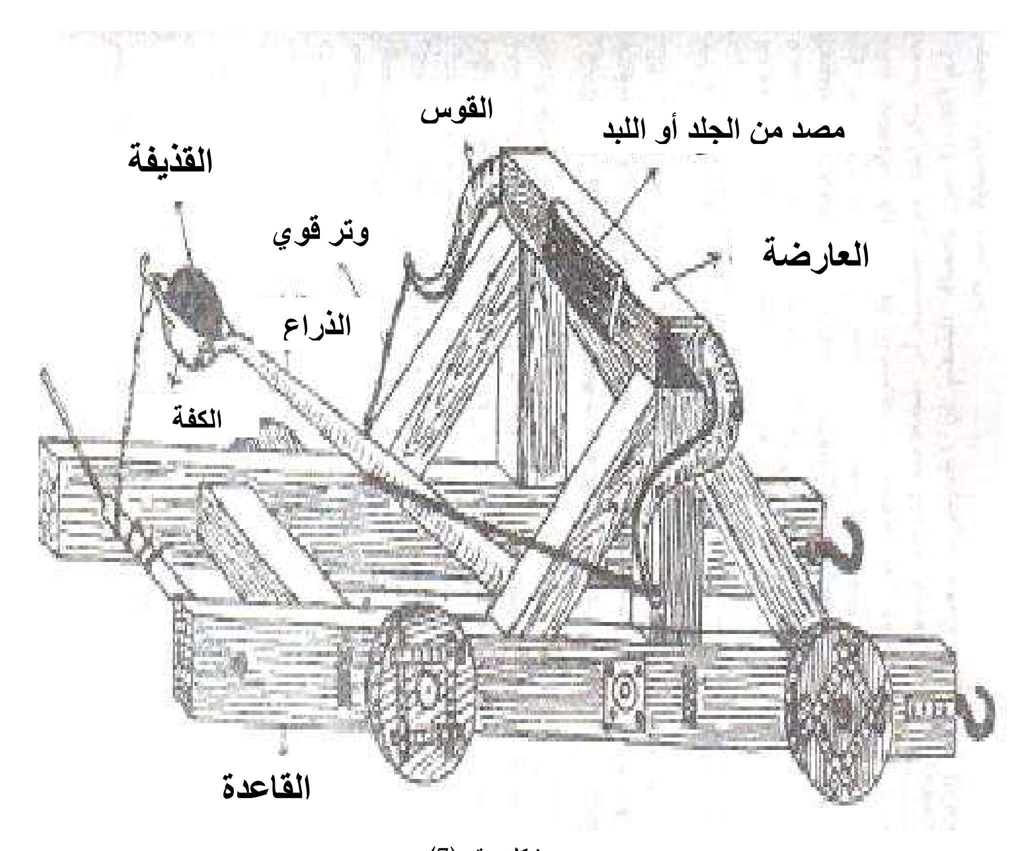
شكل رقم (5)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 113

منجنيق



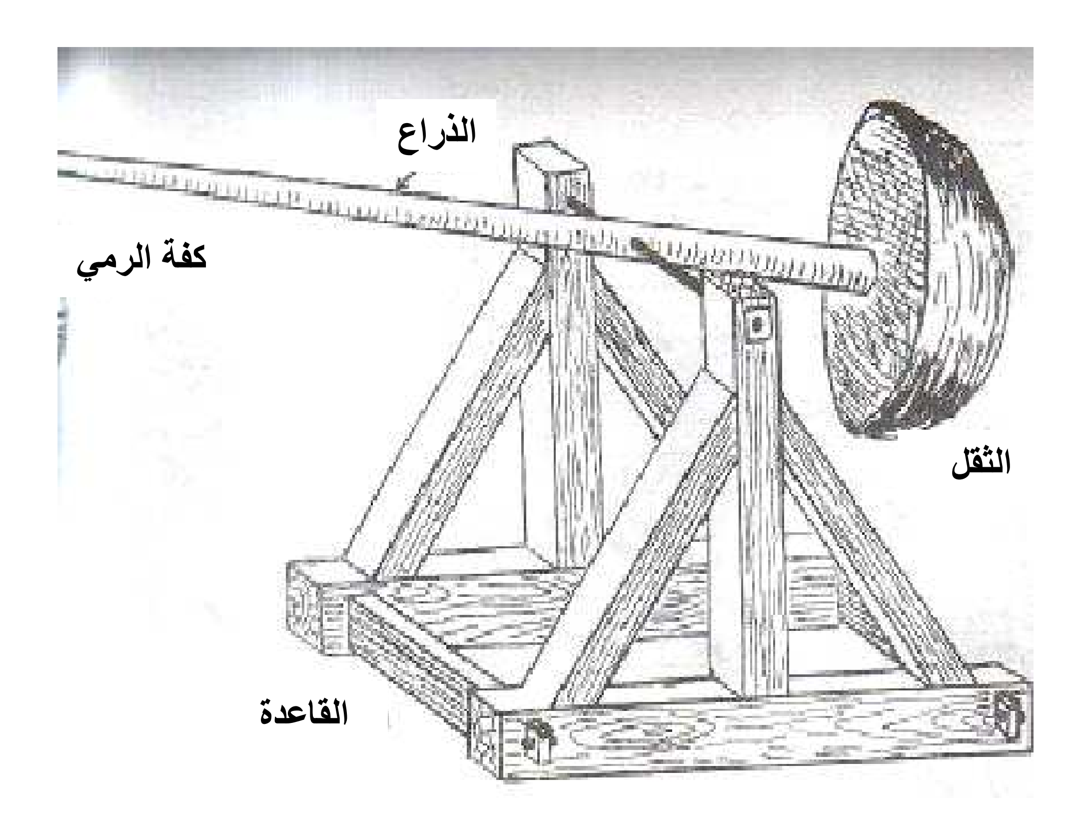
شكل رقم (6)



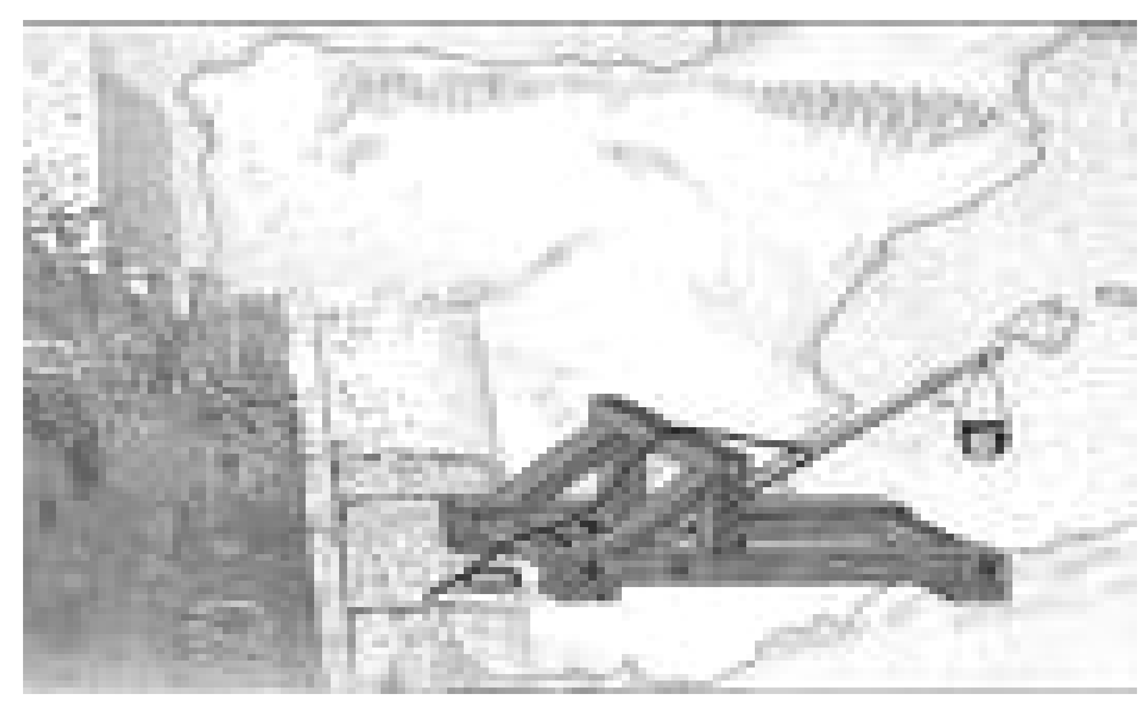
شكل رقم (7)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 122 – 123

منجنيق



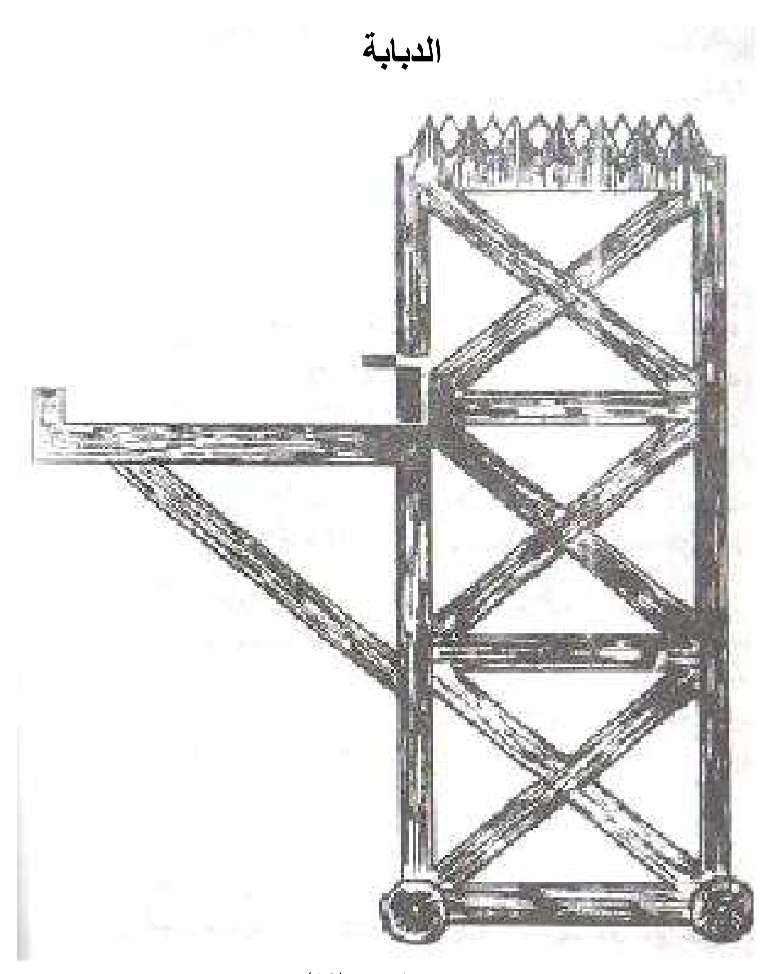
شكل رقم (8)



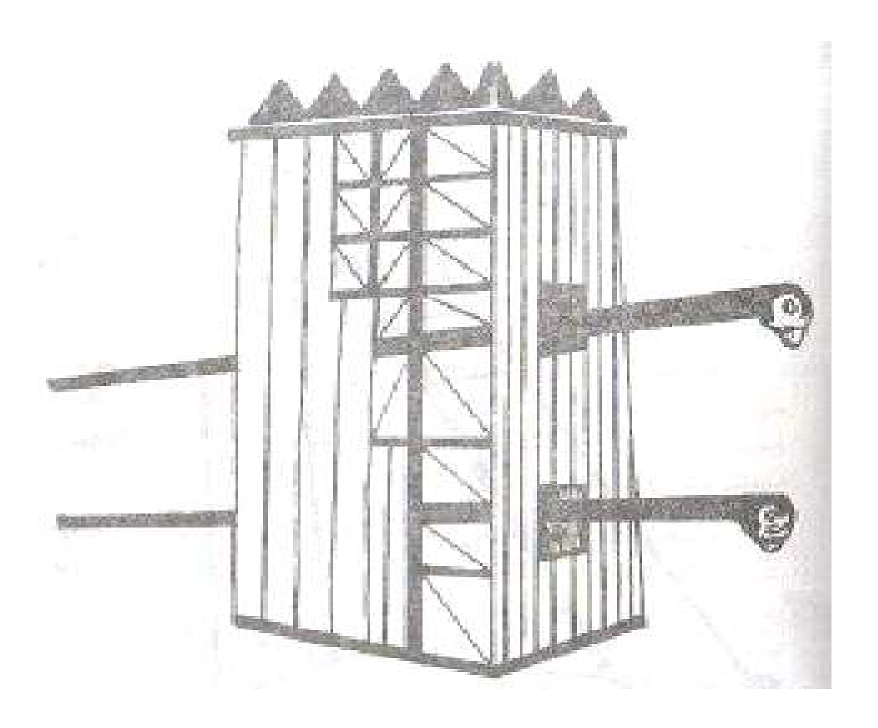
شكل رقم (9)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 121

الدبابة



شكل رقم (10)

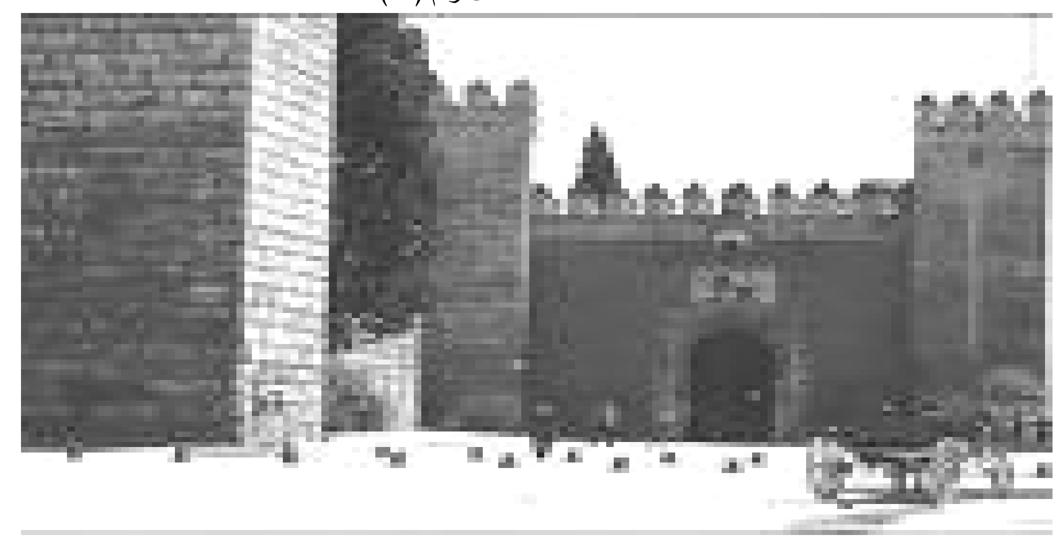


شكل رقم (11)

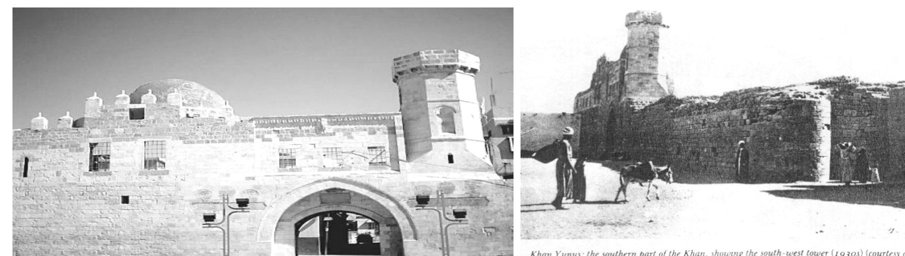
خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 126



شكل رقم (12)



شكل رقم (13)



الصورة الأولى لقلعة برقوق بخان يونس في القرن التاسع عشر والصورة الثانية حديثة

شكل رقم (14)

www. islamicirbed2.jeeran.com
www. aljazeeratalk.com



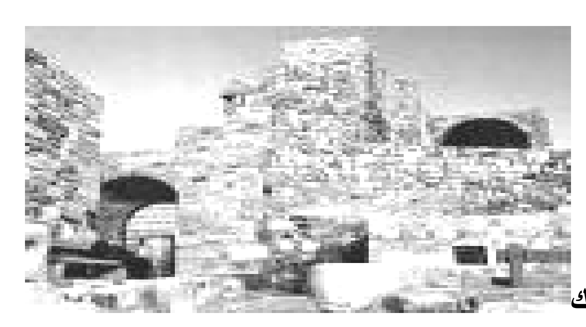
شكل رقم (15)



شكل رقم (16) **قلعة الشوبك**

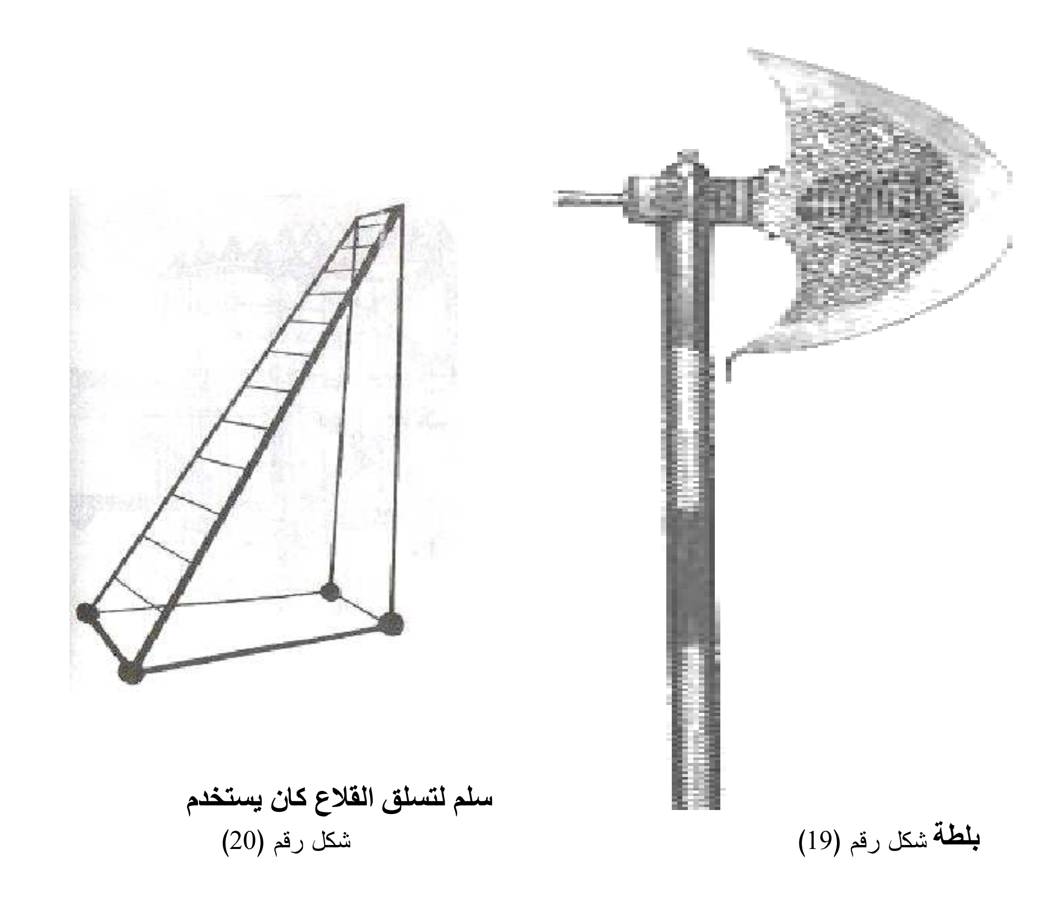


صورة لقلعة الكرك (من الجو) شكل رقم (17)



قلعة الشوبك

شكل رقم (18)



سلم لتسلق القلاع كان يستخدم
شكل رقم (20)

بلطة شكل رقم (19)



غطاء رأس كان يلبسه الجندي المملوكي

شكل رقم (21)



صورة للوحة قديمة لجنكيز خان (Genghis Khan)مؤسس الإمبراطورية المغولية

شكل رقم (22)



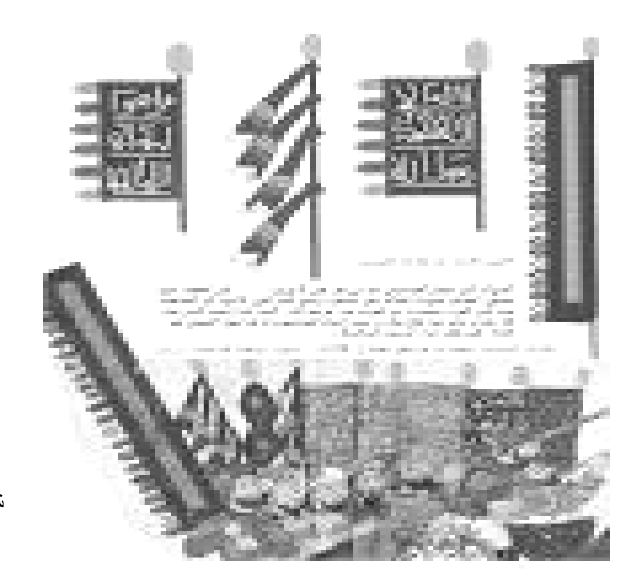
صورة للإمبراطور قبلاي خان المغولي

شكل رقم (23)



شكل رقم (24)

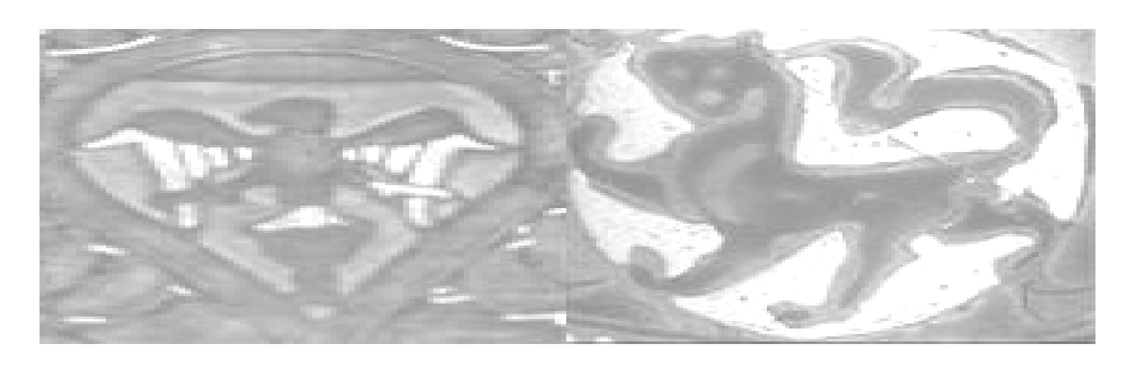
صورة لرجل مغولي يرتدي الزي التقليدي للمقاتل المغولي



شكل رقم (25)



الكردوس والطلب شكل رقم (26)



رنوك مملوكية شكل رقم (27)

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

المصادر:

***الإدريسي**،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس(ت560هـ/1166م):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق(اسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث)

* **ابن إياس**،أبو البركات محمد بن احمد بن إياس الحنفي (ت930هـ/1523م):

نزهة الأمم في العجائب والحكم،تحقيق محمد فهيم محمد عزب،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة،1995م.

* **ابن الأثير**،محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1232م):

الكامل في التاريخ،10 أجزاء،تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت،1995م.

***ابن أجا**،محمد بن محمود الحلبي(ت881هـ/1477م):

– العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك(مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار)صنعة محمد أحمد دهمان،ط1،دار الفكر،دمشق،سوريا،1986.

– تاريخ الأمير يشبك الظاهري،تحقيق عبد القادر أحمد طليمات،دار الفكر العربي،مطبعة المدني،القاهرة.

***الأصبهاني**،أبو نعيم احمد بن عبد الله(ت430هـ/1039م):

حلية الأولياء، 10 أجزاء،ط4،دار الكتاب العربي،1405هـ.

***الأصفهاني**، عماد الدين(ت597هـ/1200م):

البرق الشامي،تحقيق فالح حسين،2 جزء،ط1،مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان، الأردن،1987م.

* **ابن أبي أصيبعة**،موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة(ت668هـ/1269م):

عيون الأنباء في طبقات الأطباء،1 جزء،تحقيق نزار رضا،دار مكتبة الحياة ،بيروت.

* **البخاري**، محمد ابن إسماعيل(ت256هـ/869م):

صحيح البخاري،4 أجزاء، تحقيق مصطفى ديب البغا،ط3،دار ابن كثير،بيروت،1987م.

***البصروي**،علي بن يوسف بن احمد(ت905هـ/1500م):

تاريخ البصروي،تحقيق أكرم حسن العلبي، ط1، دار المأمون للتراث،دمشق،1408هـ.

*ابن بطوطة،محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله(ولد سنة 703هـ/1303م):

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 2 جزء،تحقيق د.علي المنتصر الكتاني،ط4،مؤسسة الرسالة،1405هـ.

***البلاذري**،أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ/892م):

فتوح البلدان،تحقيق رضوان محمد رضوان،1جزء،،دار الكتب العلمية،بيروت،1403هـ.

***الترمذي**،أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي(ت279هـ/892م):

الجامع للسنن(اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

***ابن تغري بردي**،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت874هـ/1469م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،مصر.

-حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور،2جزء،تحقيق محمد كمال الدين عز الدين،ط1،عالم الكتب،1990م.

* **ابن أبي جرادة**،كمال الدين عمر بن أحمد(809هـــ/1456م) :

بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،ط1،دار الفكر،بيروت،1988م.

* **ابن الجوزي**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـــ/1200م):

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،6أجزاء،ط1،دار صادر،بيروت،1358هـــ.

* **ابن الجيعان**،القاضي بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني(ت902هـــ/1497م):

القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف(رحلة قايتباي إلى بلاد الشام882هـــ-1477م)تحقيق عمر عبد السلام تدمر و جروس برس،ط1،1984م.

***ابن حجر العسقلاني**،أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي(ت852هـــ/1361م):

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،6أجزاء،ط2،تحقيق محمد عبد المعيد خان،مطبعة دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد،الهند،1972م.

***الحموي أبي الفضائل**، محمد بن علي بن نظيف:

التاريخ المنصوري(تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق بو العيد دودو،مطبعة الحجاز، دمشق، 1981م.

***الحموي**،**ياقوت** بن عبد الله(ت626هـــ/1229م):

معجم البلدان،5أجزاء،دار الفكر،بيروت.

* **ابن حنبل**، احمد أبو عبد الله الشيباني(ت241هـــ/855م):

فضائل الصحابة،تحقيق وصي الله محمد عباس،ط2،1جزء، بيروت،1983.

* **الحنبلي**،أحمد ابن إبراهيم(ت876هـــ/1471م):

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب،تحقيق مديحة الشرقاوي،مكتبة الثقافة الدينية،مصر،1996م.

*الحنفي،مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي(ت1067هـ/1656م):

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،2جزء،دار الكتب العلمية،بيروت،1992م.

* ابن حوقل،أبي القاسم بن حوقل النصيبي:

صورة الأرض،دار مكتبة الحياة،1992م.

*الخشاب،أخبار أهل القرن الثاني عشر(تاريخ المماليك في القاهرة)،تحقيق عبد العزيز جمال الدين،عماد أبو غازي،ط1،العربي،القاهرة،1990م.

*ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت 808هـ/1405م):

– مقدمة ابن خلدون،ط5،دار الكتب العلمية،بيروت،1984م.

– تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ط1،5جزء، دار القلم،بيروت،1984م.

*ابن خلكان،أبى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م):

وفيات الأعيان وأنباء الزمان،8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،1968.

*ابن خياط ، خليفة بن خياط الليثي العصفري ابو عمر(ت240هـ/854م):

تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، 1 جزء، دار القلم، دمشق ،بيروت.

*أبو داوود،سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير الأزدي السجستاني(ت725هـ/806م):

سنن أبي داوود(اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

*ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي(ت809هـ/1406م):

– الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين،تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي،ط1،عالم الكتب،1985م.

– النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط1،

المكتبة العصرية،بيروت،1999م.

***الدمشقي،** أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري(ولد سنة847هـ/1444م):

نزهة الأنام في محاسن الشام،المكتبة العربية،بغداد،المطبعة السلفية بمصر،1341هـ.

***الدمشقي،** محمد بن عيسى بن كنان الصالحي(ت1152هـ/1739م):

المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية،تحقيق حكمت إسماعيل،2جزء،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1993م.

***الذهبي،** الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز،أبو عبد الله(ت748هـ/1347م):

- سير أعلام النبلاء،23جزء،ط9،تحقيق شعيب الأرناءوط،محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،بيروت،1413هـ.

- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام(حوادث ووفيات)،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط1،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،2000م.

- العبر في خبر من غبر،تحقيق صلاح الدين المنجد، 5 أجزاء،ط2،مطبعة حكومة الكويت،1948م.

- الأمصار ذوات الآثار،تحقيق قاسم علي سعد،ط1،دار البشائر الإسلامية،بيروت،1986م.

***الرازي،**محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت721هـ/1321م):

مختار الصحاح،تحقيق محمود خاطر،1 جزء، مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت،1995م.

***الزمخشري،**محمود بن عمر(ت538هـ/1143م):

الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء،ط2،دار المعرفة،لبنان.

***السخاوي**،شمس الدين(ت902هـ/1497م):

– التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،2 جزء،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1993م.

– الضوء اللامع،6 أجزاء،بيروت، منشورات دار مكتبة.

***ابن سعد**،محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري(ت230هـ/844م):

الطبقات الكبرى،دار صادر،بيروت.

***السلامي** أبو المعالي،محمد بن رافع(ت774هـ/1372م):

الوفيات،تحقيق صالح مهدي عباس،بشار معروف،2 جزء،،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،1402هـ.

***السمعاني**،أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت562هـ/1166م):

الأنساب، تحقيق عبد الله عمر النارودي،ط1،دار الفكر ،بيروت،1998م.

***السيوطي**،الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م):

– تاريخ الخلفاء،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ط4،المكتبة التجارية الكبرى،مكتبة الفجالة،مصر،1969م.

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،ط1،دار احياء الكتب العربية،1968م.

–نظم العقيان في أعيان الأعيان،ط1،دار المعارف للطباعة والنشر،تونس،1999م.

–طبقات المفسرين، 1 جزء،تحقيق على محمد عمر،ط1،مكتبة وهبة، القاهرة،1396هـ

***أبو شامة** ،الحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1267م):

– تراجم رجال القرنين السادس والسابع(الذيل على الروضتين)،تحقيق محمد زاهد بن حسن الكوثري ،ط2،،دار الجيل،بيروت،1974م.

– كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،تحقيق إبراهيم الزيبق،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،1997م.

*الشوكاني،محمد بن علي(ت1250هـ/ 1834م): :

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،2جزء،دار المعرفة،بيروت

*الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحق(ت476هـ/1083م):

طبقات الفقهاء،تحقيق خليل الميسي ، 1جزء،،دار القلم ،بيروت.

*الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1071م):

- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب،تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمام،وزارة الثقافة،دمشق/1992م.

- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق فالح احمد البكور،ط1،دار الفكر بيروت، لبنان،1998م.

*ابن طاهر المقدسي المطهر(ت507هـ/1113م):

البدء والتاريخ،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد.

*ابن طباطبا، محمد بن علي:

الفخري في الآداب السلطانية والدول السلطانية

*الطبري،محمد بن جرير أبو جعفر(ت310هـ/922م):

تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)،5 أجزاء ، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1407هـ

*الطرسوسي،مرضي بن علي بن مرضي(ت589هـ/1193م):

تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسوأ ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء،تحقيق كلود كاهين.

*ابن عبد الظاهر،محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري(ت692هـ/1292م):

الروضة البهية الزاهرة في خطط المعربية القاهرة،تحقيق أيمن فؤاد سيد،ط1،1996م.

*ابن العبري،غريفوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي(ت660هـ/1262م):
تاريخ مختصر الدول
*العز بن عبد السلام،عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي(ت660هـ/1261م):
أحكام الجهاد وفضائله،تحقيق إياد الطباع ،ط1،دار الفكر،دمشق سوريا،1996م.
* العسقلاني،شافع بن علي الكاتب المصري(ت730هـ/1329م):
الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط1،المكتبة العصرية،بيروت،1998م.
*العليمي، مجير الدين الحنبلي(ت927هـ/1521م):
الأنس الجليل،تحقيق عدنان نباتة،2جزء، مكتبة دنديس،عمان،1999م.
* ابن العماد،عبد الحي بن أحمد العكري،الحنبلي الدمشقي(ت1089هـ/1775م):
شذرات الذهب في أخبار من ذهب،4 أجزاء،دار الكتب العلمية،بيروت.
*العيد روسي،سيدي شمس الشموس محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله :
النور السافر عن أخبار القرن العاشر،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1985م.
*ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات(ت807هـ/1427م):
تاريخ ابن الفرات،تحقيق قسطنطين زريق،نجلاء عز الدين.
*أبو الفضل الهمداني،محمد بن عبد الملك بن إبراهيم(ت521هـ/1127م):
تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق ألبرت يوسف كنعنان،ط1، المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1958م
*ابن قاضي شهبة،أبو بكر بن احمد بن محمد(ت851هـ/1448م):
طبقات الشافعية،4 أجزاء،تحقيق الحافظ عبد العليم خان،ط1، عالم الكتب،بيروت،1407هـ

*القرماني،أحمد بن يوسف(ت1091هـ/1680م):

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،تحقيق أحمد حطيط،فهمي سعد،عالم الكتب،ط1992،1م.

*القلقشندى، احمد بن عبد الله(ت821هـ/1418م):

– مآثر الانافة في معالم الخلافة،5 أجزاء،تحقيق عبد الستار احمد فراج،ط2،مطبعة حكومة الكويت،1985م.

– صبح الأعشى في صناعة الانشا،تحقيق محمد حسين شمس الدين،15 جزء،دار الفكر،بيروت.

*ابن كثير،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفدا(ت774هـ/1373م):

البداية والنهاية،14 جزء، مكتبة المعارف،بيروت.

* القنوجي،صديق بن حسن(ت1307هـ/1889م):

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق:عبد الجبار زكار،دار الكتب العلمية،بيروت،1978م.

*ابن ماجة،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت273هـ/887م):

سنن ابن ماجة(اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

* ماركوبلو(ولد حوالي643هـ–724هـ= 1245م–1324م):

رحلات ماركوبلو ترجمها إلى الانجليزية وليم مارسون ونقلها للعربية عبد العزيز جاويد، 3 أجزاء،ط2،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة،1995

*المالكي، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري:

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،1 جزء، دار الكتب العلمية،بيروت.

*الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت450هـ/1058م):

الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تحقيق سمير مصطفى رباب،المكتبة العصرية،بيروت،2001م.

*ا**لمعيري**،زين الدين بن عبد العزيز:

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين،تحقيق أمين توفيق الطيبي ، ط1، كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،1987م.

*ا**لمقري**،أحمد بن محمد المقري التلمساني:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت،1968م

*ا**لمقريزي**،تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(ت845هـ/1441م):

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،دار صادر،بيروت.

-السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق محمد عبد القادر عطا،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1997م.

*ا**لمكي العاصمي،** عبد الملك بن حسين بن عبد الله الملك الشافعي(ت1111هـ/1699م):

سمط النجوم العوالي،تحقيق عادل احمد عبد الموجود،علي محمد عوض، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية،بيروت،1998م.

*ا**لمكي**،أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني (ت768هـ/1366م):

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،4أجزاء،ط2، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،1993م.

*ا**لمنصوري**،**بيبرس**، الدوادار(ت725هـ/1325م)

- مختار الأخبار(تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة702هـ) تحقيق عبد الحميد صالح حمدان،ط1،الدار المصرية اللبنانية،1993م.

- التحفة الملوكية في الدولة التركية(تاريخ المماليك البحرية في الفترة648-711هـ)،نشره وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان،ط1،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،1987م.

***ابن منظور** ،محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت711هـ/1311م):

لسان العرب،15 جزء، ط1،دار صادر،بيروت.

***النسائي**،أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي ابن بحر بن سنان بن دينار(ت303هت/915م):

سنن النسائي(اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

***النعيمي**،عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت978هـ/1570م)

الدارس في تاريخ المدارس،تحقيق إبراهيم شمس الدين، 2جزء، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1410هـ.

***الهمداني**،رشيد الدين فضل الله:

جامع التواريخ"تاريخ خلفاء جنكيز خان"،ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد،ط1،دار النهضة

***ابن واصل**،جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ/1298م):

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،تحقيق حسنين محمد ربيع، مصر.

***ابن أبي الوفاء القرشي**، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد(ت775هـ/1393م):

الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية،1 جزء،،مير محمد كتب خانة ن كراتشي

* **ابن الوكيل**،يوسف الملواني(ت1331هـ/1913م):

تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تحقيق محمد الششتاوي،ط1،دار الآفاق العربية،

القاهرة،1999م.

* **اليعقوبي**،احمد بن أبي يعقوب العباسي:

تاريخ اليعقوبي،2 جزء،دار صادر،بيروت.

***اليوسيفي**،موسى بن محمد بن يحيى(ت759هـ/1358م):

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر،تحقيق ودراسة أحمد حطيط،ط1،عالم الكتب،بيروت،1986م.

*اليونيني،الشيخ قطب الدين موسى بن محمد(ت726هـ/1326م):

ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة 654 إلى سنة 662هـجرية،وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية،ط1،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،1992م.

ثانياً: المراجع

***إبراهيم علي طرخان**

النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي،القاهرة،1968، وزارة الثقافة

***إسماعيل عبد العزيز الخالدي**

المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين(رسالة ماجستير)

إشراف أحمد محمد العسال، عبد الستار فتح الله سعيد،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية،1982م.

***أكرم حسن العلبي**

معارك المغول الكبرى في بلاد الشام،الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق،1988م.

***البيومي إسماعيل**

النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة العامة للكتاب،1998م

***السيد الباز العريني**

المغول،دار النهضة العربية،بيروت،1986م.

***السيد عبد العزيز سالم،احمد مختار العبادي**

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام،مؤسسة شباب الجامعة،1993م.

***السيد عبد العزيز سالم،سحر عبد العزيز سالم**

دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2002م

***أحمد حطيط**

- قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري،الطبعة الأولى،بيروت،لبنان، الفرات،2003م.

- حروب المغول(دراسة في الإستراتيجية العسكرية للمغول)،الطبعة الأولى،بيروت، دار الفكر،1994م.

***أحمد راتب عرموش**

قيادة الرسول السياسية والعسكرية، الطبعة الثانية،دار النفائس،لبنان،1991م.

*** أحمد عبد الرازق أحمد**

البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك(دراسة عن الرشوة)، الهيئة العامة للكتاب،1979م.

*** أحمد شلبي**

الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي،الطبعة الثانية،مكتبة النهضة،مصر،1974م.

***أحمد محمد عدوان**

-المماليك وعلاقاتهم الخارجية،دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع،الرياض،السعودية.

-التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك،الطبعة الأولى،دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية،1998م.

***أحمد مختار العبادي**

-قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

*** برتولد شبولر**

العالم الإسلامي في العصر المغولي،نقله للعربية خالد اسعد عيسى، راجعه،سهيل زكار، الطبعة الأولى،دار حسان للطباعة والنشر،دمشق،1982م.

*** بسام العسلي**

- فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، الطبعة الأولى ،دار الفكر، لبنان،1988م.
- المذهب العسكري الإسلامي،الطبعة الأولى،دار النفائس،بيروت ، لبنان،1993م.
- المظفر قطز ومعركة عين جالوت، الطبعة الثامنة،دار النفائس،بيروت، لبنان،2002م.
- الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، الطبعة الخامسة،دار النفائس، بيروت، لبنان، 1992م.

***الجبرتي**

تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار 3 أجزء ،دار الجيل،بيروت

***جونا توقة،يوسف عزت باشا**

تاريخ القوقاز، تعريب خوستوفة عبد الحميد غالب بك، اسطنبول،1912م.

***حسن إبراهيم حسن**

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة،1979م

***حسن الباشا**

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، الإسكندرية، القاهرة،1978م.

***حكيم أمين عبد السيد**

قيام دولة المماليك الثانية، المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة،1966م،وزارة الثقافة.

*** خالد احمد سلمي زنيد** (رسالة دكتوراه غير منشورة)

المنشآت التجارية في دمشق في العصر المملوكي ، إشراف،بشير إبراهيم بشير،جامعة الخرطوم،1996م.

* **خالد جاسم الجناني**

تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني(218هــ-334هــ)833م-945م، الطبعة الأولى،دار الشئون الثقافية العامة،وزارة الثقافة،بغداد،1989م

***سحر السيد عبد العزيز سالم**

دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،2002م.

* **سعيد عبد الفتاح عاشور**

الظاهر بيبرس،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،1963م.

* **سيمنوفا**

صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة حسن بيومي،المجلس الأعلى للثقافة،1998م.

***صبحي عبد المنعم**

الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، العربي للنشر، القاهرة.

* **صلاح الدين محمد نوار**

الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية،منشاة المعارف بالإسكندرية.

***الطباع**،عثمان مصطفى الغزي(ت1370هــ/1950م):

إتحاف الأعزة في تاريخ غزة،تحقيق عبد اللطيف أبو هاشم،ط1،مكتبة اليازجي،غزة،فلسطين،1999م.

*طه ثلجي الطراونة (رسالة ماجستير منشورة)

مملكة صفد في عهد المماليك، الطبعة الأولى،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1982م.

* عبد الرزاق أشرف الكيلاني

من مواقف عظماء المسلمين، دار النفائس،بيروت،لبنان،1413هـ.

*عبد الله سعيد محمد الغامدي

جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، جامعة ام القرى، السعودية.

*عبد المنعم ماجد

– نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر(دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه)مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1967م.

– طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر،مكتبة الأنجلو المصرية،1978م.

* عصام محمد شبارو

السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري المماليك(648–هـ923=1250–1517م) دار النهضة العربية،بيروت،1995م.

*على إبراهيم حسن

تاريخ المماليك البحرية،مكتبة النهضة المصرية.

*على الطنطاوي

رجال من التاريخ، الطبعة السابعة،مؤسسة الرسالة،،بيروت،1982م.

* **علي سالم النباهين** (رسالة دكتوراه منشورة)

نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر،إشراف، إبراهيم مطاوع،عبد الغني عبود،الطبعة الأولى،دار الفكر العربي،1981م

* **فؤاد عبد المعطي الصياد**

المغول في التاريخ،دار النهضة العربية ،بيروت،1970م

* **فاروق عمر فوزي،محسن محمد صالح**

الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط،الشروق،1999م.

***قاسم محمد عبده،على السيد علي**

الأيوبيون والمماليك(التاريخ السياسي والعسكري) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى،1995م.

* **محسن محمد حسين**

الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين(تركيبه – تنظيمه –أسلحته– بحريته وابز المعارك التي خاضها) الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،بيروت 1986م.

* **محسن محمد صالح**

الطريق إلى القدس، دار المستقبل

* **محمد التو نجي**

بلاد الشام إبان الغزو المغولي،الطبعة الأولى،دار الفكر العربي، بيروت،1998م.

* **محمد الخضري بك**

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، الطبعة الثالثة،مطبعة الثقافة، المكتبة التجارية الكبرى.

***محمد السيد الوكيل**

القيادة والجندية في الإسلام،الطبعة الثالثة،دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة،مصر،1988م.

* **محمد أحمد دهمان**

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،الطبعة الأولى،دار الفكر، بيروت،دمشق،1990م.

***محمد جمال الدين سرور**

دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي.

* **محمد جمال الدين محفوظ**

المدخل إلى العقيدة والإستراتجية العسكرية الإسلامية،الهيئة العامة للكتاب،1976م.

* **محمد خير هيكل** (رسالة دكتوراه منشورة)

الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، الطبعة الأولى دار البيارق،لبنان،1993م.

* **محمد سهيل طقوش**

تاريخ المماليك في مصر والشام، الطبعة الثانية،دار النفائس، القاهرة،1999م.

* **محمد عبد الحفيظ المناصير**

الجيش في العصر العباسي الأول 132هــ-232هــ، الطبعة الأولى،،عمان،2000م.

***محمد عبد الغني الأشقر**

أتابك العساكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة «784- 923هــ = 1382-1517م.

الطبعة الأولى مكتبة مدبولي ، مصر،2003م.

*محمد ماهر حمادة

الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي1258م-1516م.(دراسة ونصوص)،الطبعة الأولى،مؤسسة الرسالة،بيروت،1980م

*المحامي،محمد فريد بك

تاريخ الدولة العلية العثمانية،تحقيق،إحسان حقي،ط2،دار النفائس،بيروت،1403هـ

*محمود السيد

التتار والمغول،مؤسسة شباب الجامعة الاسكندريةن2001م.

*محمود سعيد عمران

المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية،مصر،1997م.

*محمود علي خليل عطاالله

نيابة غزة في العهد المملوكي، الطبعة الأولى،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،1986.

*محمود نديم،احمد فهيم

الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1983م.

*مفيد الزيدي

موسوعة التاريخ الإسلامي(الهصر المملوكي)، دار أسامة للنشر،الأردن،2003م.

*نبيل محمد عبد العزيز

رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

***وهبة الزحيلي**

أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية، الطبعة الأولى،دار المكتبي،2000م.

***يوسف حسن غوانمة**

- التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، الطبعة الثانية، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،1982م.
- معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين الفرنج،الطبعة الأولى،دار الفكر، عمان،1995م.

ABSTRACT

Summary of the research in the English language
The military System in the Mameluke age

The research handle an accurate description on the Mameluke military age between the research consist of an introduction, four chapters ,
a conclusion, a list of sources and references.
In the first quarter, it deal with country of origin , from which country they were imported as slaves, their military and religious upbringing and achievements through the Ayyubi rule especially in the crusade to rebel the attach on Damietta.
Chapter two deals with organization, formation, significant development, role in the stability of the system from their places of residence, uniforms, feudalism system and military supplies. It is also dealing with the assistant teams, volunteers and their role in battles. In addition, it focused on music and information. In addition, it supported the role of medical teams, engineering and the flays carrier.
In the third quarter, it searches in the supporting institutions, the organization of military affairs for the army through private mail and differences reconnaissance. Also, it focused on prospecting the military plans, management of the battles, treatment of war prisoners and the international agreement between them and their enemies. Then, it talks about the leaders, the military ranks, army weapons, their manufacture, kinds, castles and defense plans.
Chapter four is moving from the oretical to the practical part. It deals with the most important wars against crusaders and Mongols in Ein Galooth: it mentions the most important confrontation with Crusaders, until they were evacuated from the Arab and the Islamic region especially in the coast of Levant.
In the closing chapter, it deals with the recommendation, results and some facts. The researcher stated the sources and references which was adopted in the search.

Islamic university

High studies

Collage of Art

Department of History



Master Degree Titled in

The Military System In Al- Mamlouky Age

658 – 932 H / 1260 – 1517

Prepared by researcher /

Hani Fakhri El Jazzar

Supervised by / Dr

Riyadh Mustafa Shaheen

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Islamic History, Faculty of Graduate Studies, at The Islamic University Gaza, Palestine.

2006 – 2007